أحداث القرن العشرين

لبيب عبد الساتر



دار المشرق - بيروت

دار المشرق - بيروت

التاريخ

لجميع مراحل الدراسة

وفاقاً للمناهج الرسميّة المقرّرة

١
دروس التاريخ بالمحادثة والصّور للمرحلة الابتدائية

٢
دروس التاريخ للمرحلة المتوسّطة

٣
للمرحلة الثانوية
الحضارات • التاريخ المعاصر •
أحداث القرن العشرين

التأليف والتحرير:
جوزف اليان • كليم الصايغ •
لبيب عبد الساتر • بلانش عبد النور

الرسم:
جورج صفا • جان قرطباوي

الاخراج والتصميم:
جوزف جبارة • جان قرطباوي

الإعداد للنشر:
توفيق يوسف يونس

التوزيع:
المكتبة الشرقيّة
ص.ب: ١٩٨٦، بيروت

١
دروس التاريخ بالمحادثة والصّور
(تكمّلها دفاتر للتطبيق)

الجزء الأول: لتلامذة السنة الثانية الابتدائية أو الصّف العاشر
٢٢ × ٢٣ • ٤٨ صفحة في لونين
دفتر التطبيق: ٢٢ × ٢٤ • ٤٨ صفحة في لونين

الجزء الثاني: لتلامذة السنة الثالثة الابتدائية او الصّف التاسع
٢٢ × ٢٣ • ٦٠ صفحة في لونين
دفتر التطبيق: ٢٢ × ٢٤ • ٦٠ صفحة في لونين

الجزء الثالث: لتلامذة السنة الرابعة الابتدائية أو الصف الثامن
٢٢ × ٢٣ • ٩٦ صفحة في لونين
دفتر التطبيق: ٢٢ × ٢٣ • ٥٦ صفحة في لونين

الجزء الرابع لتلامذة السنة الخامسة الابتدائية أو الصف السابع
٢٢ × ٢٣ • ١٥٦ صفحة في لونين
دفتر التطبيق: ٢٢ × ٢٣ • ٦٠ صفحة في لونين

٢
دروس التاريخ للمرحلة المتوسّطة

الجزء الأول: لتلامذة السنة الأولى المتوسطة أو الصّف السادس
١٧ × ٢٤ • ٢٠٠ صفحة في لونين

الجزء الثاني: لتلامذة السنة الثانية المتوسّطة أو الصّف الخامس
١٧ × ٢٤ • ٢٠٠ صفحة في لونين

الجزء الثالث: لتلامذة السنة الثالثة المتوسطة او الصف الرابع
١٧ × ٢٤ • ٢٦٨ صفحة في لونين

الجزء الرابع: لتلامذة السنة الرابعة المتوسطة او الصف الثالث
١٧ × ٢٤ • ٣٦٤ صفحة في لونين

٣
للمرحلة الثانويّة

الحضارات، للسنة الاولى
التاريخ المعاصر، للسنة الثانية
أحداث القرن العشرين، للسنة الثالثة

لبيب عبد الستار
مجاز في التاريخ

احداث القرن العشرين منذ ١٩١٩

الطبعة الثالثة



دار المشرق
ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان

أحداث القرن العشرين

منذ ١٩١٩

تـاريـخ

المنهج الرسمي للسنة الثالثة الثانوية
(جميع الفروع)

١. **العالم ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ – ١٩٣٩) : معاهدة ڤرساي** – عصبة الأمم وأعمالها – اوروبا بعد معاهدة ڤرساي – الحركة الفاشستية – الحركة النازية – الحركة الشيوعية – الأزمات الأوروبية.

٢. **الحرب العالمية الثانية .**

٣. **العالم بعد الحرب العالمية الثانية :** قيام الأمم المتحدة – تصارع الرأسمالية والشيوعية – انتصار الشيوعية في الصين – الحرب الكورية – حروب الهند الصينية – التفكك الاستعماري وتحرر المستعمرات – سياسة الأحلاف والحروب الباردة – مؤتمر باندونغ – السعي نحو التعايش السلمي – التنافس العلمي .

القسم الأول فرع الفلسفة

١ – معاهدة ڤرساي
٢ – الدول الأوروبية بعد ڤرساي
٣ – أوضاع اوروپا بعد الحرب
٤ – عصبة الأمم
٥ – الحركة الشيوعية
٦ – الحركة الفاشستية
٧ – الحركة النازيّة
٨ – الازمة الاقتصادية
٩ – الأزمات الأوروپية
١٠ – قُبَيْل الحرب

١ معـَاهـَدَة ڤرسـَاي

الهدنة ومؤتمر الصلح
١١/ت ١٩١٨/٢ –
١٨/ك ٢ / ١٩١٩

بعد اربع سنوات من القتال ، عجزت حليفات المانيا عن مواصلة الحرب؛ فبادرت بلغاريا الى توقيع الهدنة (٢٩ ايلول ١٩١٨) ، وتلتها تركيا (آخر ت ١) ، ثم النمسا (٣ ت ٢). وباتت المانيا وحيدة منهكة لا أمل لها في النصر ، فوافقت على توقيع هدنة ريتوند Rethondes في ١١ ت ٢ ١٩١٨ قبل ان تجتاح جيوش الحلفاء أراضيها. وبذلك انتهت الحرب العالمية الاولى.

وبدأ الاعداد لمؤتمر صلح تعمّدت فرنسا عقده بباريس، في الذكرى الثامنة والاربعين لاعلان الامبراطورية الالمانية من قاعة المرايا في قصر ڤرساي (١٨ ك ٢ ١٩١٨). وحضرته وفود الحلفاء ودول الحياد ؛ وعدتها اثنتان وثلاثون دولة بينها سبع وعشرون اسهمت في الحرب ، عدا وفودًا غير رسمية تمثل شعوب المستعمرات وسواهم ممن شاؤوا ان يدافعوا بأنفسهم عن قضاياهم الوطنية (كالوفد اللبناني ...). ومُنعت من حضوره وفود الدول المغلوبة.

غير ان المناقشات انحصرت «بمجلس العشرة» وقوامه رؤساء وفود ووزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة ومندوبين اثنين عن اليابان. وما لبث المندوبان اليابانيان ان انقطعا عن حضور الاجتماعات ، فاقتصر الأمر على الأربعة ثم على «الثلاثة الكبار» أي ويلسون ولويد جورج وكليمنصو ، بعد ان قاطع اورلاندو الايطالي جلسات المؤتمر احتجاجًا. (من آخر نيسان الى اوائل أيار ١٩١٩) وسيطرت على جو المؤتمر بنود ويلسون الأربعة عشر وكان قد عرضها منذ مطلع سنة ١٩١٨ ، كأساس لصلح دائم يعقب حربًا لا منتصر فيها ! وأبرزها ثلاثة : مراعاة شعور القوميات في وضع حدود الدول ؛ واحترام حق الشعوب في التحرر ؛ وانشاء هيئة دولية تتولى حل النزاعات سلميًا. (راجع ص ١٧).

واستقر الرأي في النهاية على تأليف اثنين وخمسين لجنة ، تدرس مختلف الشؤون من اقليمية واقتصادية ومالية وعسكرية واجتماعية. وادى تشعب القضايا وتضارب مطالب الوفود الى بطء في سير أعمال المؤتمر وتمديد للهدنة أكثر من مرة (من ١١ ت ٢ ١٩١٨ الى ٢٨ حزيران ١٩١٩).

السلم الصعب

وصح ما توقعه كليمنصو عشية ريتوند حين صرّح: «لقد فزنا في الحرب فعلينا أن نفوز بالسلم». وسرعان ما ظهر التباين في وجهات النظر: لويد جورج يخشى ان يؤدي تحطيم المانيا الى سيطرة فرنسية على القارة الأوروبية، وكليمنصو يصر على استرجاع الالزاس واللورين ومعهما تعويضات وحدود آمنة ضد تكرار الغزو الالماني؛ وويلسون يسعى الى حمل جميع الفرقاء على القبول بسلم دائم يرضي الجميع، لا فرق فيه بين دولة كبرى ودولة صغرى، متكلًا على رصيد الولايات المتحدة ودورها الحاسم في الحرب؛ واورلاندو يحاول الحصول على ما وُعدت به ايطاليا – عند دخولها الحرب – على حساب النمسا وعند الادرياتيك. وكادت المفاوضات تنقطع أكثر من مرة، خاصة حين ألحَّ كليمنصو على احتلال السّار ولم يتراجع إلا بعد ان هدّد ويلسون بالعودة الى بلاده. (راجع النص ص ١٥).

وعجز كليمنصو عن اقناع حليفيه باقامة دولة مستقلة على الراين تقي فرنسا كل هجوم مستقبل، ولان موقفه واقتنع بعد ان عرضا عليه تضامنًا وتحالفًا دفاعيًا. (تحالف لم يثمر لان الكونغرس الاميركي لم يقر فيما بعد معاهدة فرساي وميثاق عصبة الامم). غير ان ما اخفق كليمنصو في الحصول عليه صراحة حصل عليه مداورة، وذلك عندما وافق حليفاه على احتلال منطقة الراين لمدة خمسة عشر عامًا وتجريدها من السلاح كضمانة لتنفيذ المانيا للشروط المالية والعسكرية التي تفرضها عليها معاهدة الصلح. (انظر ص ١٤).

ولما انتهت اللجان المختصة من اعداد تقاريرها، انفرد الثلاثة الكبار باتخاذ المقررات في جلسات خاصة ومغلقة. واكتفوا بعرضها على المؤتمر ليوافق عليها، فكانت معاهدة فرساي.

معاهدة فرساي
٢٨ حزيران ١٩١٩

أقرّ مؤتمر الصلح بنود معاهدة فرساي، ودعي الالمان لتوقيعها فرفضوا. ولما هددهم الحلفاء بالعودة الى الحرب، وافقوا مرغمين ونعتوها «بالسلم المفروض» (Diktat). وتم التوقيع في قاعة المرايا بالذات.

وتُوجت هذه المعاهدة بميثاق عصبة الأمم، وتضمنت ٤٤٠ مادة، ونصّت على شروط اقليمية وسياسية ومالية واقتصادية... اما ابرز هذه الشروط فكان:

١ – الشروط الاقليمية

• تستعيد فرنسا من المانيا منطقتي الالزاس واللورّين.
• تنال بلجيكا شرقي منطقتي اوپن ومالميدي (Eupen, Malmédy) ، على ان يقرر مصيرهما النهائي استفتاء شعبي. ويلغى حياد بلجكا بالغاء معاهدات ١٨٣٩.
• تُبعث بولندا، وتعطى المناطق البولندية من بروسيا مع ممر يصلها بالبلطيق عند مرفأ دانزيغ. على ان يعتبر مرفأ دانزيغ حرًا وتضمن حريته عصبة الأمم. (ص ١٠٧).
• بموجب استفتاءات شعبية، يتقرر مصير الشلزڤيغ (وقد اعطي للدنمرك بانتظار الاستفتاء) ومصير جنوب بروسيا الشرقية وسيليزيا العليا (بين بولندا وتشيكوسلوڤاكيا). (انظر ص ١٥).
• تخضع منطقة السار (شمال اللورّين) لحكم عصبة الأمم مدة ١٥ عامًا، يليها استفتاء يقرر مصيرها النهائي. وخلال هذه الفترة تعطى مناجم الفحم فيها لفرنسا كتعويض عن تهديم الالمان لمناجم الفحم الشمالية في فرنسا.
• يوضع مرفأ فيومي (Fiume) على بحر الادرياتيك تحت ادارة عصبة الأمم.
• وأخيرًا تولت عصبة الأمم امر المستعمرات الالمانية؛ فانتدبت فرنسا على الجزء الأكبر من التوغو والكاميرون، واليابان على جزر الپاسيفيك الشمالية، وانجلترا على شرقي افريقيا، وبلجكا على المستعمرات الالمانية المجاورة لها في الكونغو، ووكلت الى اتحاد جنوب افريقيا ادارة الجنوب الغربي الافريقي.

٢ – الشروط العسكرية

• تتعهد المانيا بالغاء الخدمة العسكرية الاجبارية، وتكتفي بقوات عدتها مائة الف جندي (من أصل اربعمائة الف كانت تحتفظ بهم) تستفيد منهم في ضرورات الأمن الداخلي.
• تتخلّى المانيا للحلفاء عن مختلف معداتها العسكرية.
• تحجم المانيا عن اقامة تحصينات عسكرية على ضفتي الراين، وتهدم منشآتها العسكرية في جزيرة هيلجولاند (Helgoland).

٣ – الشروط الماليّة

واقرت المادة ٢٣١ من المعاهدة مسؤولية المانيا القانونية عن الأضرار المادية التي احدثتها جيوشها. ففرض عليها التعويض على الضحايا المدنيين وترميم ما هدمته خلال الحرب. وبذلك يكون الحلفاء قد اعفوا المانيا من تعويضات الحرب ولم يعفوها من تعويضات الترميم. وتألفت لجنة تنجز تقريرها قبل اول ايار ١٩٢١

لتحديد قيمة المبالغ المتوجبة. وبانتظار هذا الموعد تقدم المانيا ما قيمته ٢٥ مليار مارك ذهبًا (أي ما يعادل المليار وربع المليار من الليرات اللبنانية حاليًا) وتسلم اسطولها التجاري ومقادير من الخشب والفحم الحجري والمعدات والمواشي والمواد الكيماوية تحسم قيمتها فيما بعد من اصل المبلغ الذي تقره اللجنة.

٤ – شروط مختلفة

- تتعهد المانيا باحترام استقلال النمسا.
- يعلن الدانوب والايلب (Elbe) وقناة كيال (Kiel) مجاري دولية تحترم فيها حرية الملاحة.
- تقر المانيا تسهيلات جمركية لدول الحلفاء.

المعاهدات الاخرى

ووقعت جملة معاهدات اتت مكملة لمعاهدة ڤرساي. تُوّجت كلها بميثاق عصبة الأمم، وعرفت باسم الأمكنة التي جرى فيها التوقيع وجميعها واقعة في ضواحي باريس.

آ – **معاهدة سان جرمان أُنلاي** (Saint Germain-en-Laye)، وبموجبها أقرت حدود جمهورية النمسا (١٠ ايلول ١٩١٩) المقتصرة على المناطق الالبية من الامبراطورية القديمة. وذلك يعني تقلصها بشكل يتعذر معه ان تكتفي ذاتيًا مما سيثير طمع المانيا باستمرار.

ب – **معاهدة نويّـي** (Neuilly) ٢٧ ت ٢ ١٩١٩، وقد فرضت على بلغاريا التنازل عن منطقة مقدونيا لليونان، وفيما بعد جاءت معاهدة سيڤر تعطي اليونان منطقة تراقية حتى ادرنه. وفرض على بلغاريا أيضًا ان تدفع مبلغ مليونين ونصف المليون فرنك فرنسي كتعويضات وان تسرح جيشها وتكتفي بخمسة وعشرين ألفًا فقط.

ج – **معاهدة تريانون** (Trianon) (٤ حزيران ١٩٢٠): واعترف بموجبها لهنغاريا (المجر) بالأراضي المأهولة بالمجريين. اما مناطقها السلاڤية فقد توزعتها دول بولندا وتشيكوسلوڤاكيا ويوغوسلاڤيا. فيما نالت ايطاليا تريستا (Trieste) ومنطقة ترانت؛ ورومانيا منطقة ترانسلڤانيا.

د – **معاهدة سيڤر** (١١ آب ١٩٢٠) (Sèvres). وقد قضت بتفكيك الدولة العثمانية؛ فأعطت تراقية مع ادرنة لليونان، ولم يبق لتركيا في اوروبا غير استانبول وضواحيها مع رقابة دولية على المضايق. واعتبرت ازمير منطقة

الرأي العام الالماني بعد معاهدة ڤرساي (١٩١٩)

« لو بحثنا كيف فسّرت غالبية الشعب الالماني هدنة ١١ ت ٢ ١٩١٨ والصلح الذي تبعها في حزيران ١٩١٩ ، وكيف وافته التفسيرات عن هذه الأحداث الحاسمة ، ثم ما هي الفكرة التي كوّنها عنها ، لوجدنا انفسنا امام الانطباع التالي :

« ان المانيا لم تغلب عسكريًا ؛ وجيشها لم يهزم في معركة فاضطرته هزيمتــه للاستسلام ؛ وحدودها لم تتعرض لاجتياح او احتلال ، بل كانت ضحية حصار قبل كل شيء ، تلك الوسيلة غير الانسانية في الحرب ، بحيث ان اعتماد حرب الغواصات ضدها بلا هوادة كان عملًا مشروعًا . وقد اثّر فيها من ناحية ثانية نص البنود الاربعة عشر التي عرضها الرئيس ويلسون في ك ٢ ١٩١٨ في خطابه للكونغرس كأساس يصاغ الصلح على اساسه » .

« واخيرًا كان العالم متحالفًا ضدها » .

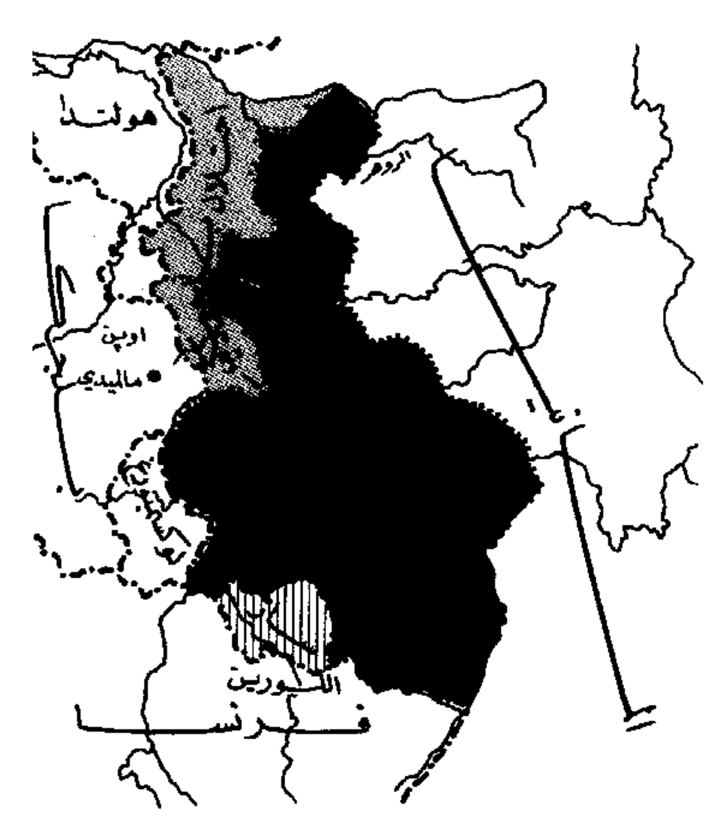
« لذلك طلبت الهدنة ، مدفوعة من قبل حكومتها المدنية واوساطها البرلمانية ، كمقدمة ضرورية لبدء مفاوضات الصلح ، وهو في ذهنها صلح يجب ان يجري بين انداد متساوين طالما لم يعد في الميدان لا غالب ولا مغلوب ؛ غير ان الشروط التي وضعها الحلفاء لمنح الهدنة اتت قاسية شأنها في ذلك كما لو كانت المانيا مغلوبة ؛ وكان بامكانها ان ترفضها وتعود الى القتال ، إلا ان الاشتراكيين الديمقراطيين والماركسيين واليهود ، في هذا الوقت ، قد وجهوا للوطن طعنة في ظهره ؛ فالمؤخرة خانت المقدمة ، واشعلت ثورة تعذرت معها كل مقاومة . »

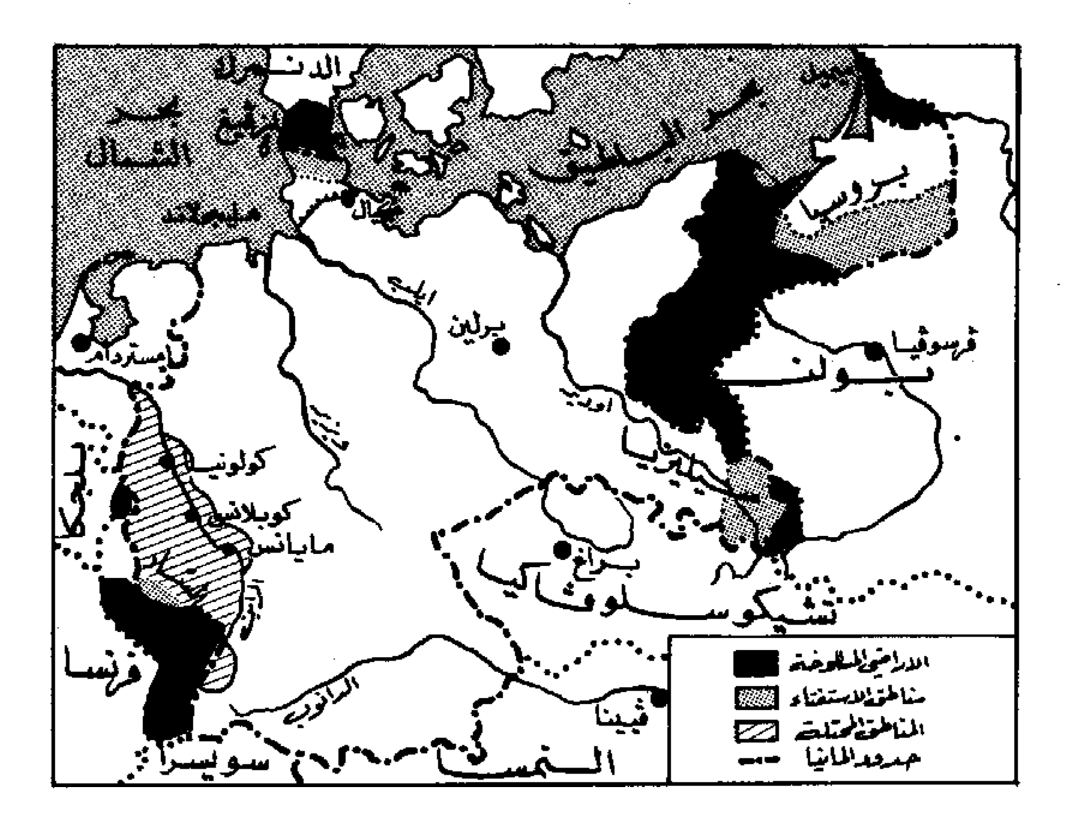
« وبعد ان جرّدها الحلفاء ، بموجب الهدنة ، من اسلحتها ووسائل دفاعها ، افادوا من ضعفها ؛ وعزلوا ممثليها في ڤرساي ورفضوا اعتراضاتهم واقتراحاتهم المضادة وكل مناقشة معهم ، وبعد المداورة رموا في سلة المهملات بنود ويلسون الازبعة عشر وقد لوّحوا بهــا كطعم . وتحت وطأة التهديد بالاحتلال ، أملوا على المانيا صلحًا مفروضًا (ديكتات) لم يعقد بحرية ؛ وبموجب مادة مثيرة للحقد في هذا الديكتات ، ألا وهي المادة ٢٣١ ، اجبروها على تحمل تبعة الحرب ليفرضوا عليها دفع تعويضات خيالية ؛ ومن ثم اوصدوا دونها باب الدخول الى عصبة الأمم . »

« ووقعت المانيا هذا الصلح المجحف ، لكونها مقيدة عاجزة عن ان تتصرف تصرفًا مغايرًا . غير ان هذا التوقيع المنزوع منها لا يقيدها ؛ والالمانيون سيحطمون القيود التي تثقلهم حالما يستطيعون الى ذلك سبيلًا . »

شولونبح — مانري — شيف
نصوص تاريخية — ص ٣٤ و ٣٥ ،
القسم الاول من القرن العشرين

ترجمة المؤلف





لويد جورج ومعاهدة الصلح
(٢٥ آذار ١٩١٩)

عند بدء مؤتمر الصلح كان لويد جورج ميالًا لمسايرة كليمنصو في فرض شروط قاسية على المانيا ، ومنذ آذار ١٩١٩ تبدّل موقفه ، وعرض وجهة نظره فيما يلي :

« ان الخطر الاكبر الذي اراه في الوضع الحالي هو ان تتجه المانيا نحو البولشفية فتقدّم الى متطرفي الثوّار ، الحالمين بغزو العالم بقوة السلاح ، مواردها وامكانياتها الفكرية وقدرتها الفائقة على التنظيم . فالحكومة الحالية ضعيفة لا رصيد لها ، وسلطتها موضع نقاش . واذا كانت لا تزال قائمة فذلك عائد لتردد السپارتاكوسيين ، والمانيا ليست مهيأة بعد لتقبل مثل هذا الأمر . »

« واذ كنا حكماء فلنقدم لها صلحًا عادلًا ، يفضله كل انسان متزن على البولشفية . ومن ثمّ لأضعنّ في رأس المعاهدة اننا سنبيح لها كل مذخرات المواد الأولية وكل اسواق العالم أسوة بنا ؛ واننا سنفعل كل ما بوسعنا لنؤمن لها انتعاشها ، اذا هي وافقت على بنود المعاهدة وبخاصة على دفع التعويضات .

فليس بامكاننا ان نعطّلها وننتظر منها ان تدفع . »

« وفي النهاية علينا ان نقدم لالمانيا صلحًا تستطيع كل حكومة مسؤولة فيها ان توقّعه وتؤمّل باحترام بنوده . فاذا قدمنا لها شروطًا مجحفة أو قاسية فستمتنع كل حكومة مسؤولة عن توقيعها . »

« وانسجامًا مع وجهات النظر هذه ، يبدو لي ان علينا الالتزام بعقد معاهدة صلح ، كما لو كنا حكمًا عادلًا تناسى كل جموح الحرب ، وعلى هذا الصلح ان يراعي امورًا ثلاثة ، اولها واهمها ان يعدل تجاه الحلفاء نظرًا لمسؤولية الالمان في المبادرة بهذه الحرب ودفعها . وثانيًا يجب ان تتمكن الحكومة الألمانية من توقيع هذه المعاهدة لاقتناعها بامكانية تنفيذ التزاماتها . وثالثًا يجب ان تخلو هذه المعاهدة من بذور كل حرب مستقبلة وان تأتي حلًا مقبولًا ومقاومًا للبولشفية ، لانها ستعتبر آنئذٍ لدى كل شخص مسؤول حلًا قانونيًا للمعضلة الاوروبية .

شولونج – مانري – سيف

نصوص تاريخية ص ٣٣ و ٣٤ ، القسم الأول من القرن العشرين

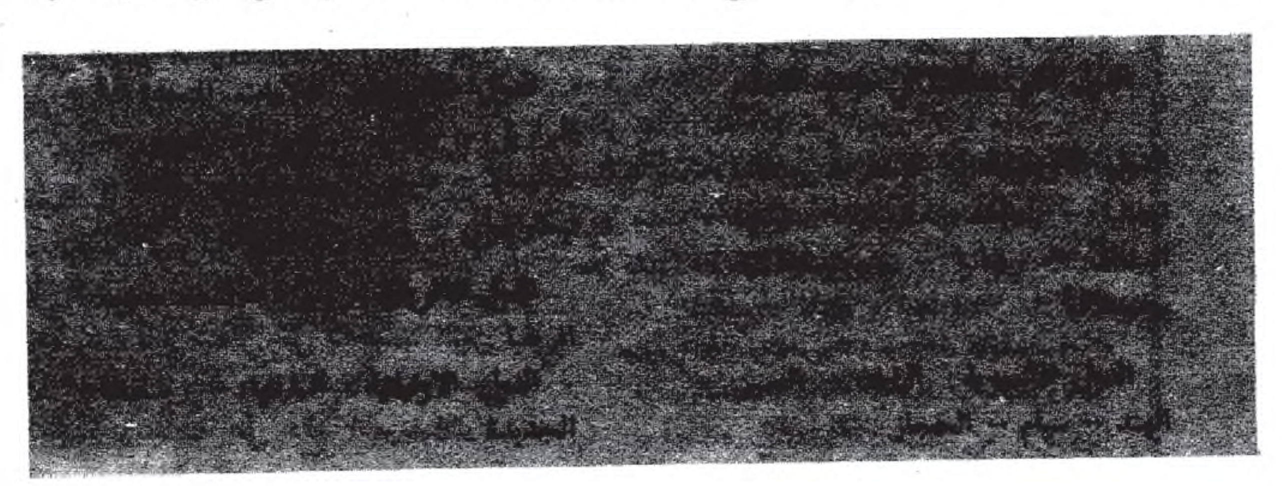
ترجمة المؤلف

مستقلة (أي ابقاء النفوذ اليوناني فيها). واعترفت معاهدة سيڤر كذلك باستقلال أرمينيا، وأعطت كيليكيا والكردستان لفرنسا، وأخضعت جنوبي الأناضول حتى ازمير (سميرنه) لايطاليا. وما تبقّى من تركيا قسّم الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية وايطالية ووضعت المناطق الاسيوية من الدولة العثمانية سابقًا تحت الانتداب. (انظر ص ٢٨).

ما بعد المعاهدات

قضت معاهدات الصلح على الامبراطوريات القديمة وما تمثله من استبداد. غير ان المبادئ السامية التي قال بها ويلسون لم توطد دعائم الديمقراطية في الدويلات المنبثقة عن هذه الامبراطوريات، خاصة في اوروبا الوسطى حيث تتشابك المناطق المأهولة بقوميات مختلفة. ولم يأت مبدأ «حق الشعوب في تقرير مصيرها» بما كان مؤمَّلًا منه، بعد ان اقتطُعت من المانيا مناطق مأهولة بالالمانيين (دانزيغ - الممر البولندي - اوپن وماليدي - وبوهيميا...) وبعد أن حرّم على النمسا، وقد قلّصت رقعتها، ان تنضم لالمانيا. وبسخط كلّي تقبل الالمانيون المادة ٢٣١ وما تفرضه عليهم من تعويضات اتت مضخمة بحيث اعجزهم الاستمرار في دفعها. (انظر ص ١٤).

واقتضى مرور سنتين قبل ان توقع الولايات المتحدة صلحًا منفردًا مع المانيا (١٩٢١). واقامت ايطاليا تتحين فرصة تمسح بها الاهانة التي لحقت بها من جرّاء تنكر حلفائها لها. وبقيت روسيا البولشفية وحدها تعاني من الحرب الأهلية ومن عداء الغرب لها. فكيف يمكن ان تنفذ بنود معاهدة ڤرساي والمعاهدات المكملة لها وكل بلد في اوروبا مقتنع بان عليه ان يعد العدة للمستقبل. لقد صح فيها القول بانها «معاهدة ويلسون على طريقة كليمنصو».





الوفد الالماني برئاسة مولر (مديرًا ظهره) اثناء توقيع معاهدة فرساي .

بنود ويلسون الاربعة عشر

١ – لا مؤتمرات سلم مغلقة او اتفاقات خاصة وسرّية بين الأمم ، بل ديبلوماسية تسعى في المستقبل لتأمين ما يراه الجميع ويرضون عنه .

٢ – الحرية المطلقة للملاحة البحرية خارج المياه الاقليمية ، في زمن السلم كما في زمن الحرب ، إلا في حال وجود بحار مغلقة كليًا او جزئيًا كبحر مرمره .

٣ – ازالة ما امكن من العقبـات الاقتصادية ، والمعاملة بالمثل من قبل جميع الدول المشتركة في اقرار السلم .

٤ – ايجاد الضمانات الناجعة لفرض حد أدنى من التسلح ، والاكتفاء بما يلزم لحفظ الامن الداخلي .

٥ – تسوية اوضاع المستعمرات مع وجوب مراعاة مصالح الشعوب المستَعمرَة والدول المستعمِرَة .

٦ – الانسحاب من المناطق الروسية ، مع الاقرار لروسيا بحق تقرير استقلالها وتنظيمها القومي ، وتقديم المساعدات المختلفة لها اذا لزم الأمر .

٧ – الجلاء عن بلجكا والاقرار بسيادتها وإلا تزعزعت كل مبادئ القانون الدولي .

٨ – تحرير الاراضي الفرنسية المحتلة ، وازالة الحيف اللاحق بها من جرّاء احتلال المانيا للالزاس واللّورين عام ١٨٧٠ ، الامر الذي هدد السلم العالمي مدة اربعين عامًا .

٩ – تصحيح الحدود الايطالية تبعًا للميول لدى شعوب مناطــق الحدود .

١٠ – الاقرار بحرية امم « النمسا – المجر » ، والاعتراف لها بمركزها بين أمم العالم وبحقها في تطوير اوضاعها الذاتية .

١١ – الجلاء عن رومانيا والجبل الاسود والصرب ، مع الاعتراف لهذه الاخيرة بمنفذ على البحر . على ان تنتظم العلاقات بين دول البلقان بتبادل وجهات النظر ومراعاة حقوق القوميات المختلفة .

١٢ – الحفاظ على سيادة المناطق التركية من السلطنة العثمانية . اما سائر القوميات الخاضعة لتركيا سابقًا فيُضمن حقها في البقاء والنمو الذاتي .

١٣ – إنشاء دولة بولندية تضم كل العناصر القومية البولندية ، مع اعطائهـا منفذًا على البحر تضمنه الاتفاقيات الدولية .

١٤ – إنشاء « جمعية عامة للامم » قائمة على علاقات واضحة ، غايتها توفير ضمانات متبادلة ومتساوية في الاستقلال السياسي والقومي بين كل الدول .

٢ الدُّول الأوروبيّة بعد ڤرساي

المنعزلان الكبيران !

قبل ان يوقع الالمانيون هدنة ريتوند بستة أيام فقط ، اسفرت الانتخابات العامة في اميركا عن هزيمة الديمقراطيين. فاحتل الجمهوريون أكثرية المقاعد في الكونغرس ، وبات على ويلسون ان يداريهم بعد ان هادنوه هم خلال فترة الحرب مغلّبين الشعور الوطني على النزاع الحزبي .

١ً – الولايات المتحدة تعود الى العزلة

وعند تأليف الوفد الأميركي الى مؤتمر الصلح ، انتقى ويلسون مرافقيه من الديمقراطيين باستثناء عضو جمهوري واحد. وانفرد بمشاريعه فألّب ضده كبار الساسة الاميركيين ، ولما عاد الى بلاده ، ولفترة وجيزة خلال شهر آذار ١٩١٩ ، امتنع عن التباحث مع اعضاء مجلس الشيوخ واشراكهم في مسؤولية سياسة اميركا الخارجية. حتى اذا عرضت معاهدة ڤرساي على مجلس الشيوخ في ت ٢ ١٩١٩ لم تنل اكثرية الثلثين الواجبة لاقرارها . وهكذا شاءت الظروف ان لا يقر الأميركيون ما كافح رئيسهم من أجله. وبعد عام واحد فاز بانتخابات الرئاسة الجمهوري هاردينغ (ت ٢ ١٩٢٠) وعادت الولايات المتحدة الى سياستها الانطوائية الماضية .

٢ً – روسيا

وكانت روسيا غائبة عن المؤتمر حاضرة في ذهن المؤتمرين، تهدم لتبني ، ضعيفة تهدد كل الأنظمة السياسية والاجتماعية، وتستعدي الغرب برعايتها الأممية الثالثة أو الكومينترن (أي الشيوعية العالمية) آذار ١٩١٩ ، تقاوم الجيوش البيضاء وتنتصر في النهاية غير انها تخسر بولندا الروسية وفنلندا ودول البلطيق الثلاث : استونيا وليتونيا وليتوانيا ثم بيسارابيا التي سلختها رومانيا وبعض مناطق الشرق الأقصى التي احتلتها اليابان. (انظر الحركة الشيوعية).

الدول المنتصرة

١ – فرنسا

آ – **الحالة السياسية** : عجز كليمنصو عن الوصول الى رئاسة الجمهورية رغم كل الأمجاد التي أحرزها ، وخلفه في رئاسة الوزارة ميلران (ك ٢ ١٩٢٠) ، فساندته كتل الوسط واليمين ضد المد الاشتراكي المتعاظم في فرنسا. وانصرف المسؤولون الى مواجهة ما خلفته الحرب من صعوبات وتدمير خاصة في الشمال



المؤتمر الاشتراكي (ك٢ ١٩٢٠) الذي ادى الى تفكك اليساريين.

والشمال الشرقي. ثم اخذت الأزمات تظهر، أولها أزمة اقتصادية نجمت عن ارتفاع نفقات المعيشة وأدت الى سلسلة من الاضرابات يغذيها اليسار المتطرف وانتشار الأفكار البولشفية. فواجهتها الحكومة بالاصلاح حينا (قرارات تحدد ساعات العمل بثمان يوميًا) وبالقمع حينًا آخر. وساعدها على السيطرة تفكك الحركة النقابية وانشقاق الحزب الاشتراكي الفرنسي (ك ١ ١٩٢٠) وانضمام الجزء الأهم منه الى الأممية الثالثة أو الكومينترن. (ص ١٩).

ب – **الأزمة المالية**: واضطرت فرنسا ان تستدين لترمم ما هدمته الحرب. غير ان تدني قيمة الفرنك الفرنسي نتيجة سندات الدين الداخلية والتضخم المالي بددا كل ما علقته فرنسا من آمال على «التعويضات الالمانية». فعمد بوانكاريه رئيس الوزارة (ورئيس الجمهورية السابق) الى احتلال منطقة الروهر الالمانية، متحديًا الرأي العام العالمي (١٩٢٣) (انظر ص ٣٢). ورغم ذلك عجزت فرنسا عن وقف انهيار الفرنك عام ١٩٢٦. وكلّف بوانكاريه ثانية بتأليف الوزارة خلفًا للاشتراكي هيريو Herriot، فتسلح بسلطات استثنائية ليفرض اصلاحات عديدة وضرائب جديدة؛ فعادت بذلك الثقة وارتفعت قيمة الفرنك (١٩٢٨) دون ان تستعيد مستواها السابق. (انظر ص ٢٣ و ٢٩).

واستطاعت فرنسا بعد ذاك ان تستمر في أعمال الترميم. فيما ازدادت صادراتها وانفرجت أوضاعها الاجتماعية. ورضي العمال عن قانون الضمان الاجتماعي، ورحب الفرنسيون كافة بقانون مجانية التعليم الثانوي. غير ان الأزمة الاقتصادية الكبرى كانت على الأبواب.

٢ – بريطانيا

أ – **الحالة السياسية**: استمر لويد جورج رئيسًا للوزارة البريطانية حتى سنة ١٩٢٤. ومعنى ذلك ان الحرب لم تفرض على انجلترا أي تبديل في نظامها السياسي. فبقيت محافظة على تقاليدها، باستثناء اعطائها المرأة حق الانتخاب (منذ شباط ١٩١٨) مكافأة لها على خدماتها في حقل الانتاج. ونجم عن هذه الخطوة ارتفاع ضخم في عدد المقترعين افاد منه حزب العمال ليحتل نصف مقاعد البرلمان البريطاني تقريبًا، فارتفع عدد نوابه من ٥٧ الى ١٤٢ في انتخابات ١٩٢٣، وأصبح بذلك أكبر منافسي حزب المحافظين فيما أفل نجم حزب الأحرار برئاسة لويد جورج نفسه، واستطاع الزعيم العمالي مكدونالد ان يؤلف الوزارة مرتين (في ١٩٢٤ و ١٩٢٩).

ب – الأزمة الاقتصادية: وكان على انجلترا ان تداري مشكلاتها الاقتصادية وقد ضخمتها الحرب؛ من ارتفاع أجور العمال وكلفة الانتاج، الى مضاربة الدول النامية، الى الاقبال على استعمال الكهرباء والبترول فيما اتكال بريطانيا على الفحم بالدرجة الأولى، فعجزت المصانع عن تحديث أجهزتها، وقل التصريف وانتشرت البطالة حتى نيّف عدد العاطلين عن العمل على المليونين والنصف، فانهارت حكومة العمال لتخلفها حكومة المحافظين (١٩٢٥).

وحاول الزعيم المحافظ بلدوين (Baldwin) ان يعيد الى لندن مركزها المالي الاول، غير ان الوقت قد فات؛ فارتفاع اسعار البضائع البريطانية سد في وجهها الأسواق الخارجية. فصمم بلدوين ساعتئذ على خفض اجور العمال كوسيلة لخفض كلفة الانتاج وتنشيط الصادرات؛ ولما عارضته النقابات واجهها بتشريعات تعتبر الاضراب الموجه ضد الحكومة غير شرعي وتحظر على الموظفين الانضمام الى النقابات. غير ان ما ضايقه هو اضراب عمال المناجم (عام ١٩٢٦) الذي استمر ستة أشهر، وترك مضاعفات خطيرة على الاقتصاد البريطاني بلغت ذروتها مع أزمة ١٩٢٩. وبات على بريطانيا ان تقتنع بانها لم تعد القوة الاقتصادية الاولى في العالم. (انظر ص ٢٣ و ٢٩).

ج – مشكلة ايرلندا: وافقدت الحرب انجلترا سطوتها على ممتلكاتها في الخارج، وبنوع اخص في ايرلندا ومصر والهند. ففي ايرلندا استفاد غلاة الوطنيين من فترة الحرب ليعلنوا استقلال البلاد والنظام الجمهوري (١٩١٨). فردت بريطانيا بتدابير قمعية قاسية انتهت باتفاق بين المعتدلين الايرلنديين ولويد جورج على اقامة «دولة ايرلندا الحرة» واعطائها حكمًا ذاتيًا يعترف بسلطة التاج البريطاني، ويمثل ملك بريطانيا فيها حاكم تعينه حكومة لندن. بينما بقي الشمال الشرقي من ايرلندا – منطقة اولستر – مرتبطًا بانجلترا، مع وضع خاص يسمح لها باقامة مجلس تمثيلي في بلفاست العاصمة.

وما لبثت القضية ان استفاقت عام ١٩٣٧ حين رفض المسؤولون الايرلنديون (برئاسة دي ڤاليرا de Valera) هذا الوضع واصروا على الاستقلال التام، فكان لهم ما ارادوا واعلنت جمهورية ايرلندا. غير ان انجلترا لم تقبل بضم اولستر الى ايرلندا، وما برحت القضية متفاعلة حتى اليوم.

٣ – ايطاليا

خرجت ايطاليا مـن الحرب منتصرة وانما بنفسيـة المهزوم . فلم تسلّم لها معاهدات الصلح بمـا وعدهـا بـه حلفاؤها ساعة خاضت الحـرب (١٩١٥). وارغمت على التخلّي عما كانت تحتله على الادرياتيك فشعرت باهانة المغلوب ، وتجلّت نقمتها في الحملة التي شنها غلاة الوطنيين بقيادة الضابط الشاعر دانونزيو على مرفأ فيومي (Fiume) قبل ان يبت بأمره مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ؛ غير ان معارضة ويلسون ارغمت ايطاليا على التراجع عن هذا المرفأ (في مطلع عام ١٩٤١).

وفي مؤتمر الصلح بالذات لم تعامل ايطاليا بما يناسب التضحيات التي قدمتها خلال الحرب. ولم يعبأ «الثلاثة الكبار» لمقاطعة اورلاندو لجلسات المؤتمر مدة اسبوعين ، لكونه «عاجزًا عن عرقلة السلم بقدر عجزه عن تحقيقه». واقترنت هذه الازمة النفسية بأزمات اقتصادية ومالية مستعصية ، وانتشرت البطالة ومعها الأفكار البولشفية ، فارتمى اليمينيون في أحضان موسوليني ومهدوا له طريق الحكم .

الدول المهزومة
١ – المانيا

أ – **فشل الشيوعية** : قبل ان توقع المانيا هدنة ريتوند (١١ ت ٢ ١٩١٨) اندلعت فيها الثورة ، وتنازل الامبراطور وليم الثاني عن العرش. فاعلن الاشتراكيون الديمقراطيون المعتدلون الجمهورية برئاسة ايبر (Ebert) ، ودعوا لانتخابات جديدة اعطيت فيها المرأة حق الاقتراع .

وافتقرت الجمهورية الجديدة الى السلطة ، وعصفت فيها الاضطرابات فتجرأ عليها متطرفو الاشتراكيين ويدعون السپارتاكوسيون (نسبة الى العبد سپارتاكوس الذي ثار على روما في القرن الأول ق.م.) بقيادة ليبناخت Liebnecht وارادوا اعتماد حكم شيوعي على غرار روسيا يبرز فيه نفوذ مجالس العمال (أو السوفيات) ودكتاتورية البروليتاريا. فأثاروا بذلك حفيظة الاشتراكيين المعتدلين فطلبوا مساعدة الجيش الذي لم يكن قد سرح بعد. فعرفت البلاد «اسبوعًا أحمر» (من ٦ الى ١١ ك ٢ ١٩١٩) وقمعت الحركة السپارتاكوسية وقتل ليبناخت. وتلت القمع انتخابات جديدة، وأقرت الجمعية المنتخبة دستورًا جمهوريًا رغم تحاشيها استعمال لفظة جمهورية للتعبير عن نظام الحكم ، بل ابقت على اسم الرايخ.



بلدوين رئيس الوزارة البريطاني

الوضع المالي في فرنسا عام ١٩٢٦

من خطاب بوانكاري في المجلس النيابي الفرنسي القاه في ٢ شباط ١٩٢٨ : « ايها السادة ، لا يسعني ان اتذكر دون ارتعاش تلك الحالة التي وصلنا اليها في نهاية تموز ١٩٢٦ . فلم تكن وليدة ليلتها او قبل ليلتها ، بل تعود الى زمن ابعد . ففي ٢٤ تموز وصل احتياط الدولة المالي في مصرف فرنسا – كما تعلمون – الى مليون فرنك ، فكيف نؤمن التزامات آخر الشهر ، ومن ناحية ثانية كيف ندفع السندات المستحقة على الخزينة من اجل الدفاع الوطني ، وهي في قيمتها تتعدى كل ارقام الاصدار الممكنة ؟ »

« انه لتهديد جديد بالتضخم المالي ، علينا ان نواجهه ولم تمض بعد بضعة اشهر على زيادة النقد المتداول . فقد كنا معرضين للانجراف تدريجيًا في منزلق خطر . »

« وموازنة عام ١٩٢٦ نفسها ، هـذه الموازنة التي كنا ننفق بموجبها ، كانت في عجز . وما لبثت موازنة ١٩٢٧ ان بدت بمظهر أسوأ ، فيما اقرت نفقات جديدة في صلب ميزانية ١٩٢٧ ، من اجل المرتبات ونفقات المعيشة ، قبل ان تتألف الوزارة الجديدة . ولـما تألفت الحكومة تعيّن عليها ان تلحظ موارد جديدة تسد عجز مليارين عـن سنة ١٩٢٦ ثم سبعة مليارات ، اي ما مجموعه تسعة مليارات عن سنة ١٩٢٧ . فقد كان واجبنا الأول اذًا اعادة التوازن المفقود . »

« وكذلك ترتب علينا عند تأليف الحكومة ان نسدد ديونًا خارجية ضخمة مستحقة : في ١٨ و ٢٥ آب ١٩٢٦ مبلغ ثلاثة ملايين وخمسمائة الف ليرة لمصرف انجلترا ؛ وفي ١٥ ايلول مبلغ مليوني استرليني للدولـة البريطانية ؛ وفي ١٧ ايلول مبلغ مليون وخمسمائة الف بيزوس ذهبي للاوروغواي . »

« وكان علينا ايضًا ان ندفع الفوائد المترتبة منذ اول آب حتى اول تشرين اول : مليون وسبعمائة الف ليرة (استرلينية) و ١٣ مليون وخمسمائة الف دولار . وفي هذا الوقت كم فرنكًا كان علينا ان ندفع مقابل الحصول على ليرة (استرلينية) او على دولار ؟ ففي عشرين تموز ١٩٢٦ وصل السعر في السوق المالية الى (٤٩,٢٢) فرنك مقابل الدولار الواحد ، او الى (٢٤٠,٢٥) فرنك مقابل الاسترليني الواحد . وغدا متعذرًا شراء النقد النادر دون التسبب في ارتفاع شديد لاسعار العملة . كل ذلك في وقت كانت السحوبات من الاحتياط تتعدى بكثير الرصيد ، فعم الذعر في كل مكان . »

شولونج ، مانري ، سيف
نصوص تاريخية – ص ٥١ ، القسم الاول
من القرن العشرين

ب - «**جمهورية ويمار**»: واجتمعت الجمعية الجديدة في ويمار (Weimar) احدى مدن الساكس. واختيار ويمار عائد لامرين اولهما ان حفظ الأمن فيها أسهل منه في العاصمة برلين، وثانيهما الظهور امام الحلفاء بمظهر من يريد ان يطلّق الوضع القديم ليفتح صفحة جديدة في العلاقات. وفي اولى الجلسات التي عقدتها الجمعية انتخب ايبير رئيسًا للرايخ وظل في هذا المنصب حتى شباط ١٩٢٥. وكلف شيدمان بتأليف الوزارة غير انه ما لبث ان استقال حتى لا يوقع معاهدة ڤرساي، فخلفه بوير (Bauer) وقبل بها مرغمًا.

وبالرغم من الصبغة الديمقراطية التي اعطيت «لجمهورية ويمار»، لم يبدل الدستور كثيرًا في وضع البلاد؛ بل ابقى على الصبغة الاتحادية القديمة مع التشديد على المركزية. واستمرت السلطة التشريعية موزعة بين مجلسين احدهما له صفة الشورى فقط واسمه المجلس الاتحادي Reichsrat والثاني يضطلع بمسؤولية التشريع وله حق محاسبة الحكومة وهو مجلس النواب Reichstag . وحلّ محل الامبراطور رئيس منتخب لمدة سبع سنوات (كان ايبير اول رئيس)، يناط به أمر تعيين مستشار (رئيس وزارة). وقد خوّل الدستور الرئيس حق اخضاع القوانين التي يقرها المجلس لاستفتاء شعبي قبل ان يوقعها هو، كما خوله حق حل المجلس. وبذلك اضحت السلطة التنفيذية أقوى من السلطة التشريعية. وأخيرًا اقر الدستور تكوين «مجلس اقتصادي» يوجه التشريع الاقتصادي ويتمثل فيه العمال، وأرباب العمل والصناعة والتجارة والزراعة، والمستهلكون.

ج - **الوضع النفسي والاقتصادي**: وكانت مهمة الحكم شاقة؛ عليها ان تنهض بالبلاد، وان تداري النقمة المتعاظمة يومًا بعد يوم. فثمة من لم يقروا بخيبة الجيش الالماني لانه لم يهزم فوق الأراضي الالمانية؛ وثمة المعترضون على المادة ٢٣١ لانها تضع المسؤولية القانونية على المانيا وحدها، وتفرض عليها تعويضات ضخمة لفرنسا وانجلترا وايطاليا وبلجكا والصرب ورومانيا واليونان...؛ وثمة من لم يغفروا للمسؤولين موافقتهم، ولو مرغمين، على معاهدة ڤرساي التي تسلخ عن المانيا سبع مساحة أراضيها وعشر سكانها دون ان تراعي مبدأ القوميات الذي قال به ويلسون. مما حدا بالمتطرفين اليمينيين ان يعمدوا

للاغتيالات فأودوا بحياة أكثر من ٣٥٠ شخصية سياسية.

وتفشت البطالة نتيجة لتسريح الجنود، فبلغ عدد العاطلين عن العمل عشرة ملايين. وشح التموين، وفي الوقت الذي ازداد التضخم المالي وقع الاحتلال الفرنسي والبلجيكي في منطقة الروهر (١٩٢٣) لارغام المانيا على الاستمرار في دفع التعويضات. فانفجرت النقمة في ميونيخ حيث حاول اليمينيون والملكيو الميول انقلابًا فاشلًا تزعمه لودندورف (احد ابطال الحرب) وتواطأ معه الحزب الوطني الاشتراكي المغمور وعلى رأسه ادولف هتلر.

٢ – النمسا والمجر

وتفككت امبراطورية آل هابسبورغ النمساوية المجرية «كأثاثٍ رثٍّ تحطم» وأعلنت الجمهورية في النمسا واقتصرت حدودها على المنطقة الالبية. وتوزعت الدول الوليدة ما تبقى منها، وباتت غير قادرة على الاكتفاء الذاتي. فعمتها موجة استياء شامل.

وعصفت بالمجر أزمة داخلية، فاستولى الشيوعي بيلا كون (Bela Kun) على الحكم في بودابست مدة اربعة أشهر (في آذار ١٩١٩). ولما استقرت الأمور عارض الحلفاء وبنوع أخص يوغوسلاڤيا وتشيكوسلوڤاكيا عودة آل هابسبورغ الى الحكم فاستقر الرأي على ابقاء العرش شاغرًا وتعيين وصي هو الأميرال هورثي (Horthy).

وعز على المجريين ان تسلخ عنهم معاهدة تريانون المناطق السلاڤية، فما انفكوا يعترضون حتى اثاروا حفيظة الدويلات المستفيدة من هذه المعاهدة، أي: تشيكوسلوڤاكيا ويوغوسلاڤيا ورومانيا. فألفت فيما بينها «الاتفاق المصغر» (١٩٢١) وغايته السعي لتجميد الوضع في اوروبا الوسطى.

الدول الوليدة

أ – **قيام الدول**، والمقصود بها الدويلات الخمس الناجمة عن تفكك الامبراطورية النمساوية المجرية وتقلّص المانيا، أي: بولندا ورومانيا وتشيكوسلوڤاكيا ويوغوسلاڤيا والمجر. وقد رافق قيامها مشاكل نابعة من وضعها السياسي والدستوري الجديد؛ ذلك ان المناطق التي تألفت منها جعلت متعذرًا على سكانها التفاهم بسهولة (بولندا استعادت مناطق كانت قد اقتطعتها منها كل من بروسيا والنمسا وروسيا – ورومانيا زيد عليها منطقتا ترانسلڤانيا

وبيسارابيا – وتشيكوسلوڤاكيا تألفت من بوهيميا وموراڤيا وشمال الكرپات – ويوغوسلاڤيا جمعت بين الصرب والجبل الأسود والبوسنه والهرسك وكرواتيا) وبدا طبيعيًا ان يفشل تطبيق النظام الديمقراطي في هذه الدول ويجنح رؤساؤها نحو الدكتاتورية. ففي بولندا ادت النزاعات الحزبية الى عرقلة اعمال البرلمان، فاستبد المارشال پيلسودسكي (Pilsudski) رئيس الجمهورية (منذ ١٩٢٦ حتى موته عام ١٩٣٥). واستفاد ملك يوغوسلاڤيا اسكندر من نزاع الأحزاب الوطنية فيما بينها ومن تهديد ايطاليا المستمر للمناطق اليوغوسلاڤية على الادرياتيك ليتجاهل النظام البرلماني ويستبد منذ ١٩٢٨ حتى تاريخ اغتياله عام ١٩٣٥. وفي رومانيا تأخر ظهور الدكتاتورية – غير ان الملك استبد بعد ظهور الخطر النازي. وفي المجر مارس الوصي الاميرال هورثي «الارهاب الابيض». فيما بقيت تشيكوسلوڤاكيا وحدها محافظة على الديمقراطية بقيادة مازاريك (Mazaryk) حتى ١٩٣٥ ثم بقيادة بينيس (Bénès) حتى تاريخ استيلاء هتلر عليها. (انظر الخريطة السفلى ص ٩٩).

ب – مشاكل الحدود: اختفت بولندا عن خريطة اوروپا منذ ١٧٩٥ وتقاسمتها دول روسيا والنمسا وبروسيا. ومع بعث هذه الدولة القديمة بحدود جديدة تبدأ مشكلة حدودها مع جيرانها. فلم يفتر اعتراض الالمانيين يومًا على اعطائها ممرًا يصلها بمرفأ دانزيغ ويعزل بروسيا الشرقية عن باقي المانيا. واهتمت عصبة الأمم ومن ورائها كل اوروپا بوضع حدود نهائية لها فأجرت استفتاءين اولهما بشأن أراضي بروسيا الشرقية (١٩٢٠) فكان ان بقيت لالمانيا، والثاني (١٩٢١) قضى بقسمة سيليزيا العليا بين المانيا وبولندا.

وفي الشرق اقرّت معاهدة ريغا (Riga) ١٩٢٠ حدود بولندا مع روسيا، فاحتفظت بولندا بمناطق اوكرانية مأهولة بالروس. وأثار احتلال بولندا لمدينة ڤيلنا (Vilna) عاصمة ليتوانيا القديمة خلافًا بين البلدين. وتجاهلت بولندا رغبات غاليسيا النمساوية عندما ضمتها اليها فيما سكانها يطالبون بالانضمام الى اوكرانيا الروسية. ومع تشيكوسلوڤاكيا كان الخلاف حول منطقة تيشين الغنية بالفحم (Teschen) في سيليزيا، فكان ان قسمت بين البلدين، وسكتت بولندا على مضض بانتظار استرجاعها. (انظر الخريطة العليا ص ٩٩).



من مشاهد ازمة الفرنك الفرنسي عام ١٩٢٦

وكذلك برزت مشكلة الحدود بين يوغوسلاڤيا وايطاليا ، فاحتل موسوليني مرفأ فيومي (١٩٢٤) وأقرت عصبة الأمم بالأمر الواقع فانهت الوضع الدولي الذي اعطي لهذه المدينة مذ طرد منها دانونزيو .

ج - **مشكلة الاقليات** : ومن التركيب الاقليمي والجغرافي لهذه الدول تنبع مشكلة الأقليات . فقد تجاورت شعوب عديدة ومختلفة فوق هذه البقعة من اوروپا حتى بدت «مرقطة كجلد الفهد». وحاولت الأكثرية في كل بلد ان تستأثر بمقاليد الأمور فيما تطلعت الأقليات الى حماية خارجية ، وباتت كل دولة مهددة في وحدتها . ففي بولندا يعيش مليونا ألماني وبضعة ملايين من الاوكرانيين الروس ، وهذا ما شجع هتلر وستالين على اقتسام بولندا فيما بعد . وفي رومانيا يقطن أكثر من مليون مجري (في ترانسلڤانيا) وحوالى المليون روسي . وفي بوهيميا من تشيكوسلوڤاكيا يقطن ثلاثة ملايين من الالمانيين سيطالب هتلر بضمهم الى المانيا . وبعد هذا كيف يمكن ان يهدأ الوضع في اوروپا ؟

الدول الأخرى

اما في تركيا فقد محت معاهدة لوزان (١٩٢٣) كل اثر لمعاهدة سيڤر فاستعاد مصطفى كمال تراقية وادرنه حتى نهر ماريتسا. وفي مؤتمر مونترو (Montreux) بسويسرا الغيت الامتيازات الأجنبية ، وأضحت الجمهورية التركية بمنأى عن كل تأثير أجنبي .

وممّا تبقى من دول اوروپا لا مجال للاحاطة بأوضاعها نظرًا لدورها الضئيل في الفترة التي تلت ڤرساي مباشرة ، باستثناء سويسرا حيث اضحت جنيف عاصمة العالم السياسية .

الاضراب العام في بريطانيا

من مقال نشرته جريدة التايمس اللندنية في ٦ ايار ١٩٢٦ ، وهو يعبر في الدرجة الاولى عن سخط رجال الاعمال البريطانيين.

« ان الامة التي حملت الحكومة الدستورية الى الحكم باكثرية عظيمة مدعوة اليوم لدعمها ضد اعلان الاضراب العام ... وهي لن تتحمّل اي هيئة تستمد منها سلطتها، مهما بلغت هذه الهيئة من التنظيم ، لتحل محل البرلمان وتدوس ارادة الشعب تحت اقدامها ... فالشعب قد تتبع بكثير من العطف والاعجاب الحار جهود الحكومة المتواصلة للوصول الى حل مسالم للخلاف ولتجنب مساوئ الاضراب العام . والامة قد منحت الحركة النقابية ثقتها وموافقتها طالما لم تحد عن المبادئ الحقة والخط الشرعي ؛ غير ان عطف الشعب وحسن نواياه لن يعمياه عن رؤية الاضرار المؤذية التي يكبده اياها الاضراب العام . والمضربون يحملون الامة أذىً ضخماً وخطيراً ؛ ولا عطف الشعب ولا حسن نواياه يمنعان الامة من شجب هذا الاذى بمثل ما يستحق . »

شولونج – ماتري – سيف
نصوص تاريخية – ج ١ ص ٦٧
ترجمة المؤلف



وزارة هيريو (١٩٢٤)



ارستيد بريان



وزارة بوانكاريه (١٩٢٦)

٣ أوضاع أوروپا بعد الحرب

ما هدرته الحرب لا ترجعه المعاهدات. فما لبثت الأزمات ان عصفت من كل جانب، تعقدت وتشابكت حتى بدت مستعصية الحل . فما ابعد اوروپا عن الاستقرار .

البلبلة الاقتصادية

قبيل اندلاع الحرب ، كانت اوروپا – الغربية منها بنوع خاص – مركز الثقل في عالم الاقتصاد . وما وضعت الحرب اوزارها حتى بدأ الرأي العام الاوروپي يمنّي النفس باستعادة يساره المادي ، وسرعان ما اكتشف ان البحبوحة شيء غير ممكن توًا. ولما حاولت الدول استعادة نشاطها الاقتصادي السابق ألفت نفسها مدينة للولايات المتحدة بمبلغ ١٨ مليار دولار ، رساميلها عاجزة، منشآتها مهدمة ، مواصلاتها مشلولة. وتضخم عدد العاطلين عن العمل نتيجة تسريح الجيوش، وشح التموين، وارتفعت الأسعار . وبعد ان استقامت الأمور مؤقتًا انخفضت الأسعار فجأة عام ١٩٢١ فسببت سلسلة من الافلاسات والانهيارات المالية .

وفقدت اوروپا أسواقها الخارجية بعد اضطرار الدول النامية الى الاتكال على نفسها ، فانقلبت دولًا مضاربة. وأغلقت دول اوروپا حدودها الجمركية، منعًا للاستيراد وتنشيطًا للانتاج الوطني ، فاكتفت ذاتيًا. ولما تضخم انتاجها وتعذّر التصريف شاعت البطالة مجددًا. وما انقضى عام ١٩٢٩ حتى بدأت الأزمة تتفاعل عالميًا.

الأزمة المالية

واقترنت الازمة الاقتصادية بأخرى مالية؛ لأن الدول – وهي مدينة في معظمها – قد وضعت في التداول مقادير ضخمة من النقد الورقي ، فتضاءلت التغطية الذهبية وعم التضخم المالي حتى بلغ حدًا خياليًا في المانيا (١٩٢٣). وانهار الكورون النمساوي، وخفض الفرنك الفرنسي مرارًا حتى استقرت قيمته عام ١٩٢٨ على خمس تغطيته الذهبية اصلًا. وانخفضت قيمة الاسترليني بالنسبة للدولار ، فافتقرت الصناعة الى التمويل. وارتفعت الأسعار فخف استهلاك البضائع مما هدّد المصانع بالتوقف والعمال بالبطالة.

وحيال هذا التضخم المالي، ضاعت الثقة بالنقد المتداول، وضاع الأساس المتبع في تحديد قيمته بالنسبة للعملات النادرة كالاسترليني والدولار. واضطرت الحكومات ان تدعم نقدها ففرضت السعر الرسمي؛ مما ادّى الى تعطيل التجارة العالمية والعودة الى نظام المقايضة احياناً.

الاضطرابات الاجتماعية

وجاءت الاضطرابات الاجتماعية نتيجة حتمية للفوضى الاقتصادية. وشاعت الافكار البولشفية عبر كل اوروپا. فاستقطبت الأممية الثالثة أو الكومينترن (آذار ١٩١٩) معظم الفئات اليسارية. واضحت، بوحي من تروتسكي وسائر زعماء موسكو، اداة تزرع الثورة الاجتماعية والسياسية في كل انحاء العالم. فتركت ردات فعل مباشرة في ايطاليا وهنغاريا والمانيا، واستعجلت اقرار توزيع اعدل في الملكيات الزراعية خاصة في بعض بلدان اوروپا الشرقية (تشيكوسلوڤاكيا – رومانيا) والشمالية (دول البلطيق).

وعانت الطبقات الوسطى من تبلبل الأوضاع وارتفاع الأسعار، فيما ازدادت أرباح المحتكرين ومعظم أرباب الصناعة والمصارف. وحظي العمال بتشريع خاص يفرض على أرباب العمل ألّا يستخدموهم أكثر من ثماني ساعات في اليوم (أو ٤٨ ساعة في الاسبوع). وأُقرّت لهم ضمانات خاصة في حالة المرض والبطالة والحوادث وحدٌّ ادنى للأجور. غير ان تفاقم البطالة أزّم وضعهم مرارًا، خاصة بعد عام ١٩٢٩ حيث بلغت الأزمة الشاملة ذروتها.

واستفادت المرأة بدورها؛ لان الحرب قد اودت بعدد ضخم من الذكور (١٣ مليون)، فعبّأت الاناث الفراغ الحاصل في المصانع. ونتيجة لذلك اعترفت لها بعض الدول بحقوقها السياسية، كانجلترا والمانيا حيث سمح لها بالاقتراع، فتساوت بالرجل في أكثر من ميدان.

العلاقات السياسية

برز لدى الشعوب المغلوبة ميل لنقض مقررات مؤتمر الصلح. وأبدت الدول المنتصرة امتعاضًا من أكثر الشروط؛ فكان هذا الموقف المتناقض سببًا في انطلاق أزمات سياسية معقدة استمرت حتى عام ١٩٢٤، وتلاها استقرار عابر دام حتى نشوب الأزمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩. أما أبرز هذه الأزمات فكانت:

١ – التعويضات الألمانية

لقد اقرت معاهدة ڤرساي تعيين لجنة تحدد قيمة المبالغ التي بموجبها تعوض المانيا عما الحقته بالحلفاء من أضرار خلال الحرب. فقضى تقرير اللجنة (أيار ١٩٢١) بأن تدفع المانيا ١٣٢ مليار مارك ذهبي، (حصة فرنسا منها ٥٢ بالماية، بريطانيا ٢٢ ٪، ايطاليا ١٠ ٪، بلجكا ٨ ٪، الصرب ٥ ٪ ثم ٣ ٪ موزعة على رومانيا والبرتغال واليابان واليونان). واستطاعت المانيا في البدء ان تدفع، اذ سرعان ما استعادت قدرتها على الانتاج بسرعة فمصانعها لم تدمر ومنشآتها سليمة قادرة على الانطلاق مجدداً. غير ان تدني قيمة المارك اعجزها عن الاستمرار في الدفع. وتذرع پوانكاريه بتأخر المانيا عن تسليم ما فرض عليها من فحم وخشب ليتفق مع بلجكا على احتلال منطقة الروهر، رغم اعتراض بريطانيا الشديد واستياء الرأي العام الدولي (مطلع ١٩٢٣) ولم ينهض المانيا من ازمتها إلاّ خطة داويز ثم خطة يونغ. (انظر ص ٣٣ و ٣٧).

أ – خطة داويز (Dawes)، وعبثًا احتج الالمانيون وقاوموا وعمدوا الى التخريب لاحراج الاحتلال الفرنسي البلجيكي في الروهر. وانهار المارك الالماني (منذ آب ١٩٢٣) وشُلّت الصناعة والتجارة وشاعت البطالة. وتتالت الأزمات الوزارية فبرزت المنافسة السياسية بين برلين العاصمة وميونيخ حتى كادت البلاد تتعرض للانقسام على نفسها. وفي هذا الجو المحموم ظن الحزب الوطني الاشتراكي انه قادر على القيام بانقلاب ففشل وسجن ادولف هتلر.

ونجحت وساطة بريطانية في تكليف لجنة خبراء ترأسها الأميركي داويز، فوضعت خطة جديدة للاستمرار في دفع التعويضات، فأشاعت الطمأنينة (١٩٢٤). وقضت الخطة بان يمد الحلفاء خاصة الولايات المتحدة المانيا بمساعدات مالية تدعم بها نقدها واقتصادها؛ وحددت المبالغ المتوجبة لفرنسا فوزعتها على خمس سنوات تدفع قيمتها من عائدات الجمارك والسكك الحديدية وبعض الضرائب غير المباشرة على ان تترك لالمانيا حريتها في وضع ميزانيتها. فجلت فرنسا وبلجكا عن الروهر (بعد ان امتصت فرنسا منها ما مقداره مليار ونصف)، واستعادت المانيا نشاطها الاقتصادي وتدفقت عليها الرساميل وارتفعت قيمة المارك (ت ١ ١٩٢٤)، وادى اليسار المادي الى انتعاش الفئات اليمينية فاختارت المارشال هندنبرغ رئيسًا للرايخ (شباط ١٩٢٥).



من مشاهد احتلال الروهر

كيف اوقف الالمانيون «المقاومة السلبية» لاحتلال الروهر

من خطاب لستريزمان رئيس الحكومة الجديد بعد الاحتلال (٢٠ ايلول ١٩٢٣)

«في ١ ك ٢ (١٩٢٣) احتلت الجيوش الفرنسية والبلجيكية منطقة الروهر غير آبهة بالقانون وبالمعاهدات. وباتت الروهر وريناتيا في حالة عوز وفاقة؛ وطرد اكثر من مئة وثمانين الف الماني بين رجل وامرأة وشيخ وطفل من منازلهم، وانتفى بالنسبة لملايين الالمانيين مفهوم الحرية الشخصية. ورافقت الاحتلال اعمال عنف متعددة اودت بحياة مئة من المواطنين، فيما اودع مئات آخرون السجون. ومقابل هذا الاجتياح واللاشرعية ساد شعور بالحق والوطنية، ورفض السكان العمل في ظل الحراب الاجنبية. وعبّر الشعب الالماني برمّته عن امتنانه للصمود والامانة تجاه الرايخ في هذا الوقت العصيب. واهتمت حكومة الرايخ، ما امكنها، بهؤلاء المواطنين المعوزين، وتوجهت بالنداء الى مختلف الهيئات. وقد تدفقت خلال الاسبوع المنصرم معونات للروهر وريناتيا وصلت الى ٣٥٠٠ مليون مارك مع امكانيات بلوغها ضعف هذا المبلغ خلال الاسبوع الجاري. وانهار مستوى الانتاج في الروهر وريناتيا، وتبلبل الوضع الاقتصادي في المناطق الالمانية محتلّة كانت او غير محتلّة. ورغم التمكن من الاحتفاظ بما اتخذ من تدابير بصعوبة كلية، فان الخطر بدأ يهدد باستحالة خلق نقد ثابت وضمان استمرار الحياة الاقتصادية وبالتالي تأمين حياة شعبنا. فيقتضي درء هذا الخطر وضناً بمستقبل المانيا وبمستقبل الروهر وريناتيا. ولضمان استمرار حياة الشعب والدولة نحن مضطرون اليوم بمرارة لان نوقف القتال... ولن ننسى مطلقاً ما قاساه اهل المناطق المحتلّة من التنكيل. ولن ننسى ابداً ما تخلّى عنه اولئك الذين فضلوا مغادرة مسقط رأسهم على التنكر لوفائهم للوطن... فالمانيا قد ابدت استعدادها لتحمّل اغلى التضحيات المادية من اجل حرية مواطنيها وحرية الارض الالمانية... ورئيس الرايخ وحكومته يعلنون امام الشعب الالماني وامام العالم بانهم لن يوافقوا على اي حل ينتزع من الرايخ الالماني بقعة المانية مهما صغر حجمها. وندعو الشعب الالماني لعقد الخناصر خلال الفترة المقبلة المشحونة بالتجارب المعنوية القاسية وبالفاقة المادية. بذلك فقط يمكننا ان نقضي على كل نية في خراب الرايخ الالماني، بذلك فقط يمكننا ان نحفظ حياة الوطن وشرفه، بذلك فقط نعيد له حريته تلك التي هي حق لنا.»

نصوص تاريخية – ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠
ترجمة المؤلف

ب - خطة يونغ (٧ حزيران ١٩٢٩) : وعند نهاية السنوات الخمس المقررة لخطة داويز ، حاول رجال المال الاميركيون ان يقروا خطة تتيح لالمانيا المزيد من الحرية الاقتصادية بحيث تستطيع ان تتحمل المزيد من المسؤولية المالية دون الاتكال على القروض الخارجية ، فانعقد مؤتمر في باريس برئاسة الاميركي يونغ احد خبراء خطة داويز ، وتمثلت فيه دول الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان وكان أحد ممثلي المانيا الدكتور شاخت كبير الأدمغة المالية والاقتصادية فيها. فأقر المؤتمر خطة يونغ ووظيفتها الأساسية تصفية التعويضات ؛ فحددتها نهائيًا بمبلغ ٣٩ مليار مارك (عوضًا عن ١٣٢ مليارًا). والغيت الضمانة على المبالغ وكانت قد فرضت بموجب مشروع داويز على ما تؤمنه واردات سكك الحديد والجمارك وبعض الضرائب. وساد جو من التفاهم الدولي رضيت معه فرنسا بمغادرة منطقة الراين قبل الموعد المحدد لنهاية الاحتلال بخمس سنوات (١٩٣٠ بدلًا من ١٩٣٥).

لكنَّ الأزمة المالية الناشبة في الولايات المتحدة وانتقالها الى اوروبا قضت بان تتوقف المانيا مؤقتًا عن دفع التعويضات ولمدة عام (ابتداء من حزيران ١٩٣١) ، كما قضت بان تتدنى قيمة التعويضات الى ثلاث مليارات (١٩٣٢). ومع ذلك لم تدفع المانيا شيئًا ، لأنها الغيت بموجب مؤتمر لوزان ١٩٣٢. وتذرع الحلفاء بالتوقف الالماني عن الدفع ليماطلوا بدورهم في دفع ديونهم للولايات المتحدة (باستثناء فنلندا التي استمرت في الدفع ، بينما توقفت عنه فرنسا ، انجلترا ، بلجكا ، بولندا ، اليونان ، المجر ...).

٢ - الديون الأميركية ادى تعاون الدولة الحليفة خلال الحرب الى عقد قروض مالية فيما بينها ؛ فاستدانت فرنسا من بريطانيا قرابة سبعة مليارات من الدولارات ، كما استدانت روسيا القيصرية من فرنسا. وما وضعت الحرب اوزارها حتى بات الحلفاء مدينين للولايات المتحدة الأميركية بمبلغ ١٨ مليار دولار ثم ازدادت الديون في الفترة التي تبعت الحرب مباشرة. فربطت الدول المدينة قضية وفاء الديون باستعداد المانيا لدفع التعويضات . غير أن الولايات المتحدة لم تعترف بهذا الربط. وقد تمت اتفاقات ثنائية بين الولايات المتحدة وبريطانيا (١٩٢٣) ، ثم بين الولايات المتحدة وايطاليا (١٩٢٥) ؛ واضطرت فرنسا ، آخر المماطلين ، ان توافق على الدفع (١٩٢٦) تحت وطأة التهديد

الاميركي بعدم تقديم قروض جديدة. وانتهى الأمر بان تخلّت الولايات المتحدة عن قسط كبير من ديونها، وتوقف الدفع نهائيًا عام ١٩٣٢ أي ساعة توقف دفع التعويضات الالمانية، وكان ذلك سببًا في حمل الرأي العام الاميركي على تحبيذ السياسة الانعزالية والاحجام عن التدخل في قضايا اوروبا السياسية.

الاستقرار العابر

منذ مطلع عام ١٩٢٤، استقرت الأمور نتيجة للسعي الصادق نحو السلام. فمن جهة كانت عصبة الأمم في أوج نشاطها، ومن جهة ثانية ساعدت بوادر التقارب الالماني الفرنسي بعد الجلاء عن الروهر على عقد مؤتمر لوكارنو (Locarno) في سويسرا، ومن جهة ثالثة بدأ اهتمام عالمي بخفض التسلح كخطوة فعّالة لتحقيق السلام. (انظر الرسم ص ٣٧).

١ – لوكارنو ١٩٢٥

عند احتلال منطقة الروهر الالمانية، استاء الرأي العام الدولي من موقف فرنسا وتأزمت علاقاتها مع بريطانيا. وشاء المسؤولون الفرنسيون ان يضيعوا الفرصة على انجلترا في سعيها الحثيث لعزل فرنسا في اوروبا باحلال التفاهم مع المانيا. ونشط كل من برياند وشتريزمان (Briand, Streseman) وزيري خارجية فرنسا والمانيا في الاعداد لمؤتمر اشترك فيه ممثلون عن بلجكا وبولندا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا. وساعد في انجاح مؤتمر لوكارنو (١٥ ت ١ ١٩٢٥) ان الحلفاء قد ابدوا استعدادهم للانسحاب من احدى مناطق الراين (كولونيا)، وكانوا يحتلونها بموجب معاهدة ڤرساي (وقد بدأ الانسحاب فعلًا عشية لوكارنو ١٤ ت ١ ١٩٢٥) وان فرنسا قد ابدت استعدادها للانسحاب الكامل من الروهر (بدأ الانسحاب منذ أول تموز ١٩٢٥). واعترفت المانيا ضمنيًا بحدودها الجديدة مع فرنسا وبلجكا.

وتعهدت جميع الوفود من فرنسيين وايطاليين والمانيين وبلجيكيين وانجليز بعدم اللجوء الى القوة المسلحة في فض الخلافات. كما تعهدت المانيا وبولندا وتشيكوسلوڤاكيا بفض الخلافات القائمة فيما بينها حول الحدود (هل سيتقيد هتلر بهذه التعهدات؟). فعم جو من الانفراج، وانفتحت أبواب عصبة الأمم امام المانيا (١٩٢٦) واعطيت المقعد الدائم المخصص اصلًا للولايات المتحدة الاميركية في المجلس الأعلى للعصبة. وبدت لوكارنو «خطًا فاصلًا بين سنوات الحرب وسنوات السلم».

٢ – ميثاق برياند كيلّوغ (١٩٢٨)

وبالرغم من احجامها عن التدخل في القضايا الاوروبية ، شاءت الولايات المتحدة ألا تفوتها هذه الاتفاقات النازعة الى السلام. فبعد انقضاء عامين على دخول المانيا عصبة الأمم ، دعا الوزير الاميركي كيلّوغ نظيره الفرنسي برياند لتوقيع «ميثاق ضد الحرب». وهللت معظم دول العالم لهذه الخطوة، واعلنت ستون منها – بما فيها الاتحاد السوڤياتي – عن ضرورة تقديم الحلول السلمية على سواها. وتكرّس هذا التقارب العالمي بخطة يونغ التي قلّصت التعويضات الالمانية ثم بتعهد بتقديم العون المالي لكل دولة تتعرض لعدوان.

٣ – خفض التسلح

مذ وُقعت معاهدة ڤرساي ، التقى الحلفاء جميعًا حول ضرورة خفض التسلح كخطوة ضرورية لتحقيق السلام . فقد نصّ ميثاق عصبة الأمم على ذلك صراحة دون أن يحدد موعدًا لهذه الخطوة. ثم ان معاهدة ڤرساي قد قضت بنزع سلاح المانيا ، مكمن الخطر الوحيد ، فاحست دول اوروبا ان لا حاجة بعد ذاك لاستعجال البحث في خفض السلاح .

وأتت المبادرة من الولايات المتحدة الاميركية ، اذ دعت لعقد مؤتمر في واشنطن (١٩٢١ – ١٩٢٢) ينظر في تحديد التسلح البحري. واشتركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا واليابان وايطاليا . فتم الاتفاق على حصر عدد القطع البحرية الكبرى كالبوارج وحاملات الطائرات ، وعلى ان تتساوى في امتلاك عدد هذه القطع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وتأتي بعدهما في المرتبة الثالثة اليابان ، ثم فرنسا فايطاليا ؛ وتُراعى هذه النسبة لمدة عشر سنوات.

ولم ينظر المؤتمرون في أمر الاسلحة البرية إلا بعد توقيع اتفاقية لوكارنو (١٩٢٥) ، حيث عيّن المجلس الأعلى لعصبة الأمم لجنة تهيّئ لمؤتمر شامل لخفض السلاح . وتباطأت هذه اللجنة في أعمالها فلم ينعقد المؤتمر قبل ١٩٣١ .

غير ان اقتصار البحث في مؤتمر واشنطن على القطع الكبرى ، دفع الدول البحرية الى التركيز على انتاج القطع الحربية الصغرى كالمدمرات والطرادات والغواصات وزوارق الطوربيد ، مما سيستدعي النظر في أمرها عام ١٩٣٠ في مؤتمر آخر عقد في لندن .



ستريزيمان وبرياند
استحقا معًا جائزة نوبل للسلام عام ١٩٢٦ .

مضاعفات التعويضات الالمانية

مقال نشره ج. م. كينز J.M. Keynes في جريدة مانشستر غارديان بتاريخ اول شباط ١٩٢١

« ينص اول الشروط المفروضة على المانيا على دفع مئة مليون ليرة سنويًا ولمدة عامين ؛ ومئة وخمسين مليونًا في الثلاثة اعوام التالية؛ ثم مئتي مليون ليرة للاعوام الثلاثة اللاحقة ؛ ومئتي وخمسين مليونًا لثلاث سنوات اخرى ؛ واخيرًا ثلاثمئة مليون من الليرات سنويًا ولمدة ثلاثين عامًا . وكل هذه المبالغ يجب ان تدفع ذهبًا . »

« وبديهي ان تعجز المانيا عن دفع هذا النصيب ما لم توسع نطاق صادراتها بشكل كبير . ويقتضي على فائض صادراتها بالنسبة لوارداتها ان يوازي في اقل تقدير قيمة التعويضات . ويجب الا يغرب عن الاذهان ان انتاج البضائع المعدة للتصدير – طبعًا المنسوجات والمصنوعات المعدنية – يفترض استيراد المواد الاولية بأكملها او بمعظمها . ولا اعتقد بقدرة المانيا على الاحتفاظ لمدة اعوام عديدة بمستوى للصادرات يفوق نسبة الواردات باربعين بالمئة . وهذا معناه بلغة الارقام ان المانيا اذا ارادت ان تحقق فائضًا في الصادرات قيمته مئتي مليون ليرة فان ذلك يتطلب منها ان ترفع قيمة الصادرات الاجمالية الى سبعمئة مليون ليرة في أقل تقدير . »

« وليس اسهل من ان نبرهن عن عجز المانيا في الوصول الى هذا النشاط الاقتصادي حسب تخمينات باريس ، إلا اذا طردنا من الاسواق العالمية بعضًا من الصناعات البريطانية الاساسية . كما علينا ان نطرح سؤالًا آخر هو التالي : ما هي المنتجات الجديدة التي بامكان المانيا ان تضيفها الى صادراتها الحالية ؟ واين بامكانها ان تجد هذه الاسواق الجديدة عام ١٩٢٢ (حتى لا نتكلم عن الاعوام التالية) لتفي ما عليها سنويًا ، اي ان تدفع مبلغ مئة وخمسين مليون ليرة بما فيها الضرائب ؟ لقد كان الحديد والصلب والآلات والفحم والكوك فروعًا هامة للصادرات الالمانية قبل الحرب ، واي من هذه الفروع يمكن لالمانيا ان تطوره لتجعله في مستوى لم تصل اليه بعد ؟ واي من هذه الفروع قد استرعى انتباه باريس اكثر من سواه ؟ كيف وباي ثروة يمكن لالمانيا ان تستورد المواد الاولية اللازمة لمصانعها ، باستثناء الفحم والكوك .

وثمة وجهة اخرى للقضية تستحق ان تسترعي الانتباه ؛ هي ان مداخيل « الامبراطورية » الالمانية تصل قريبًا الى ثلاثين مليارًا بينما التزاماتها مئة مليار . وينجم عن ذلك ان وزارة المال الالمانية اذا ارادت ان تفي بالتزاماتها توجب عليها ان تزيد مواردها بمقدار ثلاثة اضعاف وان تختصر نفقاتها بمقدار النصف ، وهذا مشكل في الواقع ! وخلال السنوات اللاحقة عليها ان تضاعف مواردها مجددًا وهذا ما يجعلنا مجددًا في دوامة بعيدة عن الواقع . ثم اذا ظهرت مقاومة او عدم انصياع للشروط فماذا سيحدث ؟

منشور في نصوص تاريخية – ج ١
ص ١٠٠ و ١٠١
ترجمة المؤلف

٤ عُصْبَة الأمَم

نشأتها

نص آخر بنود ويلسون الأربعة عشر على ضرورة قيام هيئة دولية تتولى فض النزاعات سلميًا. ولدى انعقاد مؤتمر الصلح في باريس، اصر الرئيس الاميركي على فكرته تلك، وترأس لجنة رباعية وضعت ميثاق عصبة الأمم (Covenant)؛ فوافق عليه المؤتمرون وأقر في ٢٨ نيسان ١٩١٩.

ولدى انتهاء اللجان المختلفة من اعداد قرارات المؤتمر، اتفق الثلاثة الكبار على جعل هذا الميثاق مقدمة تتوج بها معاهدة فرساي وسواها من المعاهدات المكملة لها، تدليلًا من الحلفاء على ان بنود الميثاق مبادئ يصاغ السلم على ضوئها.

أهدافها

ونصت مقدمة الميثاق على أهداف العصبة؛ فاذا هي سعي لتأمين التعاون بين الأمم وتحقيق الأمن والاستقرار، مع ما يفرضه ذلك من استعداد لدى دول العصبة لتقديم التضحيات؛ كالطواعية، والأحجام عن النزاع المسلح والاقلاع عن المعاهدات السرية، والقبول بالتحكيم وفقًا لأسس عادلة وشريفة ابسطها احترام سيادة الدول ومعاملة كل دولة لغيرها بما ترضاه لنفسها. فاذا تم الاجماع مثلًا حول قضية معينة لا يجوز للدولة العضو في العصبة ان تنفرد بموقف عدائي، وذلك تحت طائلة اعتبارها في حالة خصام مع سائر أعضاء العصبة؛ فتفرض ضدها اجراءات تتراوح بين العقوبات الاقتصادية والحرب. وفيما كان مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها يفكك الامبراطوريات الاوروبية ويزيد من عدد الدول المستقلة جاءت عصبة الأمم تجمع هذه الدول حول مبدأ السياسة السلمية الموحدة.

ومنذ ايلول ١٩٢٤ وقعت فرنسا وبريطانيا اتفاقًا كان أساسًا في القانون الدولي. شددتا فيه على نقاط ثلاث: «التحكيم والأمن ونزع السلاح» مما شجع اتفاقات لوكارنو وأعدّ لها. واذا كان هذا الاتفاق قد عقد خارج اشراف عصبة الأمم غير أنه اتى بوحي منها وأعدّ لدخول المانيا في العصبة كما مهد لخطوة اشمل هي «الميثاق ضد الحرب» المعقود بين برياند وكيلّوغ.

وما انفك مجلس العصبة يدعو الى نزع السلاح . فطلب من الدول ان تكتفي من الاسلحة بما يلزم لمقتضيات الأمن الداخلي والوطني . ولاقت دعوته تلك اذنًا صاغية ، غير ان الظروف المحمومة وتفرق كلمة الحلفاء بعد ڤرساي لم يهيّئا الأجواء لاستجابة هذه الرغبة .

ويستدل مما سبق ان اهدافًا ثلاثة قد برزت في ميثاق العصبة : اولها تحاشي النزاع المسلح ، والثاني ايجاد قانون دولي تنتظم بموجبه العلاقات بين الدول ، والثالث احترام المعاهدات الدولية والتقيد بها . ويمكن القول بان هذا الميثاق يحمل بذور سلم مستقبل ، فشل مؤقتًا غير ان براعمه ما لبثت ان تفتحت لدى انشاء « هيئة الامم المتحدة » .

عضويتها

انضمت الى العصبة كل الدول الموقعة على معاهدة ڤرساي واعتبرت دولًا مؤسسة لها . وفيما بعد انتسب اليها اربع عشرة دولة من ضمنها المانيا (١٩٢٦) ، وتأخر دخول الاتحاد السوڤياتي حتى عام ١٩٣٤ .

وفتح باب الانتساب للعصبة امام كل دولة تبدي استعدادها للتقيد بموجبات القانون الدولي ولاحترام المعاهدات الدولية ، وامام كل مستعمرة تتوافر لديها الشروط والضمانات او تهيّئها لذلك الدولة المنتدبة عليها ، وذلك بعد موافقة ثلثي الاعضاء . وهكذا اضحت العصبة كما شاءها سمطس (Smuts) – احد اعضاء اللجنة الرباعية التي وضعت الميثاق – « برلمانًا للعالم » منفتحًا امام كل القضايا الدولية . إلّا ان الولايات المتحدة الاميركية احجمت عن التدخل في قضايا اوروبا بعد الحرب ؛ فامتنعت عن المشاركة في عضوية العصبة ، وان يكن ويلسون هو الذي اصر على قيامها . ففقدت العصبة بذلك قوة معنوية ضخمة ، واستبد سادة اوروبا – وبصفة خاصة انجلترا وفرنسا – في تسيير شؤونها .

أجهزتها

اول اجهزة عصبة الأمم **«الجمعية العامة»** ؛ وتحظى كل دولة عضو فيها بصوت واحد . تجتمع في جنيف في دورة عادية تبدأ في شهر ايلول من كل عام ، وفي دورة استثنائية كلما دعت الحاجة . مهمتها انتخاب

اعضاء المجلس الاعلى غير الدائمين والنظر في الانتسابات الجديدة ومناقشة قضايا السلم العالمي . ثم « المجلس الأعلى » وقوامه تسعة اعضاء ، خمسة منهم دائمون ويمثلون الدول الكبرى : بريطانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، اليابان ، الولايات المتحدة (في حال اشتراكها ، وقد احتلت هذا المقعد المانيا منذ ١٩٢٦ فاحتجت البرازيل على ذلك وانسحبت من العصبة) ؛ والاعضاء الاربعة الباقون ينتخبون لمدة عام واحد ويمثلون سائر الدول الاعضاء في العصبة . ويجتمع « المجلس الاعلى » مرة كل ثلاثة اشهر للتباحث في القضايا الهامة وفيما تعرضه عليه الجمعية العمومية من امور. وقد انحصرت الكلمة النافذة بالأعضاء الدائمين نظرًا لتوافق المصالح فيما بينهم. ثم «**امانة السر العامّة**»، وهي جهاز دائم مقيم في جنيف، مركز العصبة، قوامه ستمائة موظف يرئسهم «امين عام» منتخب من قبل الجمعية العمومية والمجلس الأعلى معًا. ثم هيئات اقتصادية ومالية وسياسية وصحية وثقافية أبرزها «**هيئة العمل الدولية**»، وقد كان لهذه الأخيرة شأن في تنظيم أوضاع العمال اجتماعيًا ونقابيًا ومهنيًا ، اذ هي التي اقرّت دوام العمال اليومي والاسبوعي (٨ ساعات او ٤٨ ساعة) .

أعمالها اهتمت عصبة الامم بقضايا مختلفة ابرزها توزيع الانتدابات والاشراف على الاستفتاءات وادارة المدن والمناطق الحرة ، وعقد المؤتمرات لنزع السلاح .

١ – توزيع الانتدابات عن تفكك الامبراطوريات الالمانية والنمساوية والعثمانية نجم امران: اولهما اقامة «دول وليدة» بحدود جديدة تثبتها فيما بعد الاستفتاءات ؛ وثانيهما تكليف عصبة الأمم بادارة المدن والمناطق الدولية (دانزيغ – فيومي – السارّ..) وبتدبير شؤون المستعمرات الالمانية والمناطق المتحررة مس الدولة العثمانية ، فكان الانتداب .

والانتداب ظاهرة جديدة في تاريخ العالم المعاصر ، جرّبها الجنرال سمطس في بازوتولاند وبتشوانالاند (١٩٠٩) حين كُلّف اتحاد جنوبي افريقيا بادارة شؤون هاتين المستعمرتين الصغيرتين. ولما مثّل الجنرال سمطس اتحاد جنوب افريقيا في مؤتمر الصلح بباريس عرض فكرة الانتداب كمحاولة للانتقال بالمستعمرات الالمانية والمناطق العثمانية السابقة من الاستعمار الى

الاستقلال ، فراقت الفكرة للرئيس الاميركي وتبنّاها في ميثاق عصبة الامم حيث نصت المادة الثانية والعشرون على ضرورة تقديم المساعدة للدول المتخلفة . وذلك بان تنتدب العصبةُ عليها دولةً راقية تمكنها مواردها المالية واختباراتها وموقعها الجغرافي من الاضطلاع بهذه المهمة . وعلى هذا الاساس وزعت الانتدابات (فكانت حصة فرنسا الجزء الاكبر من التوغو والكاميرون ولبنان وسوريا ، وحصة بريطانيا الاجزاء الباقية من التوغو والكاميرون وافريقيا الشرقية الالمانية ، وحصة بلجكا رواندا ويوروندي ، وحصة اليابان الجزر الالمانية الواقعة شمالي خط الاستواء في المحيط الهادي كجزر كارولين ومارشال وياپ ، وحصة استراليا سائر الجزر الالمانية الواقعة جنوبي خط الاستواء في المحيط الهادي ، وحصة زيلندا الجديدة جزر ساموا الغربية ، وحصة البرتغال منطقة كيونغو (Kiongo) في شرق افريقيا ، وحصة اتحاد جنوب افريقيا منطقة جنوب غرب افريقيا) . ويختلف الانتداب باختلاف تقدم ورقي المنطقة ، فكان ثمة انتداب من فئة (أ) وانتداب من فئة (ب) ؛ فلبنان مثلًا قد اعتبر مستحقًا للاستقلال ، غير انه استقلال مؤجل التنفيذ .

٢ – الاستفتاءات والادارة

واشرفت عصبة الأمم على الاستفتاءات في سيليزيا العليا بين بولندا وتشيكوسلوفاكيا (١٩٢١) حول منطقة تيشين الغنية بالفحم ، وهي التي اقرت الحدود بين بولندا وليتوانيا (عند ويلنا) ، وهي التي ادارت شؤون مرفأ دانزيغ وضمنت حياده ، واهتمت بمرفأ فيومي قبل ان تحتله ايطاليا ، وعينت لجنة دولية تهتم بالسارّ .

٣ – اعداد السلم

ودأبت الهيئات المختلفة في عصبة الأمم على وضع دراسات واعداد تجارب تسهل تفهم العلاقات الدولية والمشاكل المشتركة . فتركت منجزات قيمة في الحقل الاجتماعي تبنتها فيما بعد « هيئة الأمم المتحدة » .

ومنذ عام ١٩٢١ الفت لجنة للنظر في السبل المؤدية الى نزع السلاح . وكانت اجتماعاتها المنتظمة تبحث دون ملل في قضايا السلم العالمي ، غير ان قراراتها فشلت في الحد من التسلح . واضحى التقارب بين شعوب العالم أوثق وأجدى ، لا سيما بعد اشراف العصبة على مؤتمرات علمية وثقافية وصحية وتبنيها مشروع ترجمة الآثار الادبية الخالدة الى مختلف اللغات .

ضعفها وانهيارها

لم يكن لمقررات عصبة الأمم صفة الزامية ؛ بل كانت في حاجة مستمرة الى قوة مادية تدعمها . وهذا ما جرّأ دولًا عديدة على التنكر لها ؛ فاضطرت احيانًا ان توافق على امر واقع كاحتلال ايطاليا لجزيرة كورفو اليونانية (في الادرياتيك) عام ١٩٢٣ ولمرفأ فيومي ١٩٢٤ . واليابان ايضًا تجاهلت شجب العصبة لاجتياحها منشوريا فانسحبت منها (١٩٣١). وهتلر بدوره قد تنكر لها عندما تدخل في الحرب الاهلية الاسپانية وعندما تعمّد عرقلة اعمال مؤتمر نزع السلاح عام ١٩٣٢ حتى يتسنى له التملص من الشروط العسكرية المفروضة على المانيا في معاهدة ڤرساي ، واخيرًا لم يتردد في الانسحاب منها عام ١٩٣٣ فانكشف عجز العصبة ، لا سيما ان الاتحاد السوڤياتي لم يكن قد اشترك في عضويتها بعد (١٩٣٤) . وفي عام ١٩٣٥ هاجم موسوليني الحبشة ولم يكترث للعقوبات الاقتصادية التي فرضتها عليه العصبة . ولمّا همّت هذه باتخاذ اجراء حاسم ضد الاتحاد السوڤياتي لمهاجمته فنلندا (١٩٣٩ – ١٩٤٠) كانت الحرب العالمية قد اندلعت فعلًا .

وهذا الانهيار العملي رافقته مراحل ضعف منذ طور التأسيس ، اولها انه عندما عرضت فكرة تكوين قوة مسلحة تابعة للعصبة رفض ويلسون متحاشيًا «حلول العسكرية الدولية محل العسكرية الوطنية» . وثانيها ان الاتفاقات الدولية الهامة قد جرت بمعزل عنها وان تكن بايحاء منها كمسألة التعويضات ومؤتمر واشنطن البحري وانهاء الحرب الروسية البولندية ولوكارنو وميثاق برياند كيلّوغ ، ولم يترك لها إلا قضايا جد ثانوية كالبت في الخلافات على الحدود بين المانيا ويوغوسلاڤيا ، ثم بين تشيكوسلوڤاكيا والمجر ... وامجد ايامها كانت الفترة الممتدة ما بين ١٩٢٤ و ١٩٣٠ حيث كان رؤساء وزارات الدول الاعضاء يحضرون بانفسهم . وخلت الدورات بعد ذلك إلا من الكلام فكأنها «العجلة الخامسة اضيفت الى العربة» . وما ان حلت الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ ، حتى راحت كل دولة تفتش عما يناسبها من حلول وتنفرد بالمقررات وصح في العصبة التحديد الآتي : «كانت عصبة الأمم جمعية دول حرة ، فرضت على نفسها بعض الأهداف المشتركة دون ان تتخلى مع ذلك عن سيادتها الوطنية . ولم يكن لها (اي العصبة) وجود مستقل عن الحكومات ؛ لها ان تقترح او توصي وعلى الحكومات ان تقرر» (موريس بومون) .



منبر عصبة الامم ومن فوقه ابرز الخطباء برياند.

٥ الحَركَة الشُّيُوعيَّة

نهاية القياصرة

قبل ان تضع الحرب العالمية اوزارها ، اندلعت الثورة في بطرسبرج عاصمة القياصرة (١٢ آذار ١٩١٧) . وانفجرت الفئات الشعبية مطالبة بالمواد الغذائية والفحم والحطب . وتألفت لجنة تنفيذية وحكومة مؤقتة يراقبهما مجلس ثوري قوامه الجنود والعمّال ، وانتهى الأمر بازاحة آل رومانوف عن الحكم .

وبعد فترة سيطر الاشتراكي كيرنسكي على الحكومة المؤقتة ، فاستبد واعلن الجمهورية (١٥ ايلول). ولم يستقم الأمر له لسببين : اولهما الصبغة البورجوازية الملازمة للحكومة وثانيهما مواصلة الحرب . فانقلب عليه البولشفيك بقيادة لينين وتروتسكي العائدين بمساعدة المانيا من منفاهما سويسرا .

ثورة اكتوبر

وراقت افكار لينين لفئات العمال والجنود والفلاحين : « السلطة للسوفيات ، والارض للفلاحين ، والسلم للشعب ، والخبز للجياع » . فالتفوا حوله في خلايا شيوعية ومجالس (سوڤيات) . ولما كان الخامس والعشرون من ت ١ (أوكتوبر) أو ٧ ت ٢ ١٩١٧ حسب التقويم الجديد ، انقلبت « اللجنة العسكرية الثورية » و « الحرس الاحمر » بقيادة تروتسكي (رئيس سوڤيات بطرسبرج) على الحكومة المؤقتة ، مستفيدة من غياب كيرنسكي . فاستولى لينين على السلطة ، واقال الحكومة المؤقتة ، واعلن قيام « حكم بولشڤي سوڤياتي » .

وتألفت مجالس (سوفيات) على مختلف المستويات ، قوامها الجنود والفلاحون والعمال البلاشفة ، واشرفت على شتى الامور . واخيرًا اجتمع ممثلون عن هذه المجالس في بطرسبرج ، وحلّوا محل الدوما القديمة . وهكذا غدت هذه السوڤيات المنتشرة في كل مكان وعلى مختلف المستويات – من القرية الصغيرة حتى المجلس الاعلى – اداةً لتدعيم النفوذ المركزي باشراف الحزب البولشڤي (او الحزب الشيوعي الروسي منذ آذار ١٩١٨) بعد ان توزعت

خلاياه في كل مكان وكل مؤسسة وكل مجلس فأمسى يمارس رقابة فعلية على كل شيء .

«دكتاتورية البروليتاريا»

وتعيّن على سادة روسيا الجدد ان ينفذوا ما وعدوا به ؛ فاصدروا سلسلة من القرارات قضت بمصادرة اراضي النبلاء والاكليروس دون تعويض ، وبتركها للفلاحين يستغلونها دون ان يمتلكوها بانتظار تطبيق سياسة اشتراكية شاملة (٧ و ٨ ت ٢ ١٩١٧) . فلاءمت هذه الاجراءات طبيعة الطبقات الفقيرة ، واتاحت لافرادها ان ينفّسوا عن احقادهم المكبوتة وان يشبعوا نهمهم الى ملكية الارض . ورافقتها اعمال شغب ؛ من مهاجمة لفئات النبلاء والبورجوازيين والموظفين والمحتكرين ، ومن نهب للبيوت والمخازن ، فيما كانت الحرب الاهلية بدورها تقضي على ما تبقى من اقتصاديات البلاد ، والجوع يهدد ملايين الروس . وتغاضت الدولة عن قصد ، واشتهرت عن لينين كلمته : «انهبوا ما قد نهب منكم».

وصدرت قرارات تؤمم المصانع وتضعها تحت رقابة العمّال مباشرة ؛ فتعرضت للنهب فالتوقف عن الانتاج . واممت المصارف والتجارة والسكك الحديدية ، وسقطت الديون . ونشر ستالين ، احد مساعدي لينين ، بيانات تقول بالمساواة الاجتماعية والسياسية بين السكان ، وباحترام اللغات والتقاليد والمعتقدات المحلية . وانهار النقد فدرجت المقايضة ، وهلل الشيوعيون لهذا الانهيار لانه يضع حدًّا للاستغلال التجاري ويحرم كل من لا يعمل من تأمين قوته اليومي ، وفي ذلك ضربة قاصمة للطبقات البورجوازية وقد كانت تتكل على ما لديها من اموال .

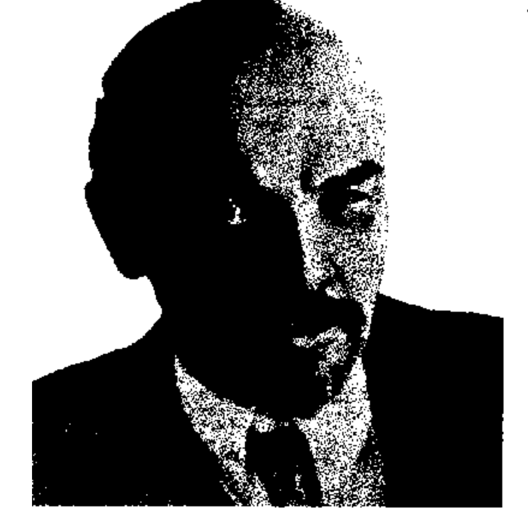
وما اقامة المجالس (السوڤيات) وتوزيعها على مختلف المستويات من جهة ، وثورة الكادحين على مستغلّيهم بتشجيع من المسؤولين من جهة ثانية ، إلّا تطبيق لمبدأ «دكتاتورية البروليتاريا» . وتلك خطوة ضرورية – حسب ماركس – يستطيع بها البروليتاريون ان ينفسوا عن كل ما لحقهم من ظلامات سابقة ؛ فيصبحوا بعدها مهيّأين لتقبل النظام الاشتراكي. ولما نشر الدستور الجديد (١٠ تموز ١٩١٨) اذا به يعلن قيام اول «جمهورية اشتراكية اتحادية سوڤياتية» عاصمتها موسكو ، ويكرّس «حرب الطبقات»

و « دكتاتورية البروليتاريا » ، ويتيح للبروليتاريين اشتراكاً فعليّاً في الحياة السياسية عندما اعطاهم وحدهم حق الانتخاب والترشيح وحرم من هذا الحق اسيادهم السابقين . « فانتهى عهد استغلال الانسان للانسان » . غير ان معركة الشيوعيين مع اخصامهم كانت لا تزال في بدايتها ؛ ففي الداخل تعرض لينين لمحاولة اغتيال (٣٠ آب ١٩١٨) واضطر للجم الفوضى باعتماد الارهاب واطلاق يد التشيكا (أو البوليس السرّي) ، وفي الخارج كانت كل البلدان الرأسمالية تساند المنشفيك وجيوشهم البيضاء للقضاء على الثورة .

الحرب الأهليّة

مذ قامت ثورة اوكتوبر ، دخل البلاشفة في مفاوضات صلح منفرد مع المانيا ، ورضوا مرغمين بصلح بريست – ليتوفسك (٣٠ آذار ١٩١٨) . وبموجبه سلخت عن روسيا كل الدول المجاورة لها والخاضعة للقياصرة سابقاً ، اي: فنلندا ، ليتوانيا ، ايستونيا ، ليتونيا ، بولندا ، اوكرانيا بالاضافة الى القفقاس. وقبل ان تنتهي الحرب بهزيمة المانيا بادرت الدول الغربية الى تنشيط المقاومة ضد الثورة البولشفية وفي يقينها ان روسيا القيصرية تمر بتجربة ليس إلّا. ومد الحلفاء يد المساعدة الى المنشفيك، واحتضنوا الحكومات التي تأسست في الخارج وساعدوا « الجيوش البيضاء » لمقاومة الثورة . ومكث العـالم الخارجي يترقب بفارغ صبر نهاية الحكم السوفياتي . وزاد في استعداء الثورة البولشفية للغرب ان « الأممية الثالثة » او الكومينترن قد انعقدت في موسكو (آذار ١٩١٩) بتسهيل من زعماء روسيا الجدد (الاممية الاولى انعقدت في لندن ١٨٦٤ ، والاممية الثانية انعقدت في باريس ١٨٨٩) .

وتقدمت « الجيوش البيضاء » على مختلف الجبهات ، وباتت روسيا مهددة بعد ان احتل البريطانيون ارخانجلسك في الشمال ، والفرنسيون اوديسًا في الجنوب ، واليابانيون ڤلاديفوستوك في الشرق ، والبولنديون مدينة كييف عاصمة اوكرانيا (١٩٢٠) . وحيال الخطر المحدق من كل صوب ، اظهر تروتسكي في تنظيم المقاومة مقدرة وحماساً فائقين ؛ فنظم « الجيش الاحمر » وعدته اكثر من مليون تساندهم فئات الفلاحين وقد استماتوا في الدفاع للابقاء على ما نالوه من اراضي سيسترجعها اصحابها حتماً في حال فوز المنشفيك ، فيما عمدت السلطة الى سياسة الارهاب ونشط البوليس



لينين (ڤلاديمير ايليتش اوليانوف)

النضال الطبقي ينتهي الى نشوء معسكرَين

في كل مجتمع تتصادم مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر ، وان الحياة الاجتماعية مليئة بالمتناقضات ، وإن التاريخ يكشف لنا عن النضال الذي يقوم بين الشعوب والمجتمعات ، كما يقوم داخل الشعوب والمجتمعات نفسها ، وانه يبين لنا ايضاً مراحل متعاقبة من الثورة والرجعية ، من السلم والحروب ، من الركود والتقدم السريع او الانحطاط . ان الماركسية قد رسمت النهج الموجه الذي يتيح اكتشاف وجود القوانين في هذا التعقيد والتشوش الظاهر ، ونعني بهذا النهج نظرية النضال الطبقي . فقط دراسة مجمل المطامح لدى جميع اعضاء مجتمع ما ، او عدد من المجتمعات ، تسمح بتحديد نتيجة هذه المطامح تحديداً علمياً . هذا مع العلم ان المطامح المتناقضة يولدها تباين الاوضاع وشروط الحياة لدى الطبقات التي ينقسم اليها كل مجتمع . يقول ماركس في « البيان الشيوعي » : « ان تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا (ثم يضيف انجلس فيما بعد : ما عدا المشاعية الابتدائية) لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات . فالحر والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والقن ، والمعلم والصانع ، اي بالاختصار المضطهِدون والمضطهَدون ، كانوا في تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة ، تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائماً إما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع باسره ، وإما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معًا .... اما المجتمع البورجوازي الحديث ، الذي خرج من احشاء المجتمع الاقطاعي الهالك ، فانه لم يقض على التناقضات بين الطبقات ، بل اقام طبقات جديدة محل القديمة ، واوجد ظروفاً جديدة للاضطهاد واشكالاً جديدة للنضال بدلاً من القديمة . إلا ان الذي يميز عصرنا الحاضر، عصر البرجوازية ، هو انه جعل التناحر الطبقي اكثر بساطة . فان المجتمع آخذ بالانقسام ، اكثر فاكثر ، الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر : هما البورجوازية والبروليتاريا . »

لينين – المختارات–مجلد ١ ، ج ١ ، ص٤٢
دار التقدم – موسكو

٢٥ اكتوبر (ت ١ ١٩١٧)
الساعة العاشرة صباحًا

« الى مواطني روسيا

أُسقطت الحكومة المؤقتة . وانتقلت سلطة الدولة الى يد هيئة سوفييت نواب العمال والجنود في بتروغراد ، اي الى اللجنة الثورية العسكرية التي ترئس بروليتاريا بتروغراد وحامية بتروغراد .

ان القضية التي ناضل الشعب في سبيلها: عرض صلح ديمقراطي على الفور ، الغاء ملكية الملاكين العقاريين للارض ، رقابة العمال على الانتاج ، انشاء حكومة سوفيتية ، ان هذه القضية قد تأمنت .

عاشت ثورة العمال والجنود والفلاحين . »

اللجنة الثورية العسكرية لدى سوفييت نواب العمال والجنود في بتروغراد

دار التقدم – موسكو – الترجمة العربية ، المجلد الثاني ، الجزء الاول ص ٦٢١

السرّي (التشيكا) لتصفية المشبوهين. إلّا ان عوامل الضعف لدى « الجيوش البيضاء » كانت كثيرة ابرزها انها تنتمي الى اربع عشرة جنسية مختلفة ، وان الروس بدورهم منقسمون في ميولهم حول الحلفاء والالمان وحول عودة الملكية المطلقة واقامة الملكية الدستورية او الجمهورية ؛ مما اعجز خصوم الثورة عن تكوين جبهة متماسكة في وجه البولشڤيك . وفيما العالم كله ينتظر انهيار الثورة الروسية في صيف ١٩١٩ ونهاية التجربة البولشڤية اذا بالجيوش البيضاء تتراجع منهزمة على عدة جبهات . وفتر حماس الغرب للمنشڤيك ، وتجلّى الفتور بتصريح لويد جورج علنًا عن عدم استطاعته تغذية هذه الحرب باستمرار رغم معارضة وزير حربيته ونستون تشرشل (ت ٢ ١٩١٩) . وعقد البولنديون مع موسكو صلح ريغا (١٩٢١) وبه انتهت الحرب الأهلية . وما هي إلا برهة حتى عقدت انجلترا معاهدة تجارية مع موسكو . وفي ١٦ نيسان من العام التالي (١٩٢٢) اعترفت المانيا بالاتحاد السوڤياتي ، وكانت الشيوعية بما توحيه من خطر على الانظمة الرأسمالية المنتصرة في الحرب هي التي جعلت التقارب بين الاتحاد السوڤياتي والمانيا المهزومة ، هذا التقارب الذي شبه آنذاك « برقصة بين اعمى واعرج » .

وتتالت الاعترافات بعد ذلك ، فانفك طوق العزلة عن البلاشڤة . وبدت هذه الاعترافات بالنسبة للغرب ضرورة لاستمرار الاستقرار في الوضع الدولي بعد ان اقتنع بعجزه عن اسقاط النظام الجديد في روسيا ، اما بالنسبة للينين فالمعاهدات « ان هي إلا طريقة لاستعادة القوى » . واهم الاعترافات حصلت عام ١٩٢٤ (من قبل فرنسا وايطاليا وبريطانيا) ثم عام ١٩٢٥ (من قبل اليابان). اما اعتراف الولايات المتحدة فلم يتم إلا ايام روزڤلت (١٩٣٣) .

وبقي خارج نطاق الدولة الجديدة كل من بولندا الروسية ، وفنلندا ، ودول البلطيق الثلاثة (استونيا ، ليتوانيا ، ليتونيا) ثم بيسارابيا التي سلختها رومانيا ، وبعض مناطق الشرق الاقصى وقد احتلتها اليابان . وبعبارة اخرى خسرت روسيا ٨٨٧ الف كم من اراضيها وستة وعشرين مليونًا من سكانها .

«شيوعية الحرب»

لمواجهة الحرب الاهلية وما خلقته من فوضى واوضاع متردية ، تعيّن على لينين تأمين الضرورات الاولية للبلاد . فاتخذ سلسلة من التدابير

الحاسمة اطلقت عليها تسمية « شيوعية الحرب » . فعمد الى التقنين ، وفرض العمل الاجباري فعوقب المتخلف عن العمل والفارّ منه كالفارّ من الجندية . وصودرت بعض الأملاك المنقولة لتأمين حاجات الجنود والمدن والمناطق المهددة بالجوع . وأُلزم المزارعون بتسليم غلالهم للدولة ، وأمّمت المصانع وجُعل عليها مجالس تسهر على الانتاج ، فتحول العمال المشرفون عليها الى ممثلين عن النقابات العمالية فقط ، وفرضت الاقامة الجبرية على العامل لا يسمح له بمغادرة منطقته ؛ « فتحولت دكتاتورية البروليتاريا الى دكتاتورية على البروليتاريا » . وما انتهت الحرب الاهلية حتى بات كل شيء بيد الدولة؛ فانصرف لينين الى ترسيخ الثورة ، تلك «القفزة» الضرورية لتطور المجتمع البشري حسب ماركس .

السياسة الاقتصادية الجديدة (١٩٢١ – ١٩٢٢)

لم يستطع لينين الاسراع في اقرار ما وعد به الفلاحين والعمّال ، لان الحرب الاهلية قد ادت الى انهيار روسيا اقتصاديًا . وما ان اعلنت السلطات ان « كل خيرات الارض ملك للدولة » وحاولت مصادرة الغلال والماشية لتموين المدن والجيش الاحمر حتى امتنع الفلاحون عن التعاون، وبدأوا يتساءلون عن جدوى أخذهم الأرض ما دام الانتاج سيصادر وما دام العمل الاجباري يحولهم الى «عبيد للدولة». فاحجموا عن العمل، واهملوا الزراعة. وحلت بالبلاد مجاعة قضت على خمسة ملايين نسمة (اواخر ١٩٢١) . وتدنّى الانتاج حتى بات شبه مشلول . وظهر لدى الشعب اتجاه لرفض الشيوعية والاكتفاء بالمجالس (السوفيات). ولاحت بوادر تمرد لدى الجيش نفسه خاصة في كرونستادت على بحر البلطيق حيث تعالت الهتافات : « لتحيَ السوفيات دون الشيوعيين » .

ساعتئذٍ تعيّن على لينين ان يفاضل بين العقيدة والواقع ، فاختار الواقع ، بعد ان اقتنع برفض الشعب لفكرة الشيوعية ما لم تكن هنالك مرحلة انتقالية يستطيع خلالها ان يتقبل اساليب تطبيق الاشتراكية. فلا بد والأمر كذلك من تراجع مؤقت ، فتحول عن موقفه الاول ليبدأ ما سمّاه «سياسة اقتصادية جديدة » او « النيب » N.E.P. (منذ صيف ١٩٢١) . « لان الطرق تتبدل بتبدل الظروف ، والعقيدة لا يجب ان تحجب الواقع » . وبموجب «النيب»

الغى لينين اجراءات « شيوعية الحرب » القاضية بمصادرة الاملاك ، واكتفى بالضرائب العينية . واعطى الفلاحين حرية التصرف بفائض غلالهم واعترف لهم بحق الارث . فنشطت التجارة الداخلية ، واستعادت المؤسسات الصناعية الصغيرة نشاطها . غير انه ابقى رقابة الدولة على المصانع الكبرى والتجارة الخارجية والمواصلات خوفًا من عودة الطبقة البورجوازية الى التسلط على اقتصاد البلاد . وطلب قروضًا من الخارج واستقدم الخبراء الاجانب من بريطانيين وفرنسيين واميركيين والمان . فامسى التنظيم الاقتصادي الجديد مزيجًا من الشيوعية والرأسمالية ، عاد معه النشاط الى مختلف القطاعات ، خاصة بعد اصدار الروبل الذهبي في شباط ١٩٢٤ فانتهى عهد المقايضة . لكن فئتين جديدتين من الميسورين ظهرتا : الكولاك (او المستفيدون) في القرى، والنيپمن (او المحتكرون) في المدن. اما مَن عارضوا هذه السياسة ، اي النيپ، من غلاة الشيوعيين فقد كانت التشيكا كفيلة باقناعهم.

قيام الاتحاد السوفياتي (١٩٢٢)

منذ اواخر سنة ١٩٢٢ اعلن قيام « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » ، وقد ضم في البدء جمهوريات : روسيا مع سيبيريا ، وروسيا البيضاء (بيلوروسيا) ، واوكرانيا . ثم انضمت سائر الجمهوريات تباعًا (تركمانستان – اوزبكستان – ترانسكوكازيا ...) . وأُقر دستور فدرالي جديد نصّ في مقدمته على السعي لاقامة جمهورية سوفياتية اشتراكية عالمية ، وجاء في شكله النهائي كما يلي :

يختار الشعب ممثليه من بين المرشحين الرسميين ، ويلتئم المنتخَبون في جمعية عامة لها السلطة العليا وتدعى « السوفيات الأعلى ». ولما كانت الجمعية هذه تنعقد دوريًا ، انبثق عنها مجلس أعلى (بريزيديوم) يضم سبعة وعشرين عضوًا وينوب عن السوفيات الأعلى خلال الفترات الفاصلة بين الدورات. ويختار البريزيديوم بدوره « مجلس مفوضي الشعب » ، اي ما نسميه نحن مجلس الوزراء .

وقد عزّز الدستور الجديد وضع العمّال بشكل خاص ، وساير مختلف القوميات فجعلها على قدم مساواة ، غير انه لم يعط المقترعين حق التصويت السرّي. وأُتيح للأمين العام للحزب الشيوعي ان يتولى السلطة الفعلية نظرًا

لسيطرة الحزب نفسه على مختلف المؤسسات «فتمكن هذا الرجل الفرد ان يمسك بكل الخيوط» وان يستبد بواسطة البوليس السري. وقد كان ستالين هو الذي يتولى هذا المنصب منذ مرض لينين عام ١٩٢٢.

بين ستالين وتروتسكي

منذ اصيب لينين بالشلل (ربيع ١٩٢٢ ثم توفي في صيف ١٩٢٤) خلفه ستالين في منصب الأمين العام للحزب الشيوعي. واضحت السلطة في يد ثلاثة: تروتسكي وهو الابرز وستالين وزينوڤييڤ. وما لبث الصراع ان احتـدم بين تروتسكي وستالين «رديفي لينين غير المنسجمين». وانطلق الخلاف من نظرة كليهما الى «السياسة الاقتصاديـة الجديدة»؛ فانبرى تروتسكي ينتقد بطء الصناعة الثقيلة وما ينجم عنه من تخلف في سائر القطاعات الصناعية ومن تأخير في تطبيق وتثبيت الاشتراكية، وقام يهاجم الحرية التجارية في الداخل لانها مهدت الطريق امام الكولاك والنيپمن. وراح يشدد في كل مواقفه على تشجيع «الثورة الدائمة» وبثها خارج روسيا لتصبح ذات صبغة عالمية.

والتزم ستالين بصرامة وهدوء جانب الدفاع عن «النيپ»، لانها قضت على المجاعة ونشطت الصناعة وحرّكت عجلة الاقتصاد، عدا كونها مرحلة «تنفُّس» ضرورية قبل الانتقال الى خطوة جديدة. وبفضل مركزه كأمين عام للحزب الشيوعي استطاع ستالين ان يجمع حوله اكثرية النافذين، فتخلّص بمساعدتهم من تروتسكي واقصاه عن وزارة الحربية عام ١٩٢٥. ولدى انعقاد المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي (١٩٢٧) خذل المؤتمرون تروتسكي، ففقد مناصبه الاخرى في اللجان ونفي الى التركستان (ألما أتا)، وفي العام التالي طرد خارج الاتحاد السوڤياتي فانتهى به الامر في المكسيك حيث اغتيل عام ١٩٤٠. واضحى ستالين السيد المطلق، واختفى اسم زينوڤييڤ وسواه من المتنفذين بسهولة وبساطة.

المرحلة الستالينية

كان على ستالين اسكات المعارضة التروتسكية؛ فهو بالرغم من دفاعه عن «النيپ» لا يستطيع انكار صحة آراء تروتسكي، لا سيما ان فئة الكولاك اخذت تثير نقمة الفلاحين ويسار النيپمين يثير امتعاض العمال. وفي مقال



ستالين

٢٤ ت ١ ١٩١٧ (٦ ت ٢)
رسالة الى اعضاء اللجنة المركزية، من لينين

ايها الرفاق !

اكتب هــذه الاسطر مساء الرابع والعشرين ، والوضع حرج ما بعده حرج . وواضح في منتهى الوضوح ان التباطــؤ في الانتفاضة هو الآن ، حقاً وصدقاً ، اشبه بالموت .

انني ابذل جميع جهودي لكي اقنع الرفاق بان كل شيء الآن متعلق بشعرة ، وبان القضايا الواردة في جدول الاعمال قضايا لا تحلها الاجتماعات ولا المؤتمرات (حتى وان كانت مؤتمرات السوفييتات) ، بل تحلها بوجه الحصر الشعوب ، الجمهور ، نضال الجماهير المسلحة .

.... لا يجوز الانتظار . ينبغي ، باي ثمن كان ، اليوم مساء ، اليوم ليلاً اعتقال الحكومة ونزع سلاح طلاب المدارس الحربية (والتغلب عليهم اذا قاوموا) ، ... لا يجوز الانتظار !! فمن الممكن خسارة كــل شيء !! ...

يجب ان تتعبأ جميع المناطق ، جميع الافواج ، جميع القوى على الفور وترسل حالاً الوفود الى اللجنة الثورية العسكرية ، الى لجنة البلاشفة المركزية لكي تطالب بالحاح : لا يجوز في اي حال من الاحوال ابقاء السلطة في ايدي كيرنسكي وشركاه حتى الخامس والعشرين ، باي شكل كان ، يجب حل المسألة اليوم بكل تأكيد ، مساء او ليلاً .

الحكومة تهتز . فيجب الاجهاز عليها مهما كلّف الامر .

التباطؤ في العمل اشبه بالموت . »

عن لينين – المختارات – دار التقدم – موسكو المجلد الثاني ، الجزء الاول – الترجمة العربية ص ٦١٨

٢٥ – ٢٦ ت ١ (٧ – ٨ ت ٢) ١٩١٧
(بعد نجاح الانقلاب)

« الى العمال والجنود والفلاحين !

افتتح المؤتمر الثاني لسوفييتات نواب العمال والجنود في عامة روسيا . وفيه تتمثل الاغلبية الكبرى من السوفييتات . كذلك يحضر المؤتمر جملة من المندوبين عــن سوفييتات الفلاحين . انتهت صلاحيات اللجنة التنفيذية المركزية التوفيقية . واستناداً الى ارادة الاغلبية الكبرى من العمال والجنود والفلاحين ، واستناداً الى الانتفاضة المظفرة التي قام بها عمال بتروغراد وحاميتها ، يأخذ المؤتمر السلطة في يده .

الحكومة المؤقتة أُسقطت ، اغلبية اعضاء الحكومة المؤقتة تمّ اعتقالهم .

ان السلطة السوفييتية ستعرض الصلح الديمقراطي فوراً على جميع الشعوب ، والهدنة فوراً في جميع الجبهات . وستؤمن وضع اراضي الملاكين العقاريين واراضي الاسرة

القيصرية واراضي الاديرة تحت تصرف لجان الفلاحين دون اي تعويض ، وتضمن حقوق الجندي باشاعة الديمقراطية التامة في الجيش ، وتبسط الرقابة العمالية على الانتاج ، وتؤمن عقد الجمعية التأسيسية في حينه ، وتعنى بايصال الحبوب الى المدن وسلع الضرورة الاولية الى الارياف، وتؤمن لجميع الأمم القاطنة في روسيا الحق الفعلي في تقرير مصيرها .

ان المؤتمر يرسم ما يلي: [illegible] بكاملها في المطارح الى سو[illegible] العمال والجنود والفلاحين التي [illegible] بالذات ان تؤمن النظام الثوري [illegible].

ان كيرنسكي وكاليدين وغيرهما [illegible]ون بمحاولات لسوق العساكر على بترو[illegible] وبعض الفصائل التي خدعها كيرنسكي وحثها على الزحف ، انتقل الى جانب الشعب المنتفض .

ايها الجنود ابدوا مقاومة نشيطة بوجه كيرنسكي ! كونوا على يقظة !

يا عمال السكك الحديدية ، اوقفوا جميع القطارات التي يرسلها كيرنسكي على بتروغراد !

مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود في عامة روسيا . مندوبو سوفييتات الفلاحين
ص ٥ – دار التقدم – موسكو

بوادر المجاعة

« من لا يشتغل ، لا يأكل » – كيف العمل لتطبيق هذا المبدأ ؟ انه لواضح وضوح النهار انه ينبغي لهذا الغرض في بادئ الأمر ان يكون هناك احتكار الدولة للحبوب ، اي منع كل تجارة خاصة بالحبوب منعًا مطلقًا ، والزام تسليم جميع فوائض الحبوب الى الدولة ، بالاسعار الثابتة ، وكذلك منع اي امرئ منعًا مطلقًا من الاحتفاظ بفوائض الحبوب واخفائها . وينبغي ، ثانيًا ، اجراء حساب صارم لجميع فوائض الحبوب والقيام كما ينبغي وبصورة لا عيب فيها ، بنقل الحبوب التي تفيض فيها الى المناطق التي تنقصها ، وخزن الحبوب الضرورية للاستهلاك ، والتكييف ، والبذر . وينبغي ، ثالثًا ، القيام بتوزيع الخبز بين جميع مواطني الدولة ، تحت مراقبة دولة العمال ، [illegible]ولة [illegible]تاريا ، على ان يكون هذا [illegible]دًا ، عادلًا ، لا يمنح الغني اي [illegible] اية افضلية .

ان [illegible] وكيرنسكي قد خلّفا للطبقة العاملة [illegible]دمرتها تمامًا حربهما اللصوصية ، [illegible] البالغة القساوة ، بلادًا نهبها [illegible]تعماريون الروس والاجانب ولم يبقوا [illegible]يها شيئًا . ولن يكون ثمة خبز يكفي الجميع إلا اذا اخذنا بالحسبان ، وبكل صرامة ، كل بود من الحبوب (١٦,٣٨٠ كغ) ، والا اذا وزعنا كل رطل من الخبز حصصًا متساوية تمامًا . ان خبز الآلات ، اي المحروقات ، ينقصنا ايضًا الى حد كبير جدًا : فان السكك الحديدية والمعامل ستتوقف وستقضي البطالة والمجاعة على الشعب باسره ، اذا لم نوجه جميع جهودنا لكي نعمل ، بصرامة لا هوادة فيها ، على التوفير في الاستهلاك ، لكي نؤمن توزيعًا صائبًا .

ان احتكار الدولة للحبوب موجود عندنا بموجب القانون ولكنه يتعرض ابدًا ، بالفعل ، لتخريبات البرجوازية . ان غني الريف ، الكولاكي ، هذا الاخطبوط الذي نهب منطقته كلها خلال عشرات السنين ، يفضل الاثراء عن طريق المضاربة ، عن طريق تقطير الكحول من الحبوب . ففي ذلك فائدة كبرى لجيبه . اما المسؤولية عن المجاعة ، فانه يلقيها على سلطة السوفييت . »

من رسالة من لينين الى اعمال بتروغراد
نشرت في البراڤدا بتاريخ ٢٤ ايار ١٩١٨
لينين – المختارات – مجلد ٢ ، جزء ٢
ص ٣٤٢ و ٣٤٣ . دار التقدم – موسكو

صلاحيات وزارة الداخلية منذ ١٩٣٤ (تاريخ حل الغيبيو) ، قد مارست كلها كبتًا للحريات واستبدادًا نفّر الشعب منها .

وقد برزت في سياسة الاستبداد مرحلتان قاسيتان ، اولاهما خلال عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ اي عند التخلص من المعارضة التروتسكية ؛ والثانية عام ١٩٣٨ حيث بدأت عملية « التطهير » التي تلت اغتيال احد معاوني ستالين (كيروف) في لينينغراد ١٩٣٦ وقد اتهم بها بعض الزعماء الشيوعيين . غير ان بادرة التقرب من الشعب الوحيدة التي تخللت هاتين الفترتين هي نشر دستور ١٩٣٦ الذي عدّل جزئيًا بنود دستور ١٩٢٤ واقر للشعب بحق الاقتراع السرّي وزاد من عدد ممثليه في مختلف السوڤيات . فاستفاد من هذا الدستور الاكليروس المضطهد ، والكولاك المنفيون الى سيبيريا اذ سمح لهم بالعودة بعد ان اظهروا طواعية للنظام الجديد .

قبيل الحرب

منذ عام ١٩٣٨ قضت الظروف الدولية بان تنصب الجهود لتعزيز الانتاج الحربي ؛ فاهتم المارشال ڤوروشيلوف باعداد وتعزيز الطاقة العسكرية . وقد جاء الدستور الجديد (١٩٣٦) محاولة للتقرب من الشعب واستعدادًا لنزاع عسكري محتمل . وحظي الشباب باهتمام خاص ، وانتظمت فئاته في هيئات مختلفة (كومسومول) . فتضخمت قوة الاتحاد السوڤياتي بسرعة ، ولما انفجرت الحرب العالمية الثانية تبيّن هتلر مدى خطأه في امتهانه لها . ولم يكن هتلر وحده مخطئًا في التقدير ؛ فالعالم الرأسمالي كله قد ظنّ حملات التطهير المتواصلة نذيرًا بقرب انهيار الاتحاد السوڤياتي . فأخطأت كل التقديرات .

قرار حول تغيير اسم الحزب وتعديل برنامجه

يقرر المؤتمر ان حزبنا (حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي البلشفي) سيسمى بعد الآن الحزب الشيوعي الروسي مع اضافة كلمة البلشفي بين هلالين.

ويقرر المؤتمر تعديل برنامج حزبنا، مع تعديل القسم النظري منه او تكميله بتعريف للامبريالية ولعهد الثورة الاشتراكية العالمية البادئ.

ثم يجب ان يتلخص تعديل القسم السياسي من برنامجنا في اعطاء ادق واكمل تعريف ممكن عن الطراز الجديد للدولة، عن جمهورية السوفييت، بوصفها شكلاً لديكتاتورية البروليتاريا واستمرارًا لمكتسبات الثورة العمالية العالمية، هذه المكتسبات التي دشنتها كومونة باريس. ويجب ان يشير البرنامج الى ان حزبنا لن يعدل عن استخدام البرلمانية البرجوازية ايضاً، اذا ما دفعنا مجرى النضال الى الوراء بعض الوقت نحو هذه المرحلة التاريخية التي تجاوزتها ثورتنا الآن. ولكن الحزب سيناضل في كل حال، وايًا كانت الظروف، في سبيل جمهورية السوفييت، بوصفها طراز الدولة الاعلى من حيث الديموقراطية وبوصفها شكلاً لديكتاتورية البروليتاريا، في سبيل خلع نير المستثمرين وسحق مقاومتهم.

ويعهد المؤتمر الى لجنة خاصة بصياغة برنامج حزبنا وفقًا للتوجيهات المعروضة وقدر الامكان دون تأخير، واقراره بوصفه برنامج حزبنا.

البرافدا – العدد ٤٥، ٩ آذار ١٩١٨،
لينين – المختارات – دار التقدم – موسكو
مجلد ٢، ج ٢، ص ٢١١

مرسوم بتشكيل حكومة العمال والفلاحين

ان مؤتمر نواب العمال والجنود والفلاحين في عامة روسيا يرسم ما يلي:

١ – تشكّل حكومة موقتة عمالية وفلاحية تسمى مجلس مفوضي الشعب من اجل ادارة البلاد حتى انعقاد الجمعية التأسيسية.

٢ – الاشراف على مختلف فروع حياة الدولة يُخوّل للجان يجب ان يؤمن قوامها تطبيق البرنامج الذي اعلنه المؤتمر، بالوحدة الوثيقة مع المنظمات الجماهيرية للعمال والعاملات والبحارة والجنود والفلاحين والمستخدمين.

٣ – السلطة الحكومية تخص هيئة رؤساء هذه اللجان، اي مجلس مفوضي الشعب.

٤ – الرقابة على نشاط مفوضي الشعب وحق عزلهم يعودان لمؤتمر سوفييتات نواب العمال والفلاحين والجنود في عامة روسيا وللجنة التنفيذية المركزية.

٥ – في الوقت الحاضر، يتشكل مجلس مفوضي الشعب من الاشخاص التالين:

رئيس المجلس – فلاديمير اوليانوف (لينين)؛
مفوض الشعب للداخلية – أ. وي. ريكوف؛
للزراعة – ف. ب. ميليوتين؛
للعمل – أ. غ. شليا بنيكوف؛
للحربية والبحرية – لجنة قوامها: ف. أ. اوفسيينكو (انطونوف)، و ن. ف. كريلينكو، و ب. ي. ديبنكو؛
للتجارة والصناعة – ف. ب. نوغين؛
للتعليم العام – ا. ف. لونا تشارسكي؛
للمالية – ي. ي. سكفورتسوف (ستيبانوف)؛
للخارجية – ل. د. برونشتين (تروتسكي)؛
للعدلية – غ. اي. ابّوكوف (لوموف)؛
للتموين – اي. أ. تيودوروفيتش؛
للبريد والبرق – ن. ب. افيلوف (غليبوف)؛
الرئيس في شؤون القوميات – ي. ف. جوغا شفيلي (ستالين).

٦ – منصب مفوض الشعب لشؤون السكك الحديدية يبقى موقتًا غير مشغول.

٢٦ ت ١ (٨ ت ٢) ١٩١٧
لينين – المختارات – دار التقدم – موسكو
مجلد ٢، جزء ٢، ص ٢٥

٦ الحركة الفاشستية

ظروف نشأتها

مرت ايطاليا بعد الحرب بازمتين : نفسية واقتصادية . فمن الناحية النفسية وصل بها الأمر الى حد الشعور باهانة المغلوب ؛ اذ ارغمت ، وهي المنتصرة على التخلّي عما كانت تحتله على الادرياتيك . ولم يؤدّ انسحاب اورلاندو من مؤتمر الصلح الى احراج اي من حلفائه ، واستهجن الجميع عودته الى المؤتمر راضياً وموافقته على توقيع معاهدة ڤرساي . والذين هللوا لاحتلال مرفأ فيومي لن يطول بهم الأمر ان يصدموا بمعارضة الحلفاء وعلى رأسهم ويلسون.

واقترنت تلك الازمة النفسية بازمة اقتصادية فماليّة. فقد توقفت المصانع الحربية عن الانتاج مع نهاية الحرب ، وتفشّت البطالة ، وارتفعت الاسعار ونفقات المعيشة ، وانسدّت ابواب الهجرة ، وتدفقت على البلاد منتجات زراعية مستوردة فتعرقلت حركة التصريف . وانطلقت الاضطرابات يغذيها التضخم المالي وتدهور قيمة الليرة بالنسبة للدولار . وظهرت بوادر حرب اهلية يغذيها ضعف السلطة والازمات الوزارية المتلاحقة . فتطلع الشعب الايطالي الى سادة جدد يعبرون عن رأيه ويفجرون نقمته .

فشل الشيوعيين

في هذا الجو المحموم ، وجد الحزب الشيوعي الايطالي (تأسس ١٩١٩) ميداناً خصباً للعمل . فأقام يحرّض على الاضرابات ويشجع على البلبلة ليمهد كما في روسيا « للدكتاتورية البروليتاريا ». واسرف في التقرب من موسكو عندما اشترك ممثلون عنه في « الأممية الثالثة » (آذار ١٩١٩) .

واطاحت اعمال الشيوعيين المتطرفة بحكومة اورلاندو (حزيران ١٩١٩) . وتمخضت الانتخابات النيابية الجديدة عن وصول اكثرية يساريّة الى البرلمان. فرأى رئيس الوزارة الجديد (نيتّي Nitti) ان يسايرها ، يقيناً منه بان قضايا المستقبل هي حتماً بيد اليساريين . غير انه اضطر لترك الحكم بعد عام فقط (حزيران ١٩٢٠) وبعد ان فشل في تأليف ثلاث وزارات متتالية .

وفي ايام خلفه (جيوليتي Giolitti) احتل اكثر من نصف مليون عامل مصانع لومبارديا (في الشمال) والپيامون ، واعلنوا عن انفرادهم في ادارتها على الطريقة الروسية . وانطلقت بين الفلّاحين حركة مماثلة ، تطالب بتوزيع اعدل للملكيات ، فاحتلوا المزارع الخاصة يعضدهم العمال . ولزم جيوليتي جانب الحياد . ولم تعمر حركة العمال في المصانع اكثر من ثلاثة اسابيع ؛ وما لبث الماركسيون ان انقسموا على انفسهم (ك ٢ ١٩٢١) فاضحى هنالك الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي . وتتالت الانقسامات في قلب كل فئة ، فتحقق فشل اليسار . وفي غمرة هذه الاحداث جرت انتخابات عامة حملت الى البرلمان ثلاثين من الفاشستيين (تموز ١٩٢١) .

بروز الفاشستيين

حيال هذه الازمة المستعصية ظهرت ردود فعل مختلفة . وفكّر الرأسماليون بطريقة تقضي على حركة التمرد ، وتلجم المدّ الشيوعي قبل ان يستعصي . فاستنجدوا بمنظمة يمينية هي الحزب الفاشستي او « حزمة » المقاتلين (« الحزمة » fascio) ؛ وكان قد أسسها اشتراكي سابق هو موسوليني .

وموسوليني هذا ينتمي الى اسرة فقيرة ، تعاطى التعليم فترة ثم هاجر الى سويسرا ، حيث عاش متشردًا ناقمًا ومحرضًا على الاضرابات ، فسجن مرارًا . وبعد عودته الى ايطاليا تعاطى الصحافة (١٩١٤) وعبر عن ميوله اليسارية في صحيفته « شعب ايطاليا » . وما عتم ان طرد من الحزب الاشتراكي في العام ذاته . اشترك في الحرب العالمية الاولى وابلى في القتال ، وبعد مؤتمر ڤرساي كان كبقية الناقمين فهلّل لحملة دانتزيو على مرفأ فيومي . راقت له اعمال الفوضى في البدء ، ثم عاد فعبّر عن نقمته بتأسيس حزب يتجاوب مع النفسية الايطالية الساخطة . فجمع حوله فئات المستائين من محاربين قدامى ومتطوعين فتيان ، وكوّن منهم « حزم » المقاتلين في ميلانو وبلغ عددهم عشرون الفًا (ت ١ ١٩١٩) . واتخذ القميص الاسود لباسًا مميزًا يرمز الى الحداد والخيبة ، وانبرت صحيفة « شعب ايطاليا » تشن حملة محمومة على البولشفيك ومن والاهم من شيوعيي ايطاليا . فتسلطت الانظار فجأة على موسوليني ، ورأى فيه رجال الاعمال والمصارف والصناعة وكبار الملاكين العون الاكبر على حالة الفوضى المستبدة بالبلاد . (انظر ص ٦٥).

ودعمت الهيئات الرسمية بدورها هذه المنظمة ، فاغمض جيوليتي عينيه عن نشاط الفاشستيين وتنظيماتهم شبه العسكرية . وهلّلت فئات كثيرة من الايطاليين لموسوليني رغم الاساليب الديماغوجية التي لجأ اليها كشن الحملات التأديبية واعمال الهراوات في اجساد فوضويي منطقة البو (الشمال) ، وارغام زعمائهم على شرب زيت الخروع . وما فتئت اعداد المحازبين الفاشيست تزداد يومًا بعد يوم حتى غدت عدتهم ٣١٠ آلاف بعد عامين فقط من تأسيس الحزب ، وبينهم ثلاثون نائبًا في المجلس .

وصول موسوليني

برهن نجاح الفاشستيين عن امرين اساسيين : فشل اليسار وضعف السلطة . وراح موسوليني يترقب فرصة تسلمه زمام الحكم في ايطاليا . فتيسر له ذلك عندما استقال جيوليتي (بعد الانتخابات مباشرة في ٢١ تموز ١٩٢١) وخلفه فاكتا (Facta) في رئاسة الوزارة . ولما عرض هذا الاخير على موسوليني اشراكه في الحكم اصرّ متعاليًا على تولّي الفاشستيين ابرز الحقائب الوزارية ، فلم يلبّ فاكتا طلبه . وفي اول آب ١٩٢٢ اعلن الاشتراكيون اضرابًا لم يعدّوا له ، وطالبوا بحرية النقابات وبالحرية السياسية . فاستعد موسوليني لضربة ينوب فيها عن الدولة العاجزة . وكانت ضربته تلك عندما أمر الفاشستيين باحتلال وظائف المضربين ، ففشل الاضراب خلال بضع ساعات فقط وتلته اعمال « تطهيرية » ضد الاشتراكيين في كل مكان .

وانتشى الفاشستيون بهذا النصر ، وبدأوا يفكرون « بزحف الى روما » يحملهم الى السلطة . فوجه موسوليني انذارًا الى فاكتا ، يمهله مدة ٤٨ ساعة ليستقيل ، فاستقال (٢٧ ت ١ ١٩٢٢) . وتمادى الفاشستيون في اعمالهم ، فاحتلوا بعض الوظائف في ايطاليا الوسطى (الادارات – البريد – السكك الحديدية) للضغط على الملك وتكليف موسوليني بتأليف الوزارة . ورفض موسوليني بدوره ان يشارك في اي وزارة لا يكون هو رئيسها ، فكان له ما اراد عندما كلفه ڤيكتور عمانوئيل بها بعد يومين من استقالة فاكتا . فقد وصل الى الحكم دون انقلاب ، ووقف يستعرض الفاشستيين في زحفهم دون قتال الى روما .

نحو الدكتاتورية

ولدن تأليفه الوزارة ، اشرك موسوليني غير الفاشستيين في الحكم ، واسند اليهم نصف الحقائب الوزارية . وخوله المجلس النيابي سلطات استثنائية (اواخر ت ٢) تسلح بها ليشل خطط المعارضة . وما لبث ان انعدم الانسجام بين اعضاء الوزارة ، لا سيما ان انصاره ارادوا استغلال السلطة لصالحهم . فاحجمت الشخصيات السياسية عن التعاون معه .

وفي الانتخابات التالية ، لجأ الفاشستيون الى شتى الوسائل ، دون ان يتوصلوا مع ذلك الى كسب الاكثرية الساحقة . ولدى انعقاد البرلمان تجرأ احد النواب الاشتراكيين (ماتيوتي) على مهاجمة فساد الانتخابات والمطالبة بحل المجلس . فاوعز موسوليني الى محازبيه باغتياله (١٠ حزيران ١٩٢٤) . وتأزم الموقف بين الفاشستيين وخصومهم ؛ فاصدر موسوليني قرارات بحل بقية المنظمات من اشتراكية وماسونية .

وفي مطلع سنة ١٩٢٥ (٣ ك ٢) اعلن امام نواب حزبه عزمه على اتباع حكم دكتاتوري . فالغى الحريات الفردية ، وقيّد الصحافة ، وحظّر حرية الاجتماع ، وحلّ المجالس البلدية . وتعرّض لمحاولة اغتيال تذرّع بها لترسيخ اقدامه في الدكتاتورية . فاضطر اكثر خصومه لمغادرة البلاد ، اما من بقوا فسجنهم او نفاهم الى جزر ليباري (سيبيريا النار) .

الفاشستية

هدف الفاشستيين الاول هو تحقيق عظمة الدولة . فلا شيء خارج سلطتها المطلقة ، تسخر الرعية وتدعي العمل لصالح كل فرد فيها . ولا تقول بالحرية المطلقة بل تقول بحرية الفرد في الدولة اي عندما تكون الدولة حرة يكون كل مواطن فيها حرًا . وهذا هو اصل خلافها مع النظم الديمقراطية المدافعة عن الحرية الشخصية. وما الحرية الشخصية في نظر الفاشستيين إلّا تسخير الدولة لمصلحة الفرد.

فالفاشستية اذًا هي الطريق الكفيل بتحقيق عظمة الدولة ، بينما الديمقراطية والنظم البرلمانية تعرقل اعمال الدولة وتعيق تقدمها ونموها . وكل نظام مغاير للفاشستية لا يهيئ امة نشيطة مستعدة للكفاح والتضحية.

وما الدولة إلا الرئيس او « الدوتشي » ، طاعته واجبة لانها الطاعة للدولة ، وبما انه معصوم عن الخطإ كانت الطاعة له عمياء لا واجبة فقط .

لذلك جُعل شعار الفاشستي : « آمن ، أطع ، كافح » . ومن نقطة الانطلاق هذي استبد الحزب الفاشستي بسياسة البلاد ، فأي شكل اتخذ هذا الحكم الحزبي ؟

الحكم الفاشستي

حصر الدوتشي كل الصلاحيات في شخصه ، ولم يترك للملك غير سلطة اسمية . تولّى بنفسه وزارات الخارجية والاقتصاد ، واحيانًا الداخلية والحربية والبحرية . وخولته سلطاته الاستثنائية ان يتصرف بمعزل عن القوانين المرعية .

وباتت الفاشستية حزبًا اوحد في الدولة ، منه يختار الدوتشي موظفيه ومعاونيه واعضاء المجلس الفاشستي الاعلى . وقد بلغ عدد افراد الميليشيا الفاشستية ٧٥٠ الفًا ، هم الركيزة الاساسية في تدعيم مواقف الرئيس ، فقاموا مقام البوليس السري وقابلوا كل معارضة بالبطش .

وسُخِّرت وسائل الاعلام كافة من اذاعات وصحف وسينما ، للدعاوة للحزب والدولة . ومُنعت الاضرابات ، وانتظم العمال ضمن اثنين وعشرين اتحادًا نقابيًا (١٩٣٤) . يتمثل فيها العمال وارباب العمل ، ويرئسها ممثلون عن الدولة . وتهتم بكل الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والمالية ، تنظم شروط البيع وتحدد الاسعار . وفيما بعد حلَّ « المجلس الوطني لاتحاد النقابات » محل المجلس النيابي في الهيمنة على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد ، فتحول بذلك الى سلطة سياسية جعلت ايطاليا تظهر بمظهر الدولة النقابية .

ومقابل ذلك اهتمت الدولة بشؤون العمال ، فهيّأت لهم دروسًا مهنية وتقنية ، وجعلتهم في تنظيمات جماعية رياضية ووطنية امتصت فراغ اوقاتهم (بادارة دوپولاڤورو Dopolavoro) . كما اهتم بالفتيان ما بين سن الثامنة وسن الثامنة عشرة مسؤولون (مثل باليلّا وجيوڤاني Balilla, Giovanni) عن اعدادهم الاعداد الحزبي اللازم . (انظر الرسم ص ٦٥).

ولم يُعطّل البرلمان في البدء ، بل عدّل تنظيمه ، وانعدمت سلطته عندما الغي الاقتراع في اختيار النواب ؛ اذ كان ينتقى اربعمائة عضو من لائحة تعدّها النقابات وتضم الفًا ومائة اسم . ولئن استمر بقاء مجلس الشيوخ ، إلا انه فقد كل صلاحية . وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية ، أُلغي مجلس

النواب وحل محله مجلس الفاشستيين والنقابات ، اي اعضاء المجلس الوطني للحزب الفاشستي واعضاء المجلس الوطني لاتحاد النقابات . وقام موظفون اداريون تعينهم الدولة مقام المجالس البلدية والمخاتير .

منجزات الفاشستيين

١ – على الصعيد الداخلي

شجع موسوليني الزراعة ، فنشطت اعمال استصلاح الاراضي وتجفيف المستنقعات (في سهل الپو ومنطقة توسكانا) والتحريج والري (في صقلية وسردينية) ، وافتتح « معركة القمح » عندما حرث بنفسه حقلًا مستصلحًا ، فقفز الانتاج حتى اكتفت منه البلاد. وشُقّت الطرقات العريضة، ووُسّعت شبكة السكك الحديدية كما وسّعت ارصفة موانئ جنوى وتريستا والبندقية . واستعاضت الصناعة بانتاج الطاقة الكهربائية في سفوح الالپ عن استيراد الفحم من انجلترا .

ومنع الدوتشي الهجرة ليرفع من عدد السكان فتسهل عليه ساعتئذٍ الهيمنة على البحر الابيض المتوسط كما فعل الرومان من قبل . وادت الوقاية الصحية الى تدنّي نسبة الوفيات . غير ان النتيجة اتت عكس ما توخاه موسوليني ؛ فايطاليا لا يمكنها ان تقري المزيد من السكان . وقبل ان يستبد بالبلاد شبح البطالة ، عمد الفاشستيون الى سياسة استعمارية ثبّتت اقدامهم في ليبيا وقادتهم الى الحبشة .

٢ – على الصعيد الخارجي

كانت قضية روما معلقة منذ قيام الوحدة الايطالية ، ففطن الدوتشي الى اهمية هذه القضية في بلد ينصاع لسلطة البابا الدينية . وعلى الكرسي الرسولي آنذاك بيوس الحادي عشر ، فخاف من انتشار البولشفية وما تشكله من خطر صريح على الدين . لذلك حلّ التقارب بين البابا والدوتشي ، تقارب ادّى بعد محادثات سرية وطويلة الى توقيع اتفاقيات لاتران (١١ شباط ١٩٢٩) . وبموجبها اعترف البابا بمملكة ايطاليا ، وتخلّى عما انتزعته احداث الوحدة الايطالية من ممتلكات الكرسي الرسولي . واعترف الدوتشي بقيام دولة الڤاتيكان في قلب روما ؛ وتضم كاتدرائية القديس بطرس وقصور الڤاتيكان . وتقاضت الدولة الفتية مبلغًا ضخمًا يضاف اليه مبلغ سنوي كتعويض عما انتزعته منها المملكة الايطالية ، واضحت الكثلكة دين الدولة

الايطالية . غير ان الدوتشي لم يحتمل وجود منظمات « الشبيبة الكاثوليكية » التي يرعاها البابا ، فالغاها وكان هذا الأمر الوحيد الذي اختلف فيه مع الفاتيكان .

ولم يكن للفاشستيين اجمالاً دور فعّال على الصعيد الخارجي ، لكن الخلافات الدائمة بين الدول الكبرى اتاحت لهم الاضطلاع بدور هام . فقد شاء الدوتشي ان يضع ايطاليا في صف الدول العظمى . عزز الجيش والاسطول ، ووجّه حملة احتلت مرفأ فيومي (١٩٢٤) على الادرياتيك . ومنذ عام ١٩٣١ بدأت الازمة تعصف باوروبا ؛ فتوقف التصدير وعمّت البطالة فشددت ايطاليا قبضتها على ليبيا ووجهت حملتها الى الحبشة (١٩٣٥) غير عابئة باعتراض انجلترا وبعقوبات عصبة الامم. ثم احتل الدوتشي البانيا عام ١٩٣٩ واخذ يهدد اليونان وكان على خلاف معها منذ ١٩٢٣ بشأن جزيرة كورفو (Corfou) . وقادته ادعاءاته الى ان يغتر بقوته الظاهرية ، تلك القوة التي فضحتها الحرب العالمية الثانية .



تدريب الشبيبة الفاشستية (الباليلاً)

نزاع النظام البرلماني في ايطاليا

في خريف السنة ١٩٢٢ كان موقف الحكومة الايطالية ، حرجًا ، ورئيسها «فاكتا» عاجزًا عن فرض النظام ؛ فوجّه نداءً عاجلًا الى «جيوليتي» الرجل الوحيد القادر ، حسب رأيه ، على السيطرة على الموقف .

« ايها العزيز جيوليتي »

« انت الوحيد القـادر على اصلاح الاوضاع . فقد استطعتُ بفضل جهود تفوق تصور البشر ان اتجنب الازمة البرلمانية الشديدة ؛ غير ان تهديدها لا يزال قائمًا . وانت تعرف عجزي عن الاستمرار على رأس حكومة مهددة من كل جانب ، ويأتيهـا التهديد من قبل الصحافة كما يأتيها من قبل الاوساط البرلمانية ، ثم ان اعضاء الحكومة يتذرعون بكل حجة لتركها . يضاف الى ذلك الاوضاع العامة : فالفاشستيون يرون ان وضعهم اخذ يسوء ، وقد يلجأون والحالة هذه الى كل الحماقات الممكنة ما لم نعمد الى ايقافهم . وهذه الحماقات قد تقود البلاد الى الخراب . وحتى لو اوقفناهم فسيكون لبغضهم واحقادهم نتائج وخيمة . فكيف يمكن لايطاليا حيال هذه الاوضاع ان تحافظ على حكومة جد ضعيفة ؟ »

« فالحل باعجل ما يمكن ... »

« لن اضيف شيئًا آخر ، ايها العزيز جيوليتي ، لانه عندما يكون في ايطاليـا نظيرك فالحل ليس مستحيلًا . وهذه هي الفكرة التي تشجعني . »

غير ان جيوليتي كان يفاوض موسوليني (٨ ت ١ ١٩٢٢) فلم يرد على نداء فاكتا . وهذا بعض ما جاء في رسالة مبعوث جيوليتي لمفاوضة موسوليني :

« وبعد ان فكر (موسوليني) اجابني بان ليس هناك إلا حلان » :

« اولهما : حكومة تضطلع بمسؤولية تنظيم الانتخابات . وفي هذه الحالة يتحدد اشتراك الفاشستيين في الحكم بوزير واحد وأمينَي سر دولة ؛ على ان تضم الوزارة ممثلين عن كل الاحزاب باستثناء الحزب الاشتراكي وانصار « نيتّي » (Nitti) ، وتعدل الوزارة فيما بعد على ضوء نتائج الانتخابات » .

« والثاني : تؤلّف حكومة موسعة حصة الفاشستيين فيها مناسبة لقوتهم في البلاد . وفي حال تشكيل حكومة كهذه لا حاجة لانتخابات مباشرة . ويقتضي في كل الاحوال ان يُخصّص للفاشستيين اربعة حقائب هي: وزارة الخارجية ، والجيش ، والبحرية ، والاشغال العامة . واضاف (موسوليني) : اما ان يثبت الفاشستيون ، وهم اقويـاء في الحكم ، جدارتهم ويكون ذلك خيرًا للبلاد ، وإمّا ان يعجزوا عن اثبات وجودهم «وينفّس المنطاد الفاشستي» فتسعى البلاد الى حل آخر . »

ويضيف مبعوث جيوليتي في رسالته : « انا مقتنع بعد ذلك بالضرورة الملحة ، ومن اجل مصلحة البلاد ، لدعوة الفاشستيين دون ابطاء للمشاركة في الحكم . »

وبعد بضعة ايام كان « الزحف على روما » من قبل الفاشستيين .

شولانج – ماتري – سيف

نصوص تاريخية – ج ١ ص ٩٦ و ٩٧

ترجمة المؤلف



بنيتو موسوليني

٧ الحركة النازية

انتعاش عابر

افادت المانيا من مشروع داويز وما قدمه لها من مساعدات مالية اتاحت لحاكم مصرفها ، الدكتور «شاخت» ، ان يصدر ماركًا جديدًا اعطاه القيمة التي كانت له قبل الحرب ؛ فعاد النشاط الى الحياة الاقتصادية . وبعد مؤتمر لوكارنو ، انفتحت ابواب عصبة الامم امام جمهورية ويمار . واخيرًا مهّد مشروع يونغ لانسحاب قوات الحلفاء من منطقة الراين في عام ١٩٣٠ اي قبل انتهاء مدة الاحتلال بخمس سنوات . غير ان الازمة الاقتصادية الكبرى كانت قد انطلقت من الولايات المتحدة الاميركية فتركت تأثيرها المباشر على اوضاع المانيا .

دور ازمة ١٩٢٩

وبدأت الازمات بعد ذاك تعصف بالمانيا ؛ فالازمة الاقتصادية التي بدأت مع انهيار سوق الاسهم في نيويورك (وول ستريت في ٢٤ ت ١ ١٩٢٩) جعلت دائني المانيا يحجمون عن تقديم قروض جديدة ، واخذوا يطالبون باستيفاء اموالهم . وبحلول تموز ١٩٣١ توقف اول بنوك المانيا عن الدفع (دانات بنك Danat bank) ، فاقفلت البورصة وحُظّر خروج الرساميل . وطلب المسؤولون المساعدة من اي مصدر خارجي ، حتى من فرنسا . وزادوا الضرائب وعصروا النفقات وخفضوا المرتبات وتعويضات البطالة . فشُلّ الانتاج وانتشرت البطالة حتى بلغ عدد العاطلين عن العمل سبعة ملايين . (انظر ص ٧٧).

وفي هذا الجو المحموم نشطت الاحزاب المتطرفة ، وابرزها « الجبهة الحمراء » الشيوعية ، و « الخوذ الفولاذية » الملكية ، ثم « الصليب المعقوف » النازي بقيادة ادولف هتلر ، وقد اطلق سراحه بعد بضعة اشهر من فشل انقلاب ميونيخ .

بروز هتلر

وادولف هتلر هذا نمساوي الأصل حلّ في ڤيينا عام ١٩٠٨ وعمل دهّانًا فلم ينجح فلازمه الجوع ، وتقلب في اعمال حقيرة علمته «ان يكون قاسيًا».

نظرة هتلر الى اليهود

« ليس لليهودي حضارة خاصة بـــه ، فأسس عمله الفكري مستوحاة من الذين اوجدوا الحضارات . والشرط الاول الذي يجعل من الشعب شعباً ذا حضارة ليس موجوداً في « الشعب المختار » : فليس لليهود مثالية ... ذلك ان روح التضحية عند اليهود لا تتعدى نطاق « الأنا » . اما التضامن الذي نجده بين اليهود والذي يبدو قوياً ، ليس هذا التضامن اكثر من تجمع زمني ، اشبه بتجمع قطيع من الغنم يواجه خطراً مشتركاً . او أشبه بتجمع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة ، فما ان تنتهي الوليمة حتى يتفرق « المدعوون » ... واليهودي لا يعرف التضامن إلا في حالة الخطر ، والتضامن هذا يصبح واجباً في حالتين : تجاه العدو المشترك او حيال فريسة مشتركة . فاذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود الى انانيتهم ويصبح همهم الوحيد الكيد والمؤامرات ونهش بعضهم بعضاً .

اذاً فاتحاد اليهود للكفاح او لسلب لا يعتبر مثالية تذهب بهم الى التضحية ونكران الذات . فاليهودي لا يجد في هذا سوى الانانية الضيقة . واذا تمكن « الشعب المختار » يوماً ان ينشئ دولته اليهودية – الجهاز الحي المعد لحفظ العرق وتنميته – فستكون دولته هذه دون حدود ، لان تحديد حدود الدولة يفترض وجود مثالية لدى العرق الذي ينشئها كما يفترض ان يكون مفهومه للعمل مبنياً على تقديرات صحيحة . واذا انفقد هذان الشرطان تفشل المحاولات لايجاد دولة ذات حدود ، لان هذه الدولة لا يمكن ان تعيش لافتقارها الى الاسس التي تشاد عليها الحضارة .

الشعب والعرق – **هتلر** – كفاحي – ص ١٠٣
منشورات المكتبة الاهلية – بيروت



ادولف هتلر

تواضع آري !!

« ان الآريين قد اسسوا في الماضي حضارة بشرية متفوقة ، ولذلك فهم يمثلون النموذج البدائي لما نسميه « الانسان » . فكل ما نراه من الحضارات البشرية يعود باصله الى ثمرة النشاط الآري الخلّاق . فقد كان الآري ولم يزل حامل المشعل الإلهي الذي ينير الطريق امام البشر ، فشرارة العبقرية الإلهية انطلقت من جبينه المشرق ، وهو الذي فتح دروب المعرفة امام الانسان ليجعل منه سيد الكائنات الحية على هذه الارض . فاذا توارى الآري سيسود الظلام ، وتنهار الحضارة البشرية في بضعة قرون ...

اما اذا صنفنا البشر الى ثلاث فئات : الفئة الاولى التي خلقت الحضارة ، والثانية التي حافظت عليها ، والثالثة التي قوضت دعائمها ، فاننا نجد ان الآري هو الممثل الوحيد للفئة الاولى ، فهو الذي وضع حجر الاساس ، ووضع تصميم ما حققه التقدم البشري ، وقد تولى التنفيذ كل عرق على طريقته الخاصة واصبحت المظاهر الخارجية تعرف بطابع المنفذين لها . »

الشعب والعرق – **هتلر** – كفاحي – ص ٩٩
منشورات المكتبة الاهلية – بيروت

ثم انتقل الى ميونيخ حيث واظب على عمله كدهان الى ان نشبت الحرب «فهلّل لها» . واشترك فيها كجندي ، ثم رقي الى رتبة عريف . وفي نهايتها اكتسب مَلَكَة الخطابة عندما كلّف من قبل رؤسائه بان يتكلم في الجنود لصرفهم عن مؤازرة السپارتاكوسيين . فتولّد لديه كره شديد للمبادئ الاشتراكية والجمهورية ؛ فهما ، في اعتقاده ، من ابتداع «اليهودية العالمية». ووضع نصب عينيه ان ينقلب على جمهورية ويمار ويمزق معاهدة ڤرساي المهينة . فانضم الى حزب صغير مغمور الذكر في ميونيخ ، وما لبث ان تزعمه واعطاه اسمًا جديدًا اي «الحزب الوطني – الاشتراكي» او بالمختصر «النازي»، وقد حافظ على لفظة «اشتراكي» في تسمية الحزب مكرهًا. واتخذ له شعارًا الصليب المعقوف ضمن دائرة بيضاء محاطة بالاحمر . وما عتم ان اصبح للحزب صحيفة تعبر عن رأيه . وخلال سجنه القصير وضع هتلر كتابه « كفاحي » ، وضمنه آراءه النازية . وكثر من حوله الأنصار وجمع المتطوعين في وحدات شبيهة بالميليشيا الفاشستية . وفيما الوضع الداخلي في المانيا يزداد سوءًا كانت شعبية هتلر في اطراد . فاقبلت على حزبه مستسيغة وعوده بتأمين العمل للجميع وازالة الفوارق الاجتماعية والنهضة بالمانيا . وهكذا استطاع النازيون ان يفوزوا بمائة وسبعة مقاعد في مجلس النواب عام ١٩٣٠ (اي بنسبة ١٨ بالمائة) .

نحو الدكتاتورية

في انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢ ترشّح هتلر «بوقاحة» ضد مرشح الاجماع الوطني هندنبرغ ، فلم يفز ، غير انه نال عددًا ضخمًا من الاصوات (١٣½ مليون لهتلر مقابل ١٩½ لهندنبرغ) . وبعد ذاك بدأ هتلر يخسر من شعبيته . فيما زاد اشتداد الازمة الاقتصادية من شعبية الاشتراكيين بين من كانت تستقطبهم الدعاوة النازية . فتطلع الرأسماليون الى هتلر كشخص وحيد قادر على التصدي للمد الشيوعي ، وساندوه . وفي الانتخابات النيابية التالية اصبح عدد نواب حزبه ٢٣٠ ، وترأس المجلس النيابي النازي غورنغ . فتجرأ هتلر ساعتئذٍ وطالب بان تسند اليه رئاسة الوزارة ، فرفض هندنبرغ . ولدى حل المجلس تدنت شعبية هتلر فجأة ، وعمت الاضرابات يغذيها الشيوعيون. فمر هتلر في محنة لم يخرجه منها إلا تدخل ڤون پاپن (Von Papen)

بايعاز من ارباب الصناعة والاقتصاد ، وقد هالهم تعاظم الخطر الاشتراكي (ڤون پاپن هو رئيس وزارة سابق ، وقد كانت منافسته مع ڤون شليشر رئيس الوزارة آنذاك على اشدها) . فاقتنع هندنبرغ من ڤون پاپن واقال ڤون شليشر وعيَّن مكانه « العريف المتشرد » اي هتلر مستشارًا (٣٠ ك ٢ ١٩٣٣) .

في رأي الجميع آنذاك ان وزارة هتلر ستكون كسابقاتها ، كما سيكون وصول هتلر سببًا في انقسام النازيين على بعضهم . غير ان « العريف » قد استطاع خلال بضعة اشهر فقط ان يقلب الأوضاع رأسًا على عقب ، مستعينًا بمحازبيه وبمنظماته شبه العسكرية اي : « قطعات الحصار » (S.A.) « وقطعات الحماية » (S.S.) . فحلَّ الريخشتاغ اي مجلس النواب ، واعدَّ لانتخابات جديدة بمساعدة معاونه وصديقه غورنغ . ومنع التجمعات وعطل حرية الصحافة ، وصرف الموظفين من ذوي الميول الجمهورية . وبلغ من احتقاره للنظام البرلماني ان تعمّد احراق مبنى مجلس النواب (٢٧ شباط ١٩٣٣) متهمًا الشيوعيين بهذا الأمر ليعاقبهم بحجزهم في معسكرات التجمع وبعزل نوابهم .

ولما اجتمع المجلس الجديد أقرّ لهتلر بسلطات مطلقة (آذار ١٩٣٣) ، فصبغ الدكتاتورية بصيغة شرعية وقضى على الجمهورية واستبدل علمها بالعلم النازي (الصليب المعقوف ضمن دائرة بيضاء محاطة بالأحمر) . واقتصرت وظيفة المجلس النيابي بعد ذاك على التصفيق لخطابات هتلر ، ومهمة هندنبرغ على التوقيع فقط . وبعد ذلك لم يعد المجلس يجتمع بانتظام لان الاستفتاءات الشعبية قد حلّت محلّه في الموافقة على مقررات هتلر . ولما مات هندنبرغ (١٩٣٤) ادعى هتلر بانه قد اختاره ليحل محله وعزّز موقفه باستفتاء شعبي ، واتخذ اذّاك لقب فوهرر الرايخ الثالث ، وتعذر بعدئذٍ الفصل بين الدولة والحزب النازي لان المسؤولين عن الاولى هم انفسهم المسؤولون عن الثاني .

النازية كانت لهتلر افكار محددة وبرنامج عمل . فقد ركز على نقطتين اساسيتين : العنصرية والوطنية . اما قوله بالعنصرية فلم يكن مستحدثًا بل سبقه اليه كثيرون منذ القرن التاسع عشر (من مثل Gobineau و Vacher de Lapouge و Houston Stewart Chamberlain)، غير ان الروح النازية

التي زرعها هتلر عبر المانيا اتاحت للمفكر بروك (Bruck) ان يبلور في كتابه « الرايخ الثالث » كل الصفات العرقية الجرمانية ، مستوحيًا من عباقرة المانيين امثال هيغل وفيشت (Fichte) ونيتشه وما ركزوا عليه من سعي للتفوق. وصادف ذلك هوسًا لدى الالمانيين افاد منه غوبلز (المسؤول عن التوجيه) في توجيه الرأي العام الالماني .

وفي عقيدة النازيين ان العرق الابيض هو الاسمى ، واسمى ما في فروعه العنصر الآري . ولا يتوفر الدم الآري النقي إلا في الانسان الجرماني . فيجب بالتالي المحافظة على نقائه واعداده للافضل . هو « شعب اسياد » مهيأ للقيام بالدور الحضاري الاول ، بينما العنصر السامي وبنوع اخص اليهود هو عامل تأخر . فعلى النازيين ان يترفعوا عن كل علاقة مع الساميين بل عليهم ان يحتقروهم وينزعوا الجنسية الالمانية من اليهود . (انظر ص ٦٧).

اما الشعور الوطني فقد أثاره هتلر عندما راح يضرب على وتر الهزيمة العسكرية في الحرب العالمية الاولى . يتهجم على معاهدة ڤرساي أو « الدكتات » وينسب اليها امر اذلال الالمانيين بعد ان كانت لهم امجادهم الغابرة . ثم ينتقل الى اثارة التقاليد الماضية ومهاجمة الديمقراطية ، والنظام البرلماني الحر ، والشيوعية وحرب الطبقات لانهما بدعة يهودية قال بها يهودي (ماركس) .

ولم يقف هتلر عند هذا الحد ، بل تنكر للمبادئ الانسانية ايضًا ؛ عندما شجع على القتل والجشع واحتقار الناس ، مستسيغًا كل الوسائل للوصول الى هدفه . وكانت اولى التجارب النازية في ازدراء القيم الانسانية عندما قضى بوحشية على من عارضوا سياسة الفوهرر ومبادئه اثر اكتشاف خيوط مؤامرة دبرها صديق قديم لهتلر هو « روهم » مع ڤون شليشر . فأوعز الى كتائبه الحزبية باغتيال كل من له ضلع بهذه المؤامرة . وطار من برلين الى ميونيخ ليشهد تقتيل اخصامه . (انظر ص ٧٣).

الحكم النازي

تشبّه هتلر بموسوليني ، فحصر السلطات جميعًا بيده . وحسب العقيدة النازية : الامّة هي الفوهرر ، فيستحيل اذًا ان تنفصم العرى التي تؤلّف بينهما . وعندما تدعو الحاجة لاتخاذ قرار هام يأتي الاستفتاء تأكيدًا لموافقة الامة على هذا القرار .

وقوّى هتلر في حكمه المركزية ، فألغى الصفة الفدرالية للدولـــة ، وحلّ المجلس الاتحادي (ريخشرات) والحكومات المحلية واستعاض عنها «بمفوضين» مرتبطين مباشرة بوزير الداخلية (منذ مطلع ١٩٣٤) فلم يعد ثمة دول متحدة فيما بينها بل ذابت كلها في لفظة واحدة هي المانيا .

وعزّز النازية بحل سائر الاحزاب فغدت حزبًا اوحد في البلاد ، واتكل على البوليس السرّي (غستابو) برئاسة هملر ، تسانده الكتائب الحزبية (.S.A و .S.S) كشرطة ملحقة بقوى الأمن الداخلي . وقمع دون رحمة معارضة اليهود والشيوعيين والاشتراكيين . وغدت معسكرات التجمع مثالًا فريدًا في الارهاب والتعذيب .

ولم يغفل النازيون دور التوجيه في اعداد الشبيبة (Kultur Kampf) ، فوكلوا امرها الى الدكتور جوزف غوبلز . واقيمت « الغرفة الثقافية » لمراقبة الاذاعة والمسرح والصحافة والسينما والمنشورات ، وطُهّرت المكتبات العامة من كل مؤلّف يتناقض في موضوعه مع العقيدة النازية . وعززت الرياضة البدنية كوسيلة لاعداد الشبيبة الجرمانية لمستقبل افضل وعرق أسمى . وبذلك وفق غوبلز في توحيد الاتجاه لدى الرأي العام الالماني .

النشاط الاقتصادي

لما تسلّم هتلر زمام الحكم كان تدعيم الاقتصاد والقضاء على البطالة اشد الأمور إلحاحًا ، وإلا تعرض كل مجهوده السياسي للفشل . فاقام « جبهة العمل » ، واتخذ جملة تدابير اهمها حل النقابات القائمة وصهرها في «نقابات موحدة» ، ومنع الاضرابات ، وحدّد اوقات العمل ، واجور العمال ، وارباح ارباب العمل .

وحظي العمال باهتمام كبير ؛ فكانت هيئة « الغبطة بالعمل » على غرار التنظيمات العمالية الفاشستية ، وامتصت فراغ اوقاتهم نشاطات مختلفة منها رحلات قليلة التكاليف ومسارح شعبية وحفلات موسيقية ومحاضرات واستعراضات رياضية .

وتبنّت الدولة مشروع الاربع سنوات (١٩٣٣ – ١٩٣٦) لشق الاتوسترادات والتخفيف من وطأة البطالة . واتجهت الخطة التالية نحو الانتاج الحربي فاختفت

البطالة عام ١٩٣٧ . وحظي القطاع الزراعي بعناية مشابهة بعد ان قامت الدولة «جبهة المزارع».

ولم يصل اشراف الدولة الى حد تأميم المؤسسات الخاصة. ونشط الاقتصاد بفضل جهود جبارة ابرزها جهود الدكتور شاخت حاكم مصرف الرايخ واول مساعدي غورنغ الاقتصاديين. وانحلّت مشكلة نقص المواد الاولية بتوافر الابتكارات الكيميائية وبعقد الاتفاقات التجارية مع دول اوروبا الشرقية والمتوسطية من مثل رومانيا ويوغوسلافيا والمجر وبلغاريا واليونان وتركيا . واضحت المانيا قوة اقتصادية ضخمة نقطة الضعف فيها الاعداد لثأر الماني ولهيمنة جرمانية على العالم ، فتحوّل المجهود الى الانتاج الحربي .



السلام النازي

رمز النازية

« في ربيع عـــام ١٩٢١ توسعت دائرة نشاطنا، فاصبح علينا ان نعزز الحرس بعناصر جديدة. وقــد اضطرنا تنظيم الوحدات النظامية الى خلق شارة او راية للحزب. وما ان قررنا ان يكون للحزب راية خاصة ترمز لرسالته، حتى انهالت علينا التصاميم والاقتراحات. فدرسناها ولم نأخذ بها الى ان عرض علينا طبيب اسنان مشروعًا لا بأس به، لكن الالوان التي اخرجها كانت متنافرة، فوفقت انا بين الالوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب: دائرة بيضاء في قماشة حمراء، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الاسود. فتبنّى الرفاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية واختاروا في الوقت نفسه شكل الشارة المعدنية ولون الرابطة التي ستوضع على ذراع رجال الحرس.

لقد كانت الراية حقًا رمزًا لحركتنا واهدافها السامية، فاللون الاحمر يرمز الى الناحية الاجتماعية من الحركة، واللون الابيض الى الفكرة القومية، والصليب المعقوف يرمز الى النضال المرير في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العمل المنتج. »

هتلر – كفاحي – تأثير الكلمة – ص ١٧٠
منشورات المكتبة الاهلية – بيروت



مقاطعة المخازن اليهودية

احد الافران التي كانت تلتهم ضحايا معسكرات التجمع.

٨ الأزمة الاقتصادية

طبيعي ان تأتي الازمات نتيجة مباشرة للحرب العالمية الاولى ؛ ولكنها ازمات منفصلة اختلف طابعها باختلاف البلدان الاوروبية ومشاكلها. واعوزها الترابط فيما بينها فلم تغدو شاملة شأن ازمة ١٩٢٩ ؛ تلك الازمة التي هزت الانظمة الرأسمالية دفعة واحدة وتركت تأثيرًا عميقًا في القطاعات الاجتماعية والسياسية ، وظلت تتفاعل حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

اصل الازمة

وانطلقت هذه الازمة من الولايات المتحدة الاميركية ، اقوى دول العالم بعد الحرب الكونية الاولى. فقد استفادت هذه الدولة من كون القتال قد دار خارج اراضيها ولم يؤثر على صناعتها ، بل زادها قوة. فانتزعت من انجلترا المرتبة الاقتصادية الاولى ، واغرقت اوروپا برساميلها وقروضها. غير ان نكسة عابرة المّت باقتصادها عام ١٩٢٠ ؛ فتوقفت فجأة عن التسليف لدول اوروپا ومنشآتها وما لبثت ان استعادت نشاطها (منذ ١٩٢٢) وعرف اقتصادها ازدهارًا قلّ نظيره في العالم.

ولم ينتبه الاميركيون لكون الحرية المطلقة نقطة ضعف تهدد اقتصادهم ، واتكلوا على السوق الوطنية وحدها. فاغفل رجال الصناعة حدود التخمة لدى كل سوق داخلية ، ونشأت مشكلة التصريف. ومنذ عام ١٩٢٦ بدأت المؤسسات الاميركية تشعر بوطأة المضاربات ، واخذت الأرباح تتقلص تدريجيًا.

وتضخم الانتاج الزراعي ، فتعذر التصدير إذ احجمت معظم الدول الاوروبية عن الاستيراد. وقلّ الطلب وتدنّت الاسعار بعد ان توصلت المانيا وفرنسا وايطاليا (ثم انجلترا بعد عام ١٩٣١) الى انتاج حاجاتها. وظهرت دول عديدة مصدرة للقمح. ونتيجة للتقدم العلمي ارتفع المردود حتى تعذّر على المزارعين تصريف انتاجهم ، فبدأ النزوح الى المدن. ونظرًا للفارق بين اسعار المنتجات الزراعية واسعار البضائع والآلات تعذر على المزارعين تحديث اساليبهم وآلاتهم ، واثقلت كواهلهم الديون وقصّروا في استهلاك المصنوعات

فتأثرت المصانع ، فعمدت الى الدعاوة والبيع بالتقسيط ، دون ان ينتبه الصناعيون مرة اخرى الى تدني مستوى المعيشة لدى المستهلكين . فاقترضوا من البنوك مبالغ تمكنهم من تحديث تجهيزاتهم ، فكان ذلك علاجًا عابرًا لانه فرض ارتفاعًا في سعر الاسهم يتعدى قيمتها الواقعية ، كما فرض ديونًا جديدة جعلت المؤسسات تعيش تحت وطأة الفوائد .

بورصة نيويورك

منذ مطلع عام ١٩٢٩ لاحت بوادر صعوبات اقتصادية ، المّت باسعار الاسهم في اسواق النقد الاوروبية ، وتلاها انخفاض في اسعار المواد الاولية في كل انحاء العالم . وما ان حلّ شهر تشرين الاول حتى بدأت اسعار الاسهم بالتدني في بورصة نيويورك ، فشعر الاميركيون بتقلقل اوضاعهم المالية والاقتصادية . وفي يوم الخميس (٢٤ ت ١) انهارت قيمة الاسهم فجأة وتدافع مالكوها لبيعها . وعجزت المصارف بالرغم من شرائها لعدد ضخم من الاسهم عن الحفاظ على استقرار الاسعار ؛ فدبّ الذعر وانتقلت الازمة الى المصارف نفسها فامتنعت عن القروض ، واخذت الرساميل تختفي تدريجيًا بعد ان تهافت المودعون لسحب ودائعهم . فانشلّت عجلة الاقتصاد وعجز المدينون عن تسديد ديونهم ، ونجم عن ذلك سلسلة من الافلاسات ؛ فكأن النظام الرأسمالي كله في انهيار . وسرعان ما انتقلت الازمة الى الصعيد الاجتماعي ، فبلغ عدد العاطلين عن العمل خمسة عشر مليونًا عدا المزارعين .

انتقال الازمة

وسرت عدوى الازمة الى الخارج . فقد احجمت الولايات المتحدة عن استيراد المواد الاولية اللازمة لصناعتها ، وعجزت الدول المنتجة لهذه المواد ، ومعظمها في اميركا اللاتينية ، عن بيعها الى بلاد اخرى . ودعيت دول اوروبا الغربية والوسطى الى تسديد القروض الاميركية فافلست مؤسساتها المالية والصناعية والتجارية وانتشرت البطالة .

أ – في النمسا والمانيا

وفي النمسا بدأت المصارف تعاني العجز منذ اواخر عام ١٩٢٩ . وفكّر المسؤولون بضم البلاد الى المانيا علّها بذلك تتغلب على مصاعبها المالية ؛ فاصطدموا بقيود معاهدة ڤرساي . ومجرد التفكير بضم النمسا الى المانيا اثار هلع اصحاب القروض والودائع من الاجانب ، وتهافت المودعون على سحب

ودائعهم. وكان توقف مصرف كريديت انستالت (Credit Anstalt) بداية سلسلة من الافلاسات جرّت وراءها الكثير من الانهيارات المالية (ايار ١٩٣١).

وانتقلت الازمة الى المانيا فأثارت مخاوف العالم اجمع نظرًا لالتزامات المانيا المالية ولضخامة القروض المالية التي حصلت عليها من الولايات المتحدة وسائر دول اوروبا. وتدخل الرئيس الاميركي هوڤر (Hoover) (في ٢٠ حزيران ١٩٣١) لوقف دفع التعويضات بين الدول لمدة عام، غير ان هذه التعويضات لم تكن إلا جزءًا يسيرًا جدًا بالنسبة لما للمصارف الاميركية في ذمة المانيا؛ ففشل تدبير هوڤر واستمرت الازمة حتى تموز حيث ادى التهافت على سحب الودائع الى اقفال المصارف الالمانية وفي طليعتها دانات بنك (Danat Bank) ثم حظر تحويل الاموال الى الخارج. وفي الوقت نفسه اتخذت تدابير قاسية كزيادة الضرائب، وخفض الاجور والتعويضات، فازدادت نسبة المستائين، ووصل عدد العاطلين عن العمل الى اكثر من ستة ملايين. وافاد هتلر من هذا الوضع لكسب الانصار بين العاطلين عن العمل. ولم تستفد المانيا إلا من ناحية واحدة ألا وهي التملص من دفع التعويضات التي اقرها مشروع يونغ.

٢ – في انجلترا

وما انقضت بضعة اسابيع حتى انتقلت الازمة من المانيا الى بريطانيا. وزاد في وطأتها ان البريطانيين كانوا قد استدانوا اموالًا ليوظفوها في المانيا. فاضطرت حكومة صاحب الجلالة ان تخفض قيمة الاسترليني بنسبة ثلاثين بالماية (آب ١٩٣١)؛ ولما كان معظم التجارة الخارجية يجري بواسطة هذا النقد، فقد أدّى هذا التخفيض الى تبلبل الميزان التجاري الاوروبي بل العالمي. وسرت موجة من التخفيضات على النقد المرتبط بالاسترليني (عملة اسوج ونروج وفنلندا والبرتغال وبوليڤيا واليابان ومصر واليونان ...). وتوقفت الصادرات البريطانية لا سيما انها كانت تشكو من ارتفاع كلفة الانتاج وانعدام التحديث في الاجهزة والآلات. وارتفع عدد العاطلين عن العمل الى ثلاثة ملايين. وبلغ عجز الميزانية رقمًا ضخمًا، فاتخذت الحكومة تدابير وقائية كزيادة الضريبة على المرتبات (بنسبة عشرة بالماية) وتقييد حرية التجارة واقفــال بعض المناجم وتأميم بعض المؤسسات (الاذاعة، النقل داخل

الأزمة الاقتصادية ونتائجها في المانيا (١٩٢٩ - ١٩٣٠)

« ألمت العاصفة الاقتصادية بالمانيا ، واضطرت المصارف الاميركية ان تواجـــه التزامات مالية محلية متضاعفة، فاحجمت عن تقديم المزيد من القروض لالمانيا بعد بعد ان كانت حتى الامس القريب تمدها بها دون حذر . وتصرف كهذا أدّى الى اقفال وانهيار عدد كبير من المصانع والمؤسسات التي تتوقف عليها نهضة البلاد السلمية وبلغ عدد العاطلين عن العمل ٢,٣٠٠,٠٠٠ . وفي الوقت نفسه دخلت مسألة التعويضات مرحلة جديدة ؛ ففي السنوات الثلاث السابقة مارس المفوض الاميركي يونغ رقابة يقظة على مختلف الموازنات الالمانية ، واقتطع منها التعويضات المفروضة عليها للحلفاء . وبدا واضحًا ان نظامًا كهذا لا يمكنه الاستمرار حتى النهاية . وقد خطّط يونغ منذ صيف ١٩٢٩ . ، واقترح على باريس وفاوضها حول مشروع يخفف من وطأة الالتزامات المفروضة على المانيا ؛ ومشروعه هذا لم يطوِ صفحة التعويضات وحسب ، بل حرر مصرف المانيا وسككها الحديديّة من رقابة الحلفاء والغى لجنة التعويضات لصالح المصرف والتسويات الدولية ... »

« وبشق النفس نالت الحكومة الالمانية موافقة مجلس النواب على مشروع يونغ باكثرية ٢٢٤ صوتا ضد ٢٠٦ . واستطاع ستريزمان وزير الخارجية آنذاك ، وهو على شفا الموت ، (مات في ٣ ت ١ ١٩٢٩) ان يتوج حياته السياسية بآخر نصر عندما حقق الموافقة على جلاء قوات الحلفاء عن منطقة الراين قبل الموعد المحدد في المعاهدة. »

« غير ان الجموع الالمانية لم تكن لتقابل بغير البرودة ما يمنحها اياه المنتصرون من امتيازات . فلو انها اعطيت ذلك من قبل وفي ظروف أنسب لاستقبلته بحماس باعتباره خطوة هامة نحو التفاهم الدولي والصلح الحقيقي . غير ان تهديد البطالة يبعث الخوف الدائم ويجعل الانقباض في قلوب الالمانيين ؛ فالطبقة الوسطى قد الَمّ بها الخراب ودفعها انهيار المارك الى اعتماد العنف . وبسبب الازمة الاقتصادية العالمية كان موقف ستريزمان في السياسة الداخلية آخذًا بالتقلقل يومًا بعد يوم ؛ فانتهت تصديات نازيي هتلر ورأسماليي هوغنبرغ (Hugenberg) اكبر رجال الاقتصاد وزعيمهم آنذاك) باسقاط الحكومات . وفي ٢٨ آذار ١٩٣٠ ، اصبح برونينغ رئيس حزب الوسط الكاثوليكي ، مستشارًا للرايخ . »

تشرشل – المذكرات – العاصفة تقترب
ص ٦٢ و ٦٣ – منشورات بلون ١٩٤٨
ترجمة المؤلف

العاصمة ...) وفرض رسوم ضخمة على الواردات ، إلا انها استثنت دول الكومونويلث من هذا التشديد . ونشّطت القطاع الزراعي لتستغني عن الاستيراد ، فاستطاعت بذلك ان تقوّم وضعها الاقتصادي اعتبارًا من عام ١٩٣٥ . ومع ذلك فقد اعجزها ان تقضي على البطالة الا عام ١٩٣٩ اي قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

٣ – في فرنسا في البدء لم يتأثر إلا ثلاثة من البنوك الفرنسية . وظن المسؤولون الفرنسيون بان سياستهم الاقتصادية الحكيمة ستجنبهم ويلات هذه الازمة المتفشية عبر كل اوروبا . غير ان تخفيض قيمة الاسترليني وما تركه من ذيول على التجارة العالمية عرّض فرنسا لصعوبات اقتصادية تحولت الى ازمة بلغت حدتها عام ١٩٣٢ . فقل التصدير وارتفع عدد العاطلين عن العمل الى نصف مليون.

وتضخم انتاج القمح والخمور فتدنت اسعارها . وعجز المزارعون عن شراء البضائع فتأثرت الصناعة بالقطاع الزراعي ؛ وهو قطاع هام جدًا في فرنسا . وطال امد الازمة فحلّت بالبلاد ازمة تموين ، فاستحدثت الحكومة « مكتب القمح » ، وشجعت المزارعين على التحول عن زراعة الكرمة واستبدالها بنشاطات زراعية اخرى ؛ ولكن ذلك يقتضي وقتًا طويلًا .

واغلقت فرنسا حدودها في وجه الواردات ، فانعزلت تقريبًا . وبرهنت صناعتها عن تأخر من حيث تجهيزها ورساميلها . وفي هذا الجو المتأزم نشطت الاحزاب اليمينية واليسارية . وافاد الحزب الشيوعي من الفوضى والفضائح المالية ليستقطب عددًا اكبر من الانصار ، وادى تكتل هذه القوى في النهاية الى نشوء « الجبهة الشعبية » فانتهت بان اضحت اكثرية في البرلمان الفرنسي (١٩٣٦) . واجرت تغييرات لصالح الطبقات العمالية (زيادة الرواتب ، تخفيض ساعات العمل الاسبوعية الى اربعين ساعة ، اقرار عطلة ١٥ يومًا للعامل ، تأميم بعض المصارف والرقابة على مصرف فرنسا ، انشاء مكاتب القمح والخمور ...) . فهدأت الاضرابات مؤقتًا ، لكن الازمة الاقتصادية استمرت . وكان لا بد من تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي مرتين (١٩٣٦ و ١٩٣٧) ، فعادت الاضطرابات العمالية ، ولم تهدأ الامور إلا قبيل الحرب مباشرة حيث امتصت الصناعات الحربية كل العاطلين عن العمل .

٤ – في اليابان

واختلف تأثير الازمة في اليابان ، فلم تدم طويلًا ولم تترك ذيولًا . والسبب في ذلك ان الاقتصاد الياباني لم يشهد ازدهارًا كبيرًا قبيل الازمة بل مارس سياسة عصر النفقات . ولما ادى تخفيض الاسترليني الى تدني قيمة الين الياباني (Yen) ، افادت من ذلك الصادرات فنشطت الصناعات واولها صناعة النسيج التي افادت من رخص اليد العاملة . فامّحت البطالة وتحولت اليابان خلال بضع سنوات الى دولة صناعية كبرى . واثار انتشار بضائعها الهلع لدى صناعيي اوروبا . وما غزو الصين واقامة دولة منشوكيو عام ١٩٣٢ إلا من قبيل ايجاد مدى حيوي جديد لانطلاقة الصناعة اليابانية .

ذيول الأزمة

ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٢ كانت الازمات متلاحقة ، الواحدة منها تغذي الاخرى . فنقص الانتاج العالمي ومعه الدخل القومي بمقدار اربعين بالمائة ، وتقلّص التبادل التجاري بمقدار الثلثين عما كان عليه قبل انفجار الازمة . وكانت اولى الدول المتضررة تلك التي تتكل على التجارة في الدرجة الاولى كبريطانيا . وتوقفت دول كثيرة عن الوفاء بالتزاماتها ، وامتنع الافراد والمؤسسات الخاصة عن دفع الديون . واختفت التوظيفات المالية لانعدام الثقة بمستقبل المشاريع ، فاقفلت المصانع الكبرى ابوابها وبنوع خاص مصانع السيارات واحواض السفن ، وتوقف النقل والسياحة . وتجاوز عدد العاطلين عن العمل الثلاثين مليونًا في البلدان المتطورة ، هذا اذا لم نذكر نصف البطالة والدول الزراعية في جنوب اميركا وآسية وافريقيا . ومن اغرب المظاهر ان الانتاج الزراعي كان مكدسًا معدًا للإتلاف بغية رفع اسعاره فيما الجوع يهدد حياة الملايين .

وزاد في مصاعب الدول الكبرى ما واجهته من نزعة استقلالية في مستعمراتها . فهي لا تزال ترى في المستعمرات منفذًا يخفف من وطأة الضائقة الاقتصادية والمالية ، بينما الشعوب المحكومة ترى الوقت قد حان لتتسلم مقدرات امورها . فنشأ عن هذا التباين في الرأي مواقف زادت الامور تعقيدًا . ولئن بدت سياسة التسلح حلًا ملائمًا لرواسب الازمة ، إلا انها كانت تحمل بين طياتها بذور الحرب العالمية الثانية .

بوادر الانتعاش

وبانتهاء عام ١٩٣٢ بدأت بوادر انفراج عام ، لان طبيعة الامور نفسها لم تعد تسمح باستمرار الازمة . فالحاجات الفردية متزايدة باستمرار ، وقابلية المجتمع للاستهلاك بدأت تظهر بعد فترة طويلة من الانكماش ، والاسعار استعادت حجمها الطبيعي بعد اشتداد الطلب على الحاجيات . واعيد النظر بالتنظيم الاقتصادي الحر ورُسمت له حدود .

وكانت استراليا اولى الدول التي شعرت بانتعاش الاوضاع (منذ ١٩٣١) ثم بريطانيا فأسوج (منذ ١٩٣٢) ثم المانيا فاليابان ... وبعد ان دارت الازمة دورتها العالمية عادت الى الولايات المتحدة حيث اخذت تتقلص . وقلّ عدد العاطلين عن العمل ، واستعادت الصناعة مستواها السابق (١٩٣٦) . غير ان حجم المبادلات التجارية بقي ضعيفاً نظرًا لسياسة الانعزال الاقتصادي التي اتبعتها الدول ، وكان على المصانع ان تلبي الحاجات المحليـــة لا الخارجية باستثناء المواد الاولية . وانتعش في الوقت نفسه المزارعون واقبلوا على الشراء. وارتفعت اسعار الاسهم . ولكن نقطة سوداء بدأت ترتسم ؛ ذاك ان المصانع الحربية التي اسهمت في استعادة النشاط الاقتصادي كانت تقرب موعد انفجار الحرب العالمية الثانية .

من الذيول الاجتماعية الأزمة الاقتصادية في مختلف مدن الولايات المتحدة

مأخوذة من الجرائد الاميركية الصادرة آنذاك

شيكاغو اول نيسان ١٩٣٢ – تظاهر خمسماية طالب ، معظمهم باسمال بالية وهيئة الذعر على وجوههم ، عبر شيكاغو متجهين نحو مكاتب وزارة التربية ، يطالبون بـــان تؤمن القوت لهم مدارسهم (الانباء الفدرالية) .

فيلادلفيا ٣٠ نيسان ١٩٣٢ – جُرح نحو عشرون شخصًا فرقتهم الشرطة لدى انطلاق مسيرة من مركزي تجمع نحو دار البلدية . واوقف اثنا عشر شخصًا من المشتركين في المسيرة ، كما اوقف او عولج خمسة عشر شخصًا في المستشفى . واصيب خمسة من افراد الشرطة بجروح اقتضت نقلهم الى المستشفى (نيويورك تايمس) .

بوسطن ٣ حزيران ١٩٣٢ – هـــاجم خمسة وعشرون صبيًا جائعًا مأدبة نظمها قدماء محاربي الحرب الاسبانية (جرت عام ١٨٩٨) ، فاستدعيت سيارتا شرطة لردعهم . (الانباء الفدرالية) .

كليفلاند ٢ آب ١٩٣٢ – عندما اعلن بقّال لدى افتتاح محله بانه سيوزع مجانًا للزائرين الالف وخمسمائة الاولين سلالًا من الطعام ، تجمّع على الرصيف المجاور ستة آلاف شخص. واخذ الجمهور بالاحتشاد

وول ستريت

منذ منتصف الليل حتى التاسعة صباحًا . ونجم عراك ادى الى جرح اثنين وخمسين شخصًا (الانباء الفدرالية) .

نيويورك ٢١ ك ٢ ١٩٣٣ – احاط اليوم بضع مئات من العاطلين عن العمل بمطعم قريب من « يونيون سكواير » يطلبون طعامًا دون مقابل . وتقدم بطلبهم هذا الى مدير المطعم لجنة قوامها خمسة . وعندما رفض ان يستجيب لطلبهم هاجموه . ووصلت وحدات شرطة النجدة فوجدت المدير مطعونًا بسكين ومئات العاطلين عن العمل مشتبكين عند مدخل المطعم » (نيويورك ايڤننغ بوست) .

شولانج – مانري – سيف

نصوص تاريخية ج ١ ص ٧٤ و ٧٥

ترجمة المؤلف

٩ الأزمَـاتالأورُوبيَّـة

كانت عصبة الأمم مبدئيًا العامل الواقي للسلام في العالم ؛ ولو تقيدت الدول الاعضاء فيها بما تقره من مبادئ لما تعرّض السلم الاوروپي ومن ورائه السلم العالمي للخطر . فقد تتالت الازمات ، وعجز هذا المنبر الدولي عن حل اي منها ؛ فانهارت سلطته المعنوية ، واعوزته السلطة المادية ليفرض مقرراته فرضًا . وكانت اليابان ثم المانيا فايطاليا هي الدول المتجنية على العصبة . والازمات التي سنعرضها فيما يلي تدلنا على اي حدّ من الضعف وصلت العصبة ليفشل في النهاية سعيها لتحقيق هدفها الاول ، ألا وهو السلام العالمي .

ازمة الشرق الاقصى

لم يرض اليابانيون بما اقرته لهم معاهدة ڤرساي ، فلبثوا يتحينون الفرص للسيطرة على الصين بل على آسيا كمدى حيوي لاقتصادهم الذي بدأ يزدهر إثر أزمة ١٩٢٩ وكمجال جديد يمتص تخمة بلادهم بالسكان (٥٤ مليون نسمة عام ١٩١٤ وسبعون مليون نسمة عام ١٩٣٨) . وبعد فترة من سياسة المهادنة ، وتفتيشًا عن الأسواق وعن المساحات ، تضايق اليابانيون من انسداد ابواب الولايات المتحدة واستراليا والبرازيل في وجه الهجرة الصفراء والبضائع اليابانية . واختمرت لدى المتصلبين العسكريين فكرة التوسع في الخارج . واستفادوا من اشتعال الثورة في الصين ليفتعلوا المشاكل ويشددوا على ضرورة صيانة الخط الحديدي التابع لهم في منشوريا . وتذرعوا باغتيال ضابط ياباني (ايلول ١٩٣١) ليحتلوا مدينة موكدن (Mukden) (حاليًا (Chen Yang) وبعض المدن المحيطة بالخط الحديدي بحجة حمايته . ثم اتسعت رقعة الاحتلال حتى شملت كل منشوريا . فتقدمت الصين بشكوى الى عصبة الأمم بوصفها احد اعضائها ، كما رفعت الامر الى حكومة الولايات المتحدة صاحبة فكرة ميثاق برياند كيلّوغ . ورأى برياند رئيس مجلس العصبة ان يوجه دعوة للولايات المتحدة للاشتراك في اعمال المجلس ، فلبت الطلب بعد ان اصدرت بيانًا بعدم اعترافها باي تعديل في الحدود ناتج عن هذه الحرب . ووجّهت عصبة الأمم بعثة تحقيق اكّدت مسؤولية اليابان فطالبتها

بالانسحاب . غير ان اليابانيين ، وقد عرفوا كيف يوقتون حملتهم مع انهيار الاسترليني ، ردوا على نداء العصبة باعلان دولة منشوكيو (آذار ١٩٣٢) وانسحبوا من عضوية العصبة . ولم يكتفوا بذلك بل نقضوا مقررات مؤتمر واشنطن البحري (١٩٢٢) واعلنوا حريتهم في بناء قوتهم البحرية .

وكانت تلك اول ضربة موجعة تلقتها العصبة ، فقد انكشف عجزها ؛ لا سيما بعد رفض دول كثيرة ، في طليعتها بريطانيا ، سحب ممثليها الديلوماسيين من طوكيو والامتناع عن تصدير المواد الاولية اللازمة لصناعة الاسلحة وتقديم القروض الى اليابان . ساعتئذ اكتفى برياند – ضنًّا بكرامة العصبة – بان يرسل بعثة للتحقيق ويمتنع عن العقوبات .

واستمرت اليابان بعد ذاك في التوسع داخل اراضي الصين . وافتعلت ازمة لتشن الحرب ضدها في تموز ١٩٣٧ (حادث تصدّي لدورية يابانية قرب پكين) . وشجّعها على عدوانها انها عقدت مع المانيا حلفًا ضد الشيوعية يجعلها بمأمن من اي هجوم روسي عليها . إلا ان التفاف الصين حول تشيانغ كاي شك ، وتدفق المساعدات الاوروبية عليها اطالا امد الحرب الصينية اليابانية ثماني سنوات (١٩٣٧ – ١٩٤٥) بحيث اصبحت جزءًا من الحرب العالمية الثانية . (انظر ص ١٣٨).

مبادرات هتلر

أ) اعادة تسليح المانيا ، وفيما عصبة الأمم تعاني من ازمة ضعفها وصل هتلر الى الحكم في المانيا . وما انفك يصرّح بعزمه على التنكر لمعاهدة ڤرساي بغية تبديل الحدود التي رسمتها لالمانيا والتخلص من الاعتراف غير المباشر بهذه الحدود في مؤتمر لوكارنو . وابدى تصميمه على اعادة تسليح بلاده ؛ فتصدّى لمؤتمر نزع السلاح المنعقد في جنيف منذ ١٩٣٢ بعد استعدادات استمرت سبع سنوات (حضره ممثلون عن ٦٢ دولة) . وطالب بحق المانيا في استعادة تسلحها اسوة بالدول الاوروبية الكبرى وتحقيقًا لمبدأ « المساواة في الحقوق » . لذلك رفض مشروعًا لنزع السلاح قدمه رئيس وزراء بريطانيا مكدونالد يقول بخفض شامل للتسلح يتم على مراحل وبمراقبة عصبة الأمم . وفي ١٤ ت ١ ١٩٣٣ انسحب من المؤتمر ، ووجد من يسانده في الرأي العام الاوروبي . وبعد اسبوع اتخذ « القرار القاسي » بالانسحاب من عصبة

الأمم . وكانت تلك الضربة الثانية التي تلقتها العصبة ، ولم يهتم هتلر للأمر لانه سرعان ما عقد معاهدة عدم اعتداء مع فرنسا ، فتغاضت هذه عن رفع عدد الجيش الالماني الى ثلاثمائة الفًا . وبنجاح هذه الخطوة صمم هتلر على المضي قدمًا في اعادة تسليح المانيا .

ب) محاولة ضم النمسا (١٩٣٤)، وكان في نية هتلر ضم النمسا ، وطنه الأم ، الى المانيا . وبايعاز منه دبّر النازيون النمساويون مؤامرة لاغتيال مستشار النمسا دولفوس (Dollfuss) واعلنوا انقلابًا لكنه فشل . وقبل ان يتاح لهتلر التدخل اذا به يُفاجأ بموسوليني يحشد قواته عند ممر برينر (Brenner) (وموقف موسوليني ذاك نابع من اجتماع فاشل عقده مع هتلر في البندقية في حزيران ١٩٣٤) . فعدل عن فكرة ضم النمسا دون ان يتخلّى عنها نهائيًا .

واستطاع شوشنيغ (Schuschnig) خليفة دولفوس ان يقاوم المد النازي في النمسا ، معتمدًا في موقفه على التقارب الذي حل بين فرنسا وايطاليا وقد تعهدتا على مد يد المعونة الى النمسا في حال تعرضها للخطر .

ج) استفتاء السارّ (Saar) ، وعوّض هتلر فشله في ضم النمسا بانتصار حققه في منطقة السارّ ، حيث اسفر الاستفتاء الذي اوصت به معاهدة ڤرساي عن اكثرية ساحقة اختارت الانضمام الى المانيا (١٣ ك٢ ١٩٣٥) . ولم تشأ فرنسا ان يكون للقضية ذيول ليقينها بفشل كل محاولة اعتراض . وتجرّأ هتلر ساعتئذٍ على التنكر مرة اخرى لمعاهدة ڤرساي بان اعلن اعادة القوة الجوية والتجنيد الاجباري الى المانيا (آذار ١٩٣٥) . ولم يلاق على ذلك اعتراضًا جديًا لاختلاف وجهات النظر البريطانية والفرنسية حول حقيقة استعادة المانيا لقوتها العسكرية .

د) ردة الفعل: ستريزا (Stresa) ، وكانت فرنسا في خوف من مبادرات هتلر المتلاحقة . لذلك شجّعت دخول الاتحاد السوڤياتي الى عصبة الأمم (ايلول ١٩٣٤) ثم عقدت معه حلفًا دفاعيًا (١٩٣٥) ، وانحازت الى دول « الاتفاق المصغر » (تشيكوسلوڤاكيا – رومانيا – يوغوسلاڤيا) لتقابل تودد هتلر لبولندا ، وتساهلت حيال سياسة موسوليني الاستعمارية في ليبيا ومنحته امتيازات في تونس وحق التوسع في الصومال مقابل تعاونه معها على صيانة استقلال النمسا واتخاذ اي تدبير مشترك يحول دون ضمها الى المانيا .

فشل العقوبات الاقتصادية ضد ايطاليا

من خطاب لوزير الخارجية البريطانية انطوني ايدن القاه في شباط ١٩٣٨ ويعلن فيه عقم الاستمرار في العقوبات الاقتصادية التي فرضتها عصبة الامم على ايطاليا .

« يجب ان ندرك واقعاً هو ان العقوبات لم تتح بلوغ الهدف الذي أقرت من أجله . فالحملة العسكرية الايطالية قد تكللت بالنجاح ، والعاصمة الحبشية مع بعض المناطق الهامة قد احتلتها القوات الايطالية . وحسب ما توفر من معلومات عجزت كل حكومة محلية عن الصمود في اي بقعة من ارض « الامبراطور » وتلك حال يجب ان نضعها في حسابنا . »

« والآن اصل الى الاجراءات الواجب اتخاذها من قبل عصبة الامم في اجتماعها المقبل . فعصبة الأمم ، تلك الجمعية التي تضم خمسين دولة ، ستعيد النظر في مجمل الوضع ، وما مسألة العقوبات إلا جانب واحد في هذا الوضع . وليس بامكاننا ان نفترض ماذا ستكون وجهات نظر الحكومات المختلفة في العصبة ، وانما بعد امعان النظر وانسجامًا مع الرأي الذي رأيت من واجبي ان ابديه بصفتي امينًا للشؤون الخارجية ، انتهت حكومة صاحب الجلالة الى الاقتناع بعقم الاستمرار في تطبيق هذا الاجراء كوسيلة للضغط على ايطاليا ... »

« ولا جدوى من الاعتقاد او الانتظار بان يؤدي الاستمرار في تطبيق العقوبات لاعادة الاوضاع المتهدمة الى ما كانت عليه في السابق . ولا امكانية لإعادة هذه الاوضاع بغير حملة عسكرية . وعلى ما اعتقد ، ما من حكومة وهذا شأن حكومتنا بالطبع ، مستعدة للقيام بعمل عسكري كهذا . »

شولونج – مانري – سيف
نصوص تاريخية ج ١ ص ١٣٧

هتلر بعد انسحابه من عصبة الامم

في هذا الخطاب الذي القاه في ٢٠ شباط ١٩٣٨ امام مجلس النواب ، يبرّر هتلر انسحابه من عصبة الامم وينعتها بالضعف

« لم نعد ننتمي الى عصبة الامم لعدم اعتقادنا بكونها مؤسسة في خدمة الحق ، بل هي مؤسسة للدفاع عن ظلامات معاهدة فرساي . »

« لقد انسحبنا من عصبة الأمم منذ فترة طويلة ، لانها ، نظرًا لماضيها ولالتزاماتها ، تحجب عنا حقنا بالمساواة في التسلح وبالتالي بالمساواة في الأمن . »

« لن نعود اليها مطلقًا اذ لا نية لنا في الانقياد لحماية الظلم ، في اي بقعة من العالم وقع ، تنفيذًا لقرار اكثرية عصبة الامم ، ونعتقد باننا نخدم جميع شعوب العالم التي تقودها تعاستها الى الاتكال على العصبة . »

« ليس في نيتنا مطلقًا ان نفرض على الامة الالمانية ، لدى كل امر خطير ، الانجراف الى خلافات لا تعنيها شخصيًا . ولسنا مصممين على التدخل من اجل مصالح الغير الاقتصادية والاقليمية إلا اذا كان في ذلك منفعة لالمانيا . ثم اننا لا ننتظر دعمًا كهذا من سائر الشعوب . فعلى المانيا ان تتقيد بحدود حذرة في مصالحها ومطالبها . اما اذا تعرضت مصالحها في اي مكان آخر فلن ننتظر ابدًا العون الشكلي ، بل بالعكس نعتبر ان علينا مبدئيًا مواجهة ما ينجم عنها من مشاكل . »

« واخيرًا لن نقبل في المستقبل ان تلزمنا اي مؤسسة دولية بخط يمنع الاعتراف بواقع الامور لا بل يتنافى مع التصرف بتفكير ويقترب من « سياسة النعامة . »

شولونج – مانري – سيف
نصوص تاريخية – ج ١ ص ١٣٨

واشتدت اواصر التقارب بين فرنسا وايطاليا وانجلترا بعدما اعلن هتلر (آذار ١٩٣٥) اعادة بناء السلاح الجوي والعمل بالتجنيد الاجباري (راجع الفقرة السابقة)، فعقدت فيما بينها معاهدة ستريزا (نيسان ١٩٣٦) وهي تقضي بالتصدي لكل محاولة منفردة تتعرض لمعاهدة ڤرساي او تعرّض السلم الاوروبي للخطر.

وبالرغم من ذلك اظهرت انجلترا تساهلًا حيال هتلر بحيث تغاضت عن استمراره في تعزيز اسطوله الحربي. وبعد مباحثات سرية جرت في لندن وافقت بريطانيا ان توازي قوة الاسطول الالماني ثلث قوة الاسطول البريطاني وبان يصل عدد الغواصات الالمانية الى نسبة ٤٥ بالمائة. (١٨ حزيران ١٩٣٥).

موسوليني والحبشة

وبالرغم من اتفاقية ستريزا، لم ينفك موسوليني يفكر بخطوة تقرّبه من هتلر ولو ابعدته عن الدول الديمقراطية. ولما كانت ايطاليا لا تزال تحت وطأة الازمة الاقتصادية، استعجل الدوتشي احياء فكرة قديمة لديه: ألا وهي توسيع امبراطوريته الاستعمارية باحتلال الحبشة لتستوعب عدد الايطاليين المتكاثرين باستمرار، بالاضافة الى كون احتلالها يتيح له محو هزيمة أدُوَا (Adoua) التي مني بها الايطاليون عام ١٨٩٥ على يد والد النجاشي (هيلاسيلاسي فيما بعد). فاستفاد موسوليني من فرصة التقارب مع فرنسا ليهاجم الحبشة دون اعلان الحرب عليها (٢ ت ١ ١٩٣٥)، متذرعًا بحادث وقع بين دورية ايطالية ودورية حبشية على حدود الصومال الايطالي مع الحبشة. فاثار بذلك حفيظة اوروبا، وبنوع اخص انجلترا التي عرضت عليه سابقًا امكانية التوسع في الصومال البريطاني مقابل الاقلاع عن ادعاءاته في الحبشة، وهدفها من وراء ذلك ألا يصبح الدوتشي في وضع يهدد مصر والسودان ومنابع النيل وقناة السويس من ليبيا والصومال والحبشة.

وتقدم النجاشي هيلا سيلاسي بشكوى الى عصبة الأمم بصفته عضوًا فيها، ووجد انجلترا تسانده بحرارة؛ فاذا باوروپا منقسمة حول مصير بلد افريقي. وصوتت العصبة على عقوبات اقتصادية بحق ايطاليا (٧ ت ١). وحظّرت على اعضائها تصدير الاسلحة والمواد الاولية وتقديم القروض الى

ايطاليا ، فلم يكترث الدوتشي وواصلت القوات الايطالية زحفها حتى دخلت العاصمة اديس ابابا . فاعلن الدوتشي قيام الامبراطورية الرومانية الجديدة وفيكتور عمانوئيل الثالث امبراطوراً على الحبشة (ايار ١٩٣٦). (انظر ص ٨٥).

هكذا هزأ الدوتشي بمقررات اتخذتها اثنتان وخمسون دولة عضواً في العصبة ، وبدأ استعداده للانسحاب منها غير انه تباطأ في تنفيذ انسحابه حتى آخر سنة ١٩٣٧ ، ونقض اتفاقية ستريزا فابتعد عن الدول الديمقراطية . وكان لاحتلال الحبشة اهميته الخاصة : فهو برهان قاطع على عجز عصبة الامم. وعنده تنتهي فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى لتبدأ مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لان صفحة جديدة في العلاقات بين الدول الاوروبية قد افتتحت ، وانفك طوق العزلة عن المانيا بعد ان ساندت ايطاليا . لا سيما ان دولًا اخرى مثل النمسا والمجر والبانيا امتنعت هي ايضاً عن تنفيذ ما اوصت به عصبة الأمم ضد ايطاليا . ولم يطل الامر حتى اوصت العصبة (في ٤ تموز ١٩٣٦) بالغاء التدابير المتخذة وكأنها بذلك تحكم على نفسها بالعجز .

احتلال الراين (٧ آذار ١٩٣٦)

منذ ١٩٣٥ اعلن هتلر نقضه لشروط معاهدة ڤرساي حول التسلح متذرعاً بعدم تقيد الحلفاء انفسهم بهذه الشروط . وحتى لا يثير حفيظة الدول الاوروبية ضده صرح بتقيده بالتزامات لوكارنو حول الشروط الاقليمية ، وفي يقينه انه متى استكملت المانيا تسلُّحها تصبح قادرة على نقض لوكارنو بسهولة كلية . ولما برهن غزو الحبشة عن توزع كلمة اوروبا ، انتهز هتلر الفرصة ليتهم فرنسا بارتكاب عمل عدائي ضد المانيا وبخرقها اتفاقيات لوكارنو عندما عقدت اتفاقاً مع الاتحاد السوفياتي (١٩٣٥) . وبهذا برّر هتلر احتلاله لمنطقة الراين في ٧ آذار ١٩٣٧ دون ان تواجهه صعوبات لان قوات الحلفاء كانت قد غادرتها اثر توقيع حلف برياند كيلّوغ (١٩٣٠) وقبل المدة المنصوص عليها بخمس سنوات .

وأحجمت فرنسا عن التدخل العسكري حتى لا تظهر بمظهر المعتدي ، لا سيما ان انجلترا لم تساندها كردّة فعل ضد تساهل فرنسا مع موسوليني عند احتلال الحبشة . فاثارت القضية امام عصبة الأمم التي اكتفت بان شجبت عمل هتلر . وظنت فرنسا بان خط ماجينو الدفاعي سيكون درعاً واقية لها من

اي هجوم الماني عند الراين، غير ان المانيا اقامت مقابلًا له خط سيغفريد. ولما كان هتلر مصممًا على المضي في نقض معاهدة فرساي والاستعداد للنزاع المسلّح حوّل اقتصاد المانيا الى الانتاج العسكري ضمن ما سماه مشروع «الأربع سنوات»، وانعدمت كل امكانية للتفاهم.

الدكتاتوريات والديمقراطيات

وفيما هتلر يمزّق معاهدة فرساي تدريجيًا، بدا للعالم ان انجلترا وفرنسا عاجزتان عن مواجهته في نزاع مسلح. وعرف الفوهرر كيف يجتذب الدوتشي بامتناعه عن المشاركة في تنفيذ العقوبات المفروضة على ايطاليا. وانتهى التقارب بين الدكتاتورين، المستهزءين بالديمقراطيات، بتوقيع «محور روما – برلين» (٢٥ ت ١ ١٩٣٦). وما لبثت اليابان ان عقدت مع هتلر حلفًا ضد الشيوعية (antikomintern) (٢٥ ت ٢ ١٩٣٦) مدته خمس سنوات جوابًا منها على التقارب الفرنسي السوفياتي، وانضمت ايطاليا بعد عام واحد الى هذا الحلف الموجّه «ضد الخطر الأحمر».

وانقلب الأمر بعد ذاك مواجهة علنية بين نظم دكتاتورية لا تؤمن بغير القوة المسلحة ونظم ديمقراطية تفضل الحلول السلمية. وغدا العالم على مفترق تتسع شقته يومًا بعد يوم. وخافت الدول الصغرى من ضعف فرنسا وانجلترا؛ فتقربت بولندا من جارها هتلر درءًا لخطره، وتقرّبت يوغوسلافيا احدى دول «الاتفاق المصغر» من جارها الدوتشي في وقت كانت الحرب الأهلية قد بدأت بالاندلاع في اسپانيا. فهلّلت لها ايطاليا والمانيا واحجمت عن التدخل فيها الدول الديمقراطية الغربية، وتكرس انشقاق اوروپا على نفسها بصورة نهائية.

الحرب الاهلية الاسبانية

اسفرت الانتخابات النيابية في اسپانيا (نيسان ١٩٣١) عن هزيمة الملكيين فاستقال الملك الفونس الثالث عشر، وأُعلنت الجمهورية. وادى تعاظم نفوذ متطرفي الجمهوريين الى تقلقل الوضع الاقتصادي والاجتماعي، فحصلت ردة فعل يمينية تمخضت عن قيام حزب «الكتائب» وهدفه اعادة التسلّط اليميني على البلاد. وفي الانتخابات التالية (١٩٣٦) انتصرت «الجبهة الشعبية» (Frente popular) اي متطرفو اليسار المتقيدون بتعليمات الكومينترن. فجعلوا نصب اعينهم تحقيق «دكتاتورية البروليتاريا»،

التدخل الاوروبي في الحرب الاسپانية

رغم دورها الضئيل في تاريخ اوروبا المعاصر ، استطاعت اسبانيا ان تكون في صلب الازمات الاوروبية قبيل الحرب العالمية الثانية . والنص التالي يعطينا فكرة عن مدى اهتمام اوروبا بالحرب الاهلية الاسبانية ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

« من الصعب تقييم مجموع ما تلقّاه الطرفان من مساعدة خارجية في هذه الحرب الاهلية . فالمساعدة الالمانية لفرنكو قد تجاوزت الخمسمئة مليون مارك ، من ضمنها ٨٨ مليوناً نقداً او نفقات صيانة لم يطالب الاسپانيون بتسديدها ؛ و ١٢٤ قيمة تسليمات مختلفة ؛ و ٣٥٤ مليوناً لفوج كوندور Condor (الالماني) الذي لاقى ثلاثمئة من جنوده حتفهم . وفي خريف ١٩٣٦ بلغ مجموع الالمانيين في حده الأقصى عشرة آلاف . و ١٤٠٠٠ من قدماء فوج كوندور قد اشتركوا في استعراض برلين في ايار ١٩٣٩ . وفي المجموع هنالك ١٦٠٠٠ الماني خدموا قضية الوطنيين ، غير ان هذا الرقم يشمل ايضاً المدنيين والمدرّبين . فالفوج بحدّ ذاته عدته ٦٠٠٠ رجل يضاف إليهم ثلاثون فرقة مضادة للدروع ... »

« وفيما يتعلق بالقوى الايطالية فقد وصلت في حدها الاقصى الى خمسين الف مقاتل في اواسط عام ١٩٣٧ . وثمة ارقام اضخم ورد ذكرها في وقت ما اثناء الحرب ؛ وذلك ناتج عن ان تشكيلات اسبانية قادها ضباط ورتباء ايطاليون قد اعتبرت في كليتها وحدات ايطالية . وتكبدت فرق موسوليني ستة آلاف قتيل . وفي عام ١٩٤١ اعلنت وكالة ستيفاني شبه الرسمية ارقاماً شبه صحيحة عن المساعدات الايطالية : فقد قدمت هذه لفرنكو ٧٥٣ طائرة ، و ١٤١ محرك طائرة ، و ١٦٧٢ طناً من القنابل ، و ٩ ٢٥٠ ٠٠٠ فشكة ، و ١٩٣٠ مدفعاً ، و ١٠١٣٥ رشاشاً ، و ٢٤٠٧٤٧ قطعة من الاسلحة الخفيفة ، و ٧ ٥١٤ ٥٣٧ قنبلة ، و ٧٦٦٣ سيارة . وحشدت القوات الجوية الايطالية خلال الحرب ما مجموعه ٥٦٩٩ ضابطاً ورجلاً و ٣١٢ مدنياً . كما ان ٩١ قطعة بحرية وغواصة قد اشتركت في العمليات . »

« وتجسدت مساعدة السوڤيات والكومينترن بمبلغ تقريبي يصل الى ٨١ مليون ليرة . إلا انه يصعب تقدير قيمة الاسلحة التي قدمتها الكومينترن . ففي ت ١ ١٩٣٨ وارتكازاً الى عدد المعدات التي سقطت في ايدي قواتها واستناداً الى مصادر اخرى ، قدرت اوساط الجنرال فرنكو ان القوات الجمهورية قد تسلمت عبر الحدود الفرنسية (وفي الفترة ما بين تموز ١٩٣٦ وتموز ١٩٣٨) ١٩٨ قطعة مدفعية ، و ٢٠٠ مصفحة ، و ٣٢٤٧ رشاشاً ، و ٤٠٠٠ شاحنة ، و ٤٧ بطارية مدفعية كاملة ، و ٤٥٦٥ طناً من الذخيرة ، و ٩٥٧٩ سيارة مختلفة ، و ١٤٨٨٩ طناً من المحروقات . وقد صدر معظم هذه التسليمات عن الاتحاد السوڤياتي وتشيكوسلوفاكيا واميركا . وثمة قسم من هذه الاسلحة قد اتى من فرنسا مباشرة ؛ فحكومة باريس قد قدّمت للجمهورية مئتي طائرة تقريباً . »

هذا عدا المتطوعين الاجانب الذين اشتركوا في هذه الحرب ، ويعدون بالآلاف ، حتى اضحت وكأنها حرب اوروبية لا حرب اهلية اسبانية وحسب .

شولونج – مانري – سيف
نصوص تاريخية – ج ١ ص ١١٧

وسرت اعمال الفوضى في المدن وهوجمت الاديرة والمصانع والمتاجر . وعند اغتيال احد الوزراء المحافظين (Celvo Stelo) لتهجمه على الجبهة الشعبية ثارت ثائرة العسكريين وغيرهم من المحافظين اليمينيين على « الجمهورية الحمراء » . واعلن الجنرال فرنكو الثورة من تطوان في المغرب الاسپاني (١٧ آب ١٩٣٦) وانتقل من ثم الى اسپانيا ليقود حملة « الوطنيين » ضد الجمهوريين .

وبالرغم من حياد الدول الديمقراطية الغربية ، تدفق المتطوعون الايطاليون والالمانيون على اسپانيا لمساندة ڤرنكو والحؤول دون وقوع اسپانيا في يـد البولشڤيك . ودعم السوڤيات موقف الاشتراكيين فاضحى الامر مواجهة غير مباشرة بين الانظمة الفاشستية والانظمة الاشتراكية . وكان موسوليني اشد المتحمسين لان اسپانيا تدخل ضمن نطاق « سياسته المتوسطية » ذاك الامتياز الذي اقر له به صديقه هتلر . فارسل المتطوعين بعشرات الآلاف (٥٠ الفًا تقريبًا) ، فيما قدمت المانيا الاسلحة والطائرات والخبراء واستفادت من اندلاع هذه الحرب لاختبار فعالية اسلحتها الجديدة . وبعد ثلاث سنوات من القتال المرير انتصر فرنكو (آذار ١٩٣٩) وتسلم زمام البلاد . وعلى غرار موسوليني لقّب نفسه كوديّو (Caudillo) اي الرئيس ، واحاط نفسه « بالكتائب » بعد ان طهرها ، كحزب اوحد في البلاد .

وهللت كل من ايطاليا والمانيا لانتصار فرنكو ، لا دعمًا للانظمة الدكتاتورية وحسب ، بل تدليلًا على عجز فرنسا وانجلترا عن خوض اي نزاع اوروبي مسلح . وبعد ذاك لم يعد لاطماع هتلر حدود ، يجرّؤه امتناع الدول الديمقراطية عن مجابهته . فأخذ يفتعل الازمات حتى وصل بالعالم الى الحرب العالمية الثانية. (انظر ص ٨٩ و ٩١).

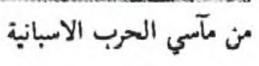


هيلا سيلاسي



فرنكو





من مآسي الحرب الاسبانية

١٠ قبَـيل الحَـرْب

اطماع هتلر

منذ ٧ آذار ١٩٣٦ اضحت معاهدة ڤرساي ذكرى ماضية ليس إلّا . وفي الخريف التالي نقض هتلر الشروط التي تعطي الصفة الدولية للمجاري المائية الصالحة للملاحة في اوروپا الوسطى . وفي مطلع ١٩٣٧ اعلن عودة سلطة المانيا على مصرف الرايخ والسكك الحديدية واضعًا بذلك حدًا نهائيًا لقصة التعويضات . ومع نشوب الحرب الاهلية الاسپانية نقض المادة ٢٣١ من معاهدة ڤرساي وهي المادة التي تنص على مسؤولية المانيا القانونية في الحرب ، وراح يطالب باستعادة المستعمرات الالمانية مشددًا على حق جميع الدول في المواد الاولية ، مناديًا بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ؛ وقصده من ذلك استعادة المناطق التي يقطنها المانيون في تشيكوسلوڤاكيا واوكرانيا وبولندا ودانتزيغ ... ومضى قدمًا في اعادة تسليح بلاده ، فخصص للشؤون الحربية ثلثي الموازنة العامة . واقام يتحيّن فرصة خلاف اوروبي يمكنه من تحقيق مآربه ؛ فكان له ما اراد في اربع ازمات تتالت حتى اشعلت الحرب العالمية الثانية ، هي : ازمة ضم النمسا ، والازمتان التشيكيتان ، واخيرًا ازمة بولندا والممر الى دانتزيغ .

ضم النمسا (Anchluss)

كانت اولى بوادر « الانشلوس » (Anchluss) عندما عقد الطرفان الالماني والنمساوي اتفاقًا يعيد العلاقات الودية بينهما (١٩٣٦) . ومذّاك اضحى بامكان الحزب النازي النمساوي الاتكال على دعم برلين ليعرقل كل محاولة تهدف لاعادة الملكية.

ومنذ خريف سنة ١٩٣٧ آنس هتلر في بلاده القدرة اللازمة لضم النمسا : فالمانيا قد استعادت قوتها المسلحة ، والدوتشي الذي حال دون ضم النمسا عام ١٩٣٤ قد انقلب حليفًا بعد غزو الحبشة ، والديمقراطيات الغربية مشغولة في اوضاعها الداخلية. فاستغل الظرف ليستدعي مستشار النمسا شوشنيغ ويفرض عليه – تحت وطأة التهديد بالاحتلال – اسناد وزارة الداخلية الى زعيم الحزب النازي النمساوي سايس انكوارت (Seyss Inquart) ،

مقابل وعد الماني باحترام استقلال النمسا. وما ان اصبح انكوارت وزيرًا للداخلية حتى انبرى يطالب بالانضمام الى الرايخ. فردّ شوشنيغ بان امرًا في هذه الاهمية لا يتم إلا نتيجة استفتاء. وتدخل هتلر لدعم موقف انكوارت فالغى شوشنيغ الدعوة للاستفتاء وطلب النصيحة والعون من بريطانيا وفرنسا، غير ان انجلترا امتنعت عن اداء النصح وفرنسا اشارت عليه بكسب الوقت ريثما تتغلب على ازمتها الوزارية. فرأى شوشنيغ ان يستقيل، واستولى انكوارت على السلطة دون تكليف من رئيس الجمهورية النمساوية.

ولم يكتف الفوهرر بذلك، بل راح يفتش عن ذريعة لادخال جيوشه الى النمسا. فضغط غورنغ على انكوارت فطلب نجدة مسلحة تساعد في اقرار الأمن وبذلك لم يتخذ دخولها صفة الاحتلال (١٢ آذار). ومن لينز (Linz) حيث امضى هتلر معظم سني صباه، وحيث استقبله انكوارت رسميًا، اعلن هتلر انضمام النمسا – وطنه الأم – الى الرايخ الثالث (١٣ آذار ١٩٣٨). وقُبض على شوشنيغ وسجن (حتى نهاية الحرب ١٩٤٥)، وتحولت ڤيينا من عاصمة امبراطورية الى عاصمة اقليمية (Ostmark) ضمن الرايخ الموحد. وفي استفتاء شامل عبر «المانيا الكبرى» نالت الانشلوس موافقة تسعة وتسعين بالمائة من اصوات المقترعين (١٠ نيسان ١٩٣٨). ولم يجد اعتراض انجلترا وفرنسا على ضم النمسا، وعصبة الامم لم تحرك ساكنًا، وحتى ايطاليا نفسها جزعت لحلول جار قوي محل جار ضعيف؛ لكن موسوليني تظاهر بالقبول معللًا موقفه بان ضم النمسا لالمانيا هو «ضرورة تاريخية» نظرًا لوحدة الشعب الالماني في كليهما. (انظر ص ٩٩).

ازمة السوديت

قامت دولة تشيكوسلوڤاكيا بعد الحرب العالمية الاولى، وضمت اقليات المانية (٣ ملايين) في جبال السوديت (Sudètes) وجوارها من شمال بوهيميا. وبعد الانشلوس اضحت تشيكوسلوڤاكيا محاطة بالمانيا من جهات ثلاث، فتوقع الرأي العام الاوروبي ان تكون خطوة هتلر التالية هي ضم مناطق السوديت الى الرايخ. فاحرج موقف المسؤولين في براغ، لا سيما ان هتلر لم يغفر لهم معارضتهم العلنية للنازية واستقبالهم للاشتراكيين واليهود المضطهدين في المانيا. وزاد في حرج براغ ان هتلر قد عرف كيف يستقطب الماني السوديت

بدعاوته النازية حتى هب زعيمهم هنلاين يطالب بالاستقلال الذاتي ، مما اثار اطماع المجر (هنغاريا) في قسم من سلوفاكيا واطماع بولندا في منطقة تيشين التشيكية .

ونتيجة لسوء معاملة بعض اعضاء حزب السوديت الالماني من قبل البوليس التشيكي (١٧ ت ١ ١٩٣٧) وجّه هنلاين كتابًا مفتوحًا الى الرئيس التشيكي بينيس (Benès) يطلب فيه الاعتراف باستقلال ذاتي لمنطقة السوديت . وتتالت الاصطدامات وتعاظم معها الخوف من تدخل الماني . وتصلبت حكومة براغ في موقفها ، فرفضت كل مطالب هنلاين (وهي : تقبل وجهة النظر النازية، ونقض الاتفاق المعقود مع فرنسا والاتحاد السوفياتي والتزام الحياد ، واعطاء الماني تشيكوسلوفاكيا سلطات خاصة) ولم تقر له إلا بامتيازات اسمية . واتكلت في موقفها هذا على مساندة فرنسية وسوفياتية ممكنة نظرًا لاتفاقيات التعاون المتبادل فيما بينها وبين هاتين الدولتين . ولم يخطر لبينيس ان ضعف فرنسا وانشغالها بشؤونها يحولان دون تدخلها . وتحسب هتلر لامكانية هجوم فرنسي اذا هو غزا بوهيميا ، فحث العمل على اعداد خط سيغفريد المواجه لخط ماجينو الفرنسي عند منطقة الراين ، وارسل انذارًا لبراغ يفرض عليها الاقرار بمطالب الاقلية الالمانية فيها .

غير ان بينيس رفض التعاون مع هنلاين لا سيما بعد ان تحول هذا الاخير عن المطالبة بامتيازات الى المطالبة بالانضمام للرايخ . وتصلبت براغ في موقفها متجاوزة النصائح البريطانية والفرنسية بالنظر الى الامور بواقعية . وفشلت وساطة بريطانية فيما عبأ هتلر حشودًا على الحدود التشيكوسلوفاكية . فاشتد ساعد هنلاين ونظم مظاهرات تدعو للوحدة ضمن « المانيا الكبرى » (٩ ايلول ١٩٣٨) . واتى خطاب هتلر في نورمبرغ (١٢ ايلول) يحرض على العصيان . وفي اليوم التالي (١٣ ايلول) اعلن هنلاين عصيانًا مسلحًا وطلب الانضمام الى الرايخ ، فردت عليه حكومة براغ بالعنف . ساعتئذ ابدى هتلر تصميمه على التدخل المسلح .

ميونيخ

وبغية تفادي الصدام ، وتحاشيًا لضرورة الانضمام الى فرنسا والاتحاد السوفياتي في الوقوف بوجه المانيا اذا اقتضى الأمر مساندة تشيكوسلوفاكيا ،



في ميونيخ من اليسار تشامبرلاين، دالاديه، هتلر، موسوليني، تشيانو وزير خارجية ايطاليا وصهر موسوليني.

تشامبرلاين المسالم

من خطاب القاه في ٢٧ آب ١٩٣٨ قبيل الازمة التشيكية .

« مهما يكن ميلنا لامة صغيرة تواجه جارًا كبيرًا وقويًا ، لا يسعنا في كل ظرف ان نلتزم بجر الامبراطورية البريطانية باكملها الى الحرب من اجل دولة صغيرة ؛ فلا بد من اجل ذلك ان تتوافر شروط اعظم . »

« انا شخصيًا رجل سلم حتى اعمق اعماق نفسي . وما النزاع المسلح بين الامم إلا كابوس بالنسبة اليَّ ؛ انما اذا تكونت لدي القناعة بان امة ما قد عزمت على السيادة العالمية باثارتها المخاوف من قوتها اظن ساعتئذٍ بان علينا الصمود . وفي ظل سيادة كهذي ولدى من يؤمنون بالحرية لا اظن الحياة تستحق بان تحيا . لكن الحرب امر مخيف واذا كان لا بد منها ، فليكن واضحًا بانه من اجل القيم العليا انما نخوضها . واننا بعد السعي لكل خير لمدعوون دون تردد لان نخسر كل شيء من اجل الدفاع عنها . »

وبعد عام تعين على تشامبرلاين ان يخوض الحرب فنسمعه في ٤ ايلول ١٩٣٩ يقول مخاطبًا الشعب الالماني :

« شعب المانيا ، بلادكم الآن وبلادي في حالة حرب . وحكومتكم قد قصفت واجتاحت دولة بولندا الحرة المستقلة ... »

« ويلات الحرب لا نجهلها ، والله اعلم ما قد بذلته للحؤول دون هذه الكارثة . اما الآن بعد ان اجتاحت المانيا بولندا فقد غدت امرًا واجبًا . »

« وقد تتساءلون ماذا يعني بريطانيا في الامر ؟ ذلك يعنينا لاننا التزمنا قولًا بالدفاع عن بولندا ضد كل هجوم عليها . اما لماذا رأينا واجبًا علينا الالتزام بالدفاع عن هذه الدولة الشرقية فيما كل مصالحنا في الغرب وبعدما صرح رئيسكم بان لا مصالح له في الغرب ؟ فالجواب هو – وآسف ان اضطر لقول ذلك – ما من رجل في بريطانيا له الثقة بعد بكلام رئيسكم . »

« لقد اعطى قوله باحترام معاهدة لوكارنو ، ونقض كلامه . لقد اعطى قوله بان لا رغبة له او نية في ضم النمسا ، وحنث بكلامه . لقد اعلن بانه لن يضم التشيكيين الى الرايخ ، وكان ذاك ما فعل . لقد اعطى قوله بعد ميونيخ بان لا يُصيغ بعد مطامع اقليمية في اوروبا ، ونكث بوعده . لقد اعطى قوله بانه لا يريد مقاطعات بولندية ، ونكث . وقد طالما اقسم لكم بانه عدو البلشفية اللدود ، وها هو اليوم حليفها . »

شولونج – مانري – سيف
نصوص تاريخية ج ١ ص ١٤٥

توجه رئيس وزراء بريطانيا نيڤيل تشامبرلاين الى المانيا ، وايّدت خطوته فرنسا . فاجتمع بهتلر (١٣ ايلول) واقرّه على شروطه وطلب من حكومة پراغ ان تقرّها بدورها ؛ اي ان تتنازل تشيكوسلوڤاكيا للرايخ عن مناطق السوديت المأهولة بالالمانيين . ومقابل ذلك تضمن الدول الكبرى سيادة حكومة پراغ على ما تبقّى من اراضيها . وبضغط من فرنسا وبريطانيا قبلت حكومة پراغ بهذه الشروط . وكادت الوساطة تنجح لولا الحاح هتلر وتحديده موعدًا لضم هذه الاراضي اليوم الاول من تشرين الاول (١٩٣٨) ، وحجته في ذلك ان اعمال العنف مستمرة ضد السوديت ولاجئوهم يتوافدون على المانيا باعداد ضخمة .

فاستاء التشيكيون لهذا الشرط بعد ان اتخذ لهجة الانذار ، واعلنوا التعبئة (٢٦ ايلول) . اذاك اعلن هتلر ان كل شيء قد انتهى ولا بد من خطوة عسكرية حاسمة حدد لها موعدًا اول تشرين الاول . ولم يتأثر برسالة ارسلها اليه الرئيس الاميركي روزڤلت يذكره فيها بميثاق برياند كيلّوغ بل اجابه محملًا تشيكوسلوڤاكيا كل المسؤولية. وخيّم جو الحرب على اوروپا .

وتدخل موسوليني نزولًا عند طلب تشامبرلاين ، فدعا لعقد مؤتمر رباعي في ميونيخ يضم معه هتلر وتشامبرلاين ودالاديه (٢٩ ايلول) . فاقر المؤتمر لهتلر ما اراده ، اي ضم منطقة السوديت لالمانيا وانسحاب التشيكيين منها قبل ١٠ ت ٢. وتعهدت الدول الأربع الممثَّلة في ميونيخ بضمان ما تبقى من مساحة تشيكوسلوڤاكيا ، كما وقع كل من تشمبرلاين وهتلر ودالاديه وهتلر تصريحًا يفرض اللجوء الى التشاور بين برلين ولندن في حال اختلاف وجهات النظر .

واضطرت پراغ ان تنصاع لمقررات ميونيخ دون استشارتها (٣٠ ايلول)، فتخلّت عن مناطق صناعية غنية بالفحم . ودخلت الجيوش الالمانية مناطق السوديت دون ان تلاقي معارضة . وما لبثت بولندا ان اقتطعت بدورها منطقة تيشين مدعية بحقها في ضم الاقليات البولندية في تلك المنطقة ، وكانت عصبة الأمم قد اقرّت لها بها منذ ١٩٢٠ . واقتطعت المجر منطقة من سلوڤاكيا . ولم تنقض فترة حتى هب السلوڤاكيون ينادون بالاستقلال الذاتي ثم بالانفصال عن التشيكيين . (انظر ص ٩٥).

ما بعد ميونيخ

بعد ميونيخ انقلبت اوضاع اوروبا رأسًا على عقب ، « فخاسرو الحرب قد ربحوا السلم » . واصدقاء تشيكوسلوفاكيا انفسهم قد سلموها لهتلر دون ان يضطر للاحتلال . وانقسم الرأي العام الاوروبي بين محبذ لهذا الحل ومعارض له . واذا كان تشامبرلاين ودالاديه قد انتصرا على فكرة الحرب غير ان كرامة فرنسا وانجلترا قد تجرّحت . ونسمع تشرشل في تهجمه على رئيس الوزارة البريطانية يقول : « في خياره بين الحرب والاهانة ، قد اختار الاهانة ليحصل فيما بعد على الحرب » . وحتى الفوهرر نفسه اظهر أسفه لقبوله بحل سلمي ، فهو يريد ان يزحف على پراغ ، وفي هذا الدليل على ان لا مفر من نزاع مقبل. وابدى الكرملين استياءه لعدم دعوته الى ميونيخ ، فهاجم الاتفاق ورأى فيه اطلاقًا ليد هتلر وتشجيعًا له على التصدّي للاتحاد السوڤياتي. وذهب ستالين الى حد اتهام الدولتين الديمقراطيتين بارتياحهما لكل صدام ممكن بين السوڤيات والنازيين لانه يأتي على النازية والشيوعية معًا .

اما المانيا وايطاليا فقد اعتبرتا ميونيخ تراجعًا للديمقراطيات وفرصة لتحقيق مآربهما في اوروبا الشرقية . ومن هنا تصميم الدكتاتورين على نقض اتفاق ميونيخ اذا لمسا ان ذلك في مصلحتهما . وستظهر الاحداث مدى اطماع هتلر وعدم استعداده للتقيد بالتزاماته .

ضياع تشيكوسلوفاكيا

مذ قامت دولة تشيكوسلوفاكيا كان الانسجام معدومًا فيها بين شعب تشيكي صناعي غني وآخر سلوفاكي زراعي فقير . ومنذ عام ١٩٢٨ ابدى السلوفاكيون ميلهم للتمتع بالاستقلال الذاتي فاستقال ممثلوهم من الحكومة الائتلافية التشيكوسلوفاكية. ولما بدأت مطالبة السوديت بالانضمام الى المانيا استغل السلوفاكيون الظرف ليحققوا مطالبهم ، ومثلهم فعل الروتين (Ruthènes) في الكرپات أي في الطرف الشرقي لسلوفاكيا. وطفق هتلر يشجع هذه النزعات الاستقلالية ليفكك الدولة التشيكوسلوفاكية فيسهل عليه ساعتئذ ضمها الى الرايخ . وبعد ان اقرت پراغ باستقلال ذاتي لسلوفاكيا (اول ت ١ ١٩٣٨) رأى هتلر ان الوقت قد حان لتنفيذ خطته . فأخذ يطمئن التشيكيين في سياسة تقارب ودية مسالمة خداعة ويحرض السلوفاكيين على المضي قدمًا في المطالبة بالاستقلال التام . واستدعى اليه الزعيم السلوفاكي

تيسو (Tiso) (١٣ آذار ١٩٣٩) وجعله امام الامر الواقع ، اما ان يعلن استقلال بلاده بدعم من الرايخ واما عليه ان يتدبر امره مع پراغ ، وفي اليوم التالي (١٤ آذار) اعلن تيسو استقلال سلوڤاكيا ووضعها تحت حماية الفوهرر ؛ والاصح انها اضحت تحت رحمته . وفي اليوم نفسه اعلنت روثينيا استقلالها ايضاً .

وقبل ان تحرك پراغ ساكنًا اذا بهتلر يستغل الظرف ليستدعي اليه الرئيس التشيكي هاشا (Hacha) . وخلال ليل ١٤ – ١٥ آذار اسفر ضغط الفوهرر وتهديده عن قبول هاشا بتوقيع وثيقة تجعل مصير الدولة التشيكية وشعبها بين يدي الفوهرر . وعند صبيحة ١٥ آذار اذا بالجيوش النازية تدخل بوهيميا ومورافيا (المنطقتان اللتان تؤلفان تشيكيا) دون قتال وتحولهما الى محميتين المانيتين ، فيما كانت الجيوش المجرية تحتل روثينيا وتضمها اليها . وبهذا تكون تشيكوسلوڤاكيا قد اختفت من خريطة اوروپا كدولة مستقلة ذات سيادة .

وتعاقبت الاحداث بسرعة ، فلم يمض اسبوع حتى ضم هتلر مرفأ ميمل (Memel) الليتواني، متذرعًا بانه كان ملكًا لبروسيا قبل الحرب العالمية الاولى واعطي لليتوانيا عام ١٩٢٤ . واضحت بولندا محاطة بالطوق الالماني من جهاتها الشمالية والغربية والجنوبية . وانصب اهتمام الرأي العام الاوروبي دفعة واحدة على قضيتي دانتزيغ والممر .

دانتزيغ والممر

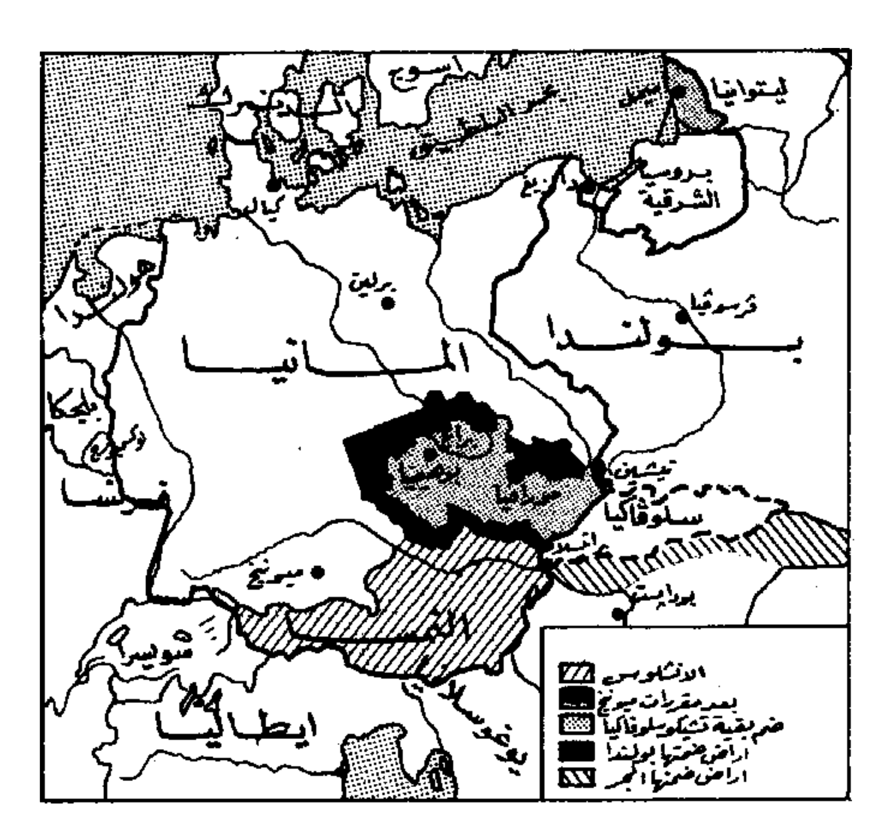
قبيل نشوب الازمة التشيكوسلوڤاكية فوجئ العالم بهتلر يتكلم عن ضرورة تأمين « المدى الحيوي » لالمانيا بعد ان كان يتكلم عن حق الشعوب في تقرير مصيرها . وعند بسط حمايته على بوهيميا ومورافيا تبدلت لهجة لندن وباريس حيال خداع الفوهرر وعبثه باتفاقيات ميونيخ . وبدأت بولندا تتخوف من وضع جارتها سلوڤاكيا في عهدة الرايخ وزاد تخوفها عند ضم مرفأ ميمل الليتواني لا سيما ان ڤرسوڤيا تعتبر كلًا من سلوڤاكيا وميمل واقعًا ضمن دائرة مصالحها الحيوية .

ورأى هتلر بعد نجاحه في تشيكوسلوڤاكيا ان الوقت قد حان لاثارة قضية دانزيغ والممر اليها . فالالمانيون لم يرضوا يومًا ان يفصل هذا الممر بين

« المدى الحيوي » لالمانيا

« ان تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية اولى لا بد لكل الماني مخلص من اقرارها . لكن تظل خطوة عقيمة ان نحن اكتفينا بهذا القدر . فازالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب ان تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الارض التي نعيش عليها . وقد اوضحت في فصل سابق ان توسعنا خارج اوروبا لا يقضي على المشكلة ، فليس المطلوب اخضاع بعض الشعوب الملونــة للسيطرة الالمانية ، انما المطلوب الحصول على اراض اوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم . وطبعًا هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الأخرى ، ونحن الالمان اذ نفكر ان هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ . ان حق الشعب بالاستيلاء على اراض جديدة يصبح حقًا مقدسًا عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك ابناؤه على الهلاك اختناقًا . فإما ان تصبح لالمانيا قوة عالمية او لا تكون . والشرط الاساسي للوصول الى مستوى الدول العظمى هو في احرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء . »

هتلر – كفاحي – الاتجاه نحو الشرق
ص ٢٥١ و ٢٥٢
منشورات المكتبة الأهلية – بيروت



بروسيا وسائر المناطق الالمانية. وانطلاقاً من فكرة تأمين «المدى الحيوي» لالمانيا لقد اراد هتلر اكثر من دانتزيغ والممر، اراد ضم بولندا لانها تفتح له طريق اوكرانيا الغنية بالقمح. فدعا حكومة ڤرسوڤيا للتفاهم معه حول اعادة دانتزيغ باعتبارها مأهولة بسكان المانيين وعودتها الى الرايخ امر واقع ان عاجلًا او آجلًا. بينما بولندا ترى في هذه البقعة مصبًا طبيعيًا لنهر بولندي هو الڤستولا ومعنى ذلك ان كل مصالحها مرتبطة ببولندا لا بالمانيا (٢١ آذار ١٩٣٩). لذلك رفضت عرض هتلر بان تعطى مرفأً حرًا آخر وان يبقى الممر لبولندا شرط ان تسمح لالمانيا باجتيازه بطريقين بري وحديدي غير خاضعين لسلطة حكومة ڤرسوڤيا، فاصرّت بولندا على موقفها: «ان يُمَسَّ الممر ذلك معناه الحرب». ودعمت انجلترا موقف ڤرسوڤيا، وصمم تشامبرلاين ان يقابل القوة بالقوة لأنها الكلام الوحيد الذي يفهمه هتلر.

تدهور الموقف منذ اجتياح القوات الالمانية لتشيكوسلوڤاكيا، جدّد هتلر تعهده لموسوليني بانه يعتبر الادرياتيك خاصة والمتوسط عامة مناطق ايطالية للدوتشي وحده حرية التصرف فيها. فاشتد ساعد موسوليني وهاجم البانيا وضمها اليه (٩ نيسان ١٩٣٩)، واعلن ڤيكتور عمانوئيل الثالث امبراطورًا عليها. وكان ذلك مقدمة لاحتلال اليونان، فاعتبرت بريطانيا ذلك تحديًا لها لان اليونان مبدئيًا من مناطق نفوذها. وردّت على هذا التحدّي بالدعوة الى التجنيد اولًا (٢٧ نيسان) ثم بعقد احلاف مع اليونان وتركيا تدعيمًا لمركزها في المتوسط ومع رومانيا المهددة من قبل هتلر. وشاركتها فرنسا في هذه الاحلاف فتخلت عن الاسكندرونة لتركيا كسبًا لتأييدها. وردت المانيا على هذه الاحلاف بعقد «الحلف الفولاذي» مع ايطاليا (٢٢ ايار ١٩٣٩).

غير ان ايطاليا لم تكن مستعدة، وبالتالي غير محبذة لفكرة النزاع الشامل. وفي نظرها يجب تأخير الحرب ثلاث سنوات على الاقل، وعبثًا حاولت اقناع حليفها هتلر بهذا الأمر اذ لا بد لها في النهاية من ان تتضامن معه، بل ان تنقاد اليه طمعًا بمكاسب جديدة في يوغوسلاڤيا. والحكومة الفرنسية بدورها سعت لتحالف اوثق مع ستالين، يقينًا منها بان الفوهرر سيتردد حتمًا في خوض حرب ينازله فيها فرنسا وانجلترا والاتحاد السوڤياتي.



التقارب الفرنسي الايطالي. مطلع عام ١٩٣٥ (موسوليني ولافال) قبل غزو الحبشة.

فوافق ستالين مبدئيًا ، وكان عليه في حال التقارب مع فرنسا وانجلترا ان يضمن سلامة بولندا ورومانيا ، مقابل اطلاق يده في بلاد البلطيق (استونيا – ليتونيا – ليتوانيا) التي كانت من قبل تابعة لسلطة القياصرة .

وفوجئ ستالين برفض المسؤولين البولنديين السماح لاي قوات سوڤياتية بعبور اراضيهم ، حتى في حال تعرضهم لهجوم نازي لئلا يرفض السوڤيات مغادرة الاراضي البولندية بعد تمركزهم فيها وان يعود نصيب بولندا التجزئة بين الالمانيين والسوڤيات . ساعتئذٍ غلب لدى ستالين رأي آخر ألا وهو الموافقة على عرض هتلر باقتسام بولندا ، فيصبح بامكانه ان يلزم الحياد في حال نشوب نزاع مسلح . حتى اذا ارهقت الحرب جميع الاطراف المتحاربة ، يضم لبلاده ما يريد من المناطق دون ان تزعجه اي قوة خارجية . وباتت القضية على الصعيد الدولي كما يلي : « السوڤيات يريدون توجيه العاصفة نحو غرب اوروبا والديمقراطيتان الغربيتان تريدان توجيهها نحو الاتحاد السوڤياتي ». وقد فاتهما ان تبدلًا عميقًا قد حصل في السياسة الخارجية السوڤياتية عندما حلّ مولوتوف محل ليتڤينوڤ الميال للغرب. (٣ أيار) .

وفي ٢٣ آب ١٩٣٩ قام حلف الماني سوڤياتي مدته عشر سنوات ، وقعه وزيرا الخارجية السوڤياتية والالمانية ؛ يمتنع بموجبه الحليفان عن الاشتراك في اي حلف عسكري يهدد احدهما . ومعنى ذلك ان يمتنع ستالين عن دعم فرنسا وانجلترا وبولندا ، وان يحتفظ بموجب بند سرّي بحق ضم نصف بولندا الشرقي في حال اقرار تعديلات على حدود بولندا . وبذلك يكون ستالين قد اختار موقف المتفرج في حياد لا يكلفه شيئًا ، بل يعطيه فرصة للاستعداد ، ويبعد عنه امكانية هجوم ياباني من الشرق ، ويعده بنصف بولندا . ومثلما كان الامر محرجًا لستالين ان يقنع الشعب السوڤياتي بهذا التقارب مع الشيوعية ، كذلك كان محرجًا لهتلر ان ينفعل لهذا التقارب حلفاؤه الايطاليون واليابانيون ومحبذوه في اسپانيا والبرتغال .

عشية الحرب

بعد ان أمن هتلر جانب روسيا ، امسى بامكانه مهاجمة بولندا . غير ان انجلترا كانت مصممة على دعمها بقوة السلاح ؛ وفي الرسالة التي وجهها تشامبرلاين الى الفوهرر عشية عقد الحلف مع الاتحاد السوڤياتي قال له :

« بان الحلف الالماني السوفياتي لا يغير شيئًا من موقف بريطانيا تجاه بولندا » .

وبدأت حملة مدبرة لتبرير الهجوم على بولندا ؛ فاتهمت الصحف النازية حكومة ڤرسوڤيا باضطهاد الاقليات الالمانية ، وراحت تحرّض على استعادة دانتزيغ والممر . وكان هتلر مؤمنًا بقوته واثقًا من نصر سريع وحاسم ، يسانده فيه بحرًا وجوًا حليف اكيد هو موسوليني ، فيعجز حياله كل حصار تفرضه فرنسا وانجلترا ، اما الولايات المتحدة فلن تتدخل بفعل سياستها الانعزالية وقرب موعد انتخابات الرئاسة فيها . وفي ٢٥ آب ١٩٣٩ فوجئ هتلر بامرين ، اولهما تصريح موسوليني بعجزه عن التدخل مباشرة وثانيهما عقد حلف دفاعي بين انجلترا وبولندا . وبدلًا من ان ينثني عن عزمه حاول ان يعيد تمثيل المناورة التي ادت الى احتلاله تشيكوسلوڤاكيا . وتظاهر باللجوء الى حل سلمي موسّطًا انجلترا . فرفضت ڤرسوڤيا ارسال مسؤول بولندي كبير الى برلين لئلا يتعرض « لجلسة اقناع » كما تعرض من قبل شوشنيغ النمساوي وهاشا التشيكي ، واستمرت تعبئة الجيوش لمواجهة الحشود الالمانية على حدودها . وفي اللحظة الاخيرة قبل البولنديون بالدخول في حوار مباشر مع الفوهرر عن طريق سفير بولندا في برلين دون ان يُعطى صلاحية البت في أي امر (٣١ آب) . واعرب موسوليني عن استعداده للدعوة الى مؤتمر ، لكن الوقت قد فات لان هتلر كان قد صمم على احتلال بولندا .

وافتعل النازيون حادثًا على الحدود تذرعوا به لتجتاح قواتهم بولندا دون اعلان الحرب (اول ايلول ١٩٣٩) ، واعلن حاكم دانتزيغ انضمامها الى الرايخ . فاعلنت حكومتا لندن وباريس تصميمها على مساندة بولندا . وفي الثالث من ايلول حمل سفيرا الدولتين الديمقراطيتين انذارين رفضهما ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية ... وبدأت الحرب العالمية الثانية .

وفي صبيحة الرابع من ايلول القى تشامبرلاين خطابًا توجه فيه الى الشعب الالماني قائلًا : « ما من احد بعد الآن يثق باقوال رئيسكم . لقد تعهد باحترام معاهدة لوكارنو ، وحنث بعهده . لقد اعطى عهدًا بعزوفه عن ضم النمسا ، وحنث بعهده . لقد صرّح بالامتناع عن الحاق تشيكوسلوڤاكيا بالرايخ ، وحنث بعهده . لقد تعهد بعد ميونيخ بعدم المطالبة باراض اوروبية اخرى ، وحنث بعهده . فعهده لا يستحق حتى الورقة التي كُتب عليها ... »

القسم الثاني جميع الفروع

١١ الحَرْبُ العَالميّة الثانِيَة

غزو بولندا

في اول ايلول ١٩٣٩ اجتاحت القوات الالمانية حدود بولندا . وانقضت طائرات « شتوكا » تقصف المواقع والحشود ، تقطع على الجيش البولندي طريق التراجع وتمهد لزحف الدروع الالمانية . وفي ٢٧ ايلول سقطت ڤرسوڤيا العاصمة بعد اربعة ايام من القصف الجوي ، وانتهت بسقوطها « الحرب الصاعقة » .

ومنذ ١٧ ايلول عبر الجيش السوڤياتي حدود بولندا الشرقية ، فاحتل المنطقة التي يخوله احتلالها حلف ٢٣ آب . وقبل سقوط ڤرسوڤيا تمت قسمة بولندا بين جارتيها الكبيرتين حسب خط يصل بين نهري سان (San) وناريف (Narew) رافدي الڤستولا . وتكرست هذه القسمة رسميًا بموجب معاهدة وقعت في ٢٨ ايلول اي بعد استسلام العاصمة بيوم واحد . وشمل الاتفاق بلاد البلطيق ايضًا فاعترف لالمانيا بالنفوذ على ليتوانيا ثم ما لبثت ان تنازلت عنها للسوڤيات مقابل تعديل في حدود القسمة ، ولموسكو بنفوذها على استونيا وليتونيا وما لبثت ان ضمتها اليها خلال عام ١٩٤٠ فيما كانت المانيا مشغولة على الجبهة الغربية .

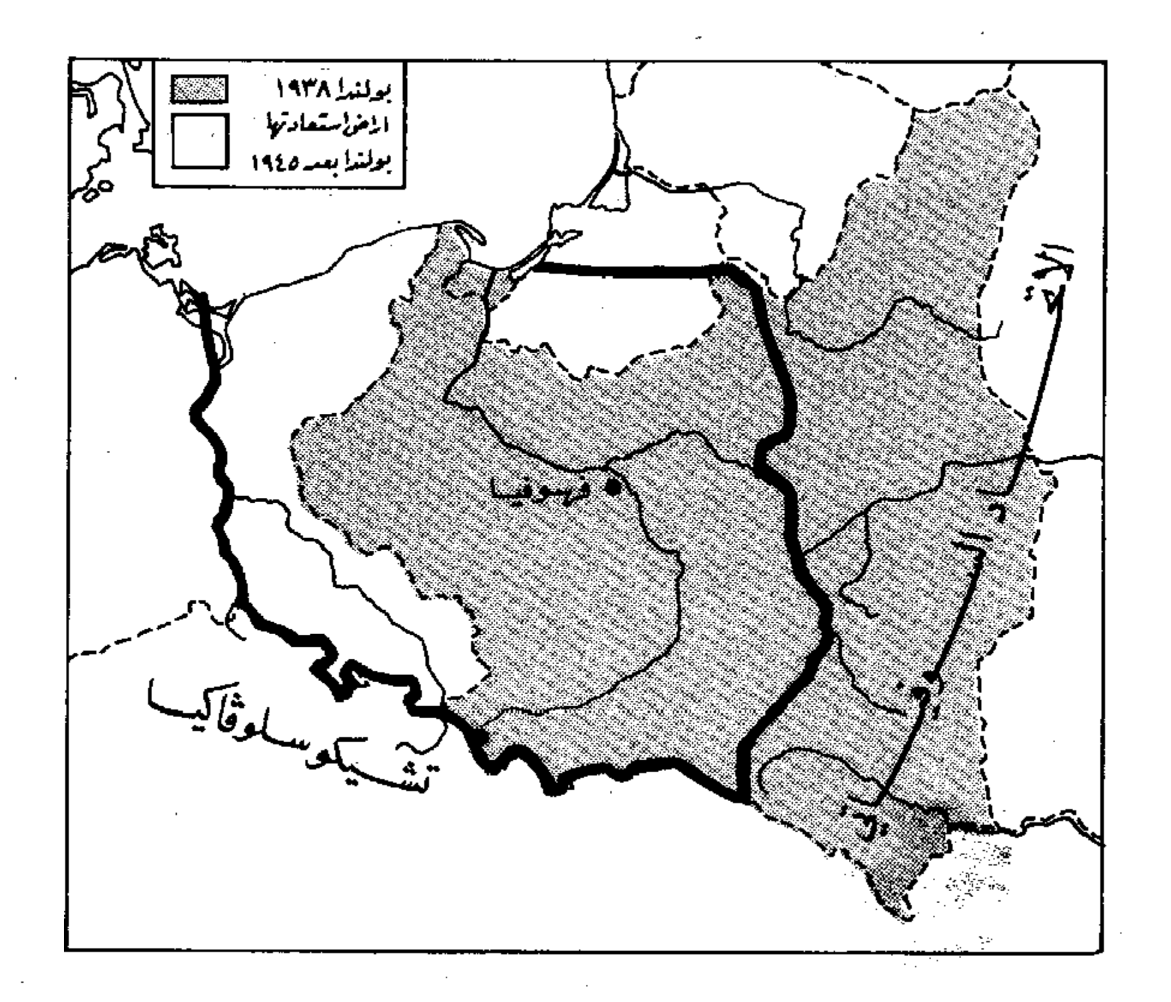
حرب عجب

منذ الثالث من ايلول ابلغت فرنسا وانجلترا حكومة الرايخ بتصميمها على مساندة بولندا ، ولكن « الحرب الصاعقة » انتهت قبل ان يتاح لهما التدخل . وامتنع هتلر خلال غزوه لبولندا عن خوض معارك على الجبهة الغربية ضد فرنسا . حتى اذا انتهى من ڤرسوڤيا جاء يعرض الصلح على فرنسا وانجلترا فرفضتاه بانتظار استكمال التعبئة العسكرية وتعزيز الطيران (٨ ت ١ ١٩٣٩) .

وبدأت على الجبهة الغربية « حر[illegible] (drôle de guerre) دامت ستة اشهر ، يتقابل فيها الخصمان [illegible]حمان ، فيما عدا تبادلهما قصفًا رمزيًا من وقت الى آخر . فا[illegible] سير الحرب ، وبدأ التساؤل حول جدواها بعد سقوط بولند[illegible]



ازالة الحدود بين بولندا والمانيا (اول ايلول ١٩٣٩).



جبهة شمالية

وبعد فترة ، اشتعلت الجبهة الشمالية ، حيث فرض الاتحاد السوڤياتي وصايته على بلدان البلطيق وطالب فنلندا بمنحه امتيازات على اراضيها فرفضت . فهاجمها (٣٠ ت ٢) لينتزع منها حرباً ما رفضت ان تتنازل عنه سلماً على الحدود الروسية الفنلندية . واحجمت سائر الدول السكندينافية عن التدخل رسمياً ، وان تكن قد غضّت الطرف عن تسلل المتطوعين لمناصرة جارتها . وبعد مرحلة مجيدة في تاريخ المقاومة الفنلندية عادت فانصاعت لمطالب الاتحاد السوڤياتي (آذار ١٩٤٠) واقرّت له ببعض المناطق المتاخمة ، وبذلك اضحت لينينغراد بعيدة عن مرمى المدافع الفنلندية (مسافة ٢٥ كم فقط) . وبعد اخضاع فنلندا اعلن السوڤيات استيلاءهم على دول البلطيق وانتزاعهم بيسارابيا من رومانيا .

ولم ينفع اسوج حيادها ، لان هتلر طامع في حديدها يعزّز به صناعته الحربية . فارسل قوات اجتاحت الدنمرك واحتلت نروج فوصلت الى اسوج . وحاولت الدول الغربية قطع « طريق الحديد » امام هتلر ، فانزلت قوات عند نارڤيك (Narvik) اهم المرافئ على الشاطئ النروجي ، وبعد نصر عابر دحرها النازيون فانسحبت من اسكندينافيا (٩ حزيران ١٩٤٠) ، فيما كانت الجبهة الغربية تشهد حرباً صاعقة جديدة . (انظر ص ١١٣).

والتزمت ايطاليا الحياد منذ بداية الحرب ، وادعت بان حلفها مع المانيا دفاعي لا يلزمها بخوضها . اما جبهة الشرق الاقصى (بين اليابان والصين) فما فتئت مندلعة منذ ١٩٣٧ لتتحول فيما بعد الى جزء لا يتجزأ من الحرب العالمية الثانية .

التفوّق الالماني

منذ الحرب العالمية الاولى لم يحد العسكريون الفرنسيون عن خططهم الدفاعية . فانشأوا خط « ماجينو » لحماية حدودهم الشرقية على الراين ، وحصنوه بكتل ضخمة من الاسمنت المسلح ، وضمّنوه الخنادق والدهاليز . غير انهم اهملوا حماية وادي الموز (Meuse) (غربي خط ماجينو) ظنّاً منهم بان هضاب الاردين (Ardennes) تشكل حاجزاً طبيعياً واقياً . (ص ١٠٩).

واستفادت فرنسا من فترة الركود التي تلت سقوط بولندا لتستكمل استعداداتها ، فزادت عدة الجيش (مائة فوج مقابل ١٣٩ لدى المانيا) ،

داخل خط ماجينو الدفاعي .



مشهد من
معارك نارڤيك .

١

ووافاها في بداية الحرب عشرة افواج بريطانية وثلاثون فوجًا بلجيكيًا وهولنديًا . وبلغ عدد طائراتها الفًا وسبعمائة ، وعدد دروعها ثلاثة آلاف معظمها قديم الصنع . إلا ان الافواج الالمانية كانت افضل اعدادًا وتجهيزًا ، ودروعها جديدة ينيّف عددها على الثلاثة آلاف ، وطائراتها خمسة آلاف كلها حديثة الصنع . وكانت بين طائراتها المقاتلة الانقضاضية (شتوكا) ودروعها المهاجمة خطط متكاملة ، بحيث يهيّئ القصف طريق الدروع ، ويضاف الى كل هذا خط سيغفريد الموازي لخط ماجينو . وتبقى في النهاية نقطة الضعف في الدفاع الفرنسي : وادي الموز والاردين ، حيث سلّط الالمانيون قوات من المظليين والدروع .

هزيمة فرنسا

وفي العاشر من ايار ١٩٤٠ ، بدأ الهجوم الالماني على الجبهة الفرنسية . ولم يقتحم النازيون خط ماجينو كما تحسّب الفرنسيون ، بل استداروا حوله من الشمال فاجتاحوا اللوكسمبورغ وبلجيكا وهولندا ، وبعد خمسة ايام فقط كانت دروعهم تكذّب كل الافتراضات وتعبر هضاب الاردين بسهولة . فعمّت البلبلة جيوش الحلفاء ، وعجزت قيادتهم رغم استبدالها عن اعادة رص الصفوف ، نظرًا لضخامة الثغرة التي احدثها عبور الموز واجتياح الاردين والالتفاف حول مدينة سيدان (Sedan) (١٤ ايار) . اذاك انسحبت جيوش الحلفاء نحو الغرب ، فيما كانت القوات الغازية تطوقها تدريجيًا حتى حصرتها في دنكرك . فاقلع معظمها على مئات البواخر نحو انجلترا وسط خسائر فادحة في الارواح ، والسفن ، والاعتدة التي استولى عليها الالمان. (اواخر أيار ١٩٤١) . (انظر ص ١١٣).

وعجز ويغان الذي حل محل غاملين (Gamelin) في القيادة (منذ ١٩ ايار) عـن تجميع الصفوف لصد الزحف عنـد نهر السّوم (بين باريس وكاليه (Calais) ، واستمر في التراجع (٧ حزيران) ، وانتقلت الحكومة الفرنسية من باريس الى تور (Tours) ثم استقرت في بوردو .

وفي العاشر من حزيران اراد موسوليني ان يستدرك ما فاته ، فاعلن الحرب على فرنسا وانجلترا ، وهاجم من ناحية الالب . فدب الذعر بين الفرنسيين وهرعوا نازحين نحو الجنوب ، فيما كان الالمانيون يحاصرون القوات الفرنسية

المرابطة عند خط ماجينو ويستولون على المعدات الحربية . وفي ١٤ حزيران أُعلنت باريس مدينة مفتوحة لتسلم من الدمار .

الهدنة

منذ انجلت المعركة عن هزيمة فرنسا ، تعيَّن على حكومتها ان تقرر الخطوة المقبلة ؛ فشدد رئيس وزارتها رينو (Reynaud) على ضرورة استمرار المقاومة ، ولو من الخارج اي من شمال افريقيا ، وسانده معظم الوزراء . ولكنه اصطدم بمعارضة وزير الحربية المارشال پيتان . فاصرّ هذا على ضرورة عقد هدنة تحفظ ما تبقّى للجيش الفرنسي من معنويّات . وانتهى الخلاف باستقالة رينو ، فترأس پيتان الحكومة الجديدة ، وطلب الهدنة . فوقعت في ريتوند (٢١ حزيران) وفي القاطرة الحديدية التي فرض على حكومة ويمار ان توقع فيها هدنة ١٩١٨ . وتلتها هدنة مع ايطاليا في الرابع والعشرين من حزيران ١٩٤٠ . (انظر ص ١١٢).

وقسمت فرنسا الى منطقتين : الاولى في الشمال ، خاضعة لاحتلال الماني؛ والثانية في الجنوب ، ودعيت «المنطقة الحرة». ومن مدينة ڤيشي في المنطقة الحرة اتخذت حكومة پيتان مقرًا لها (منذ ١٠ تموز) حيث صوت المجلس المشترك (النواب والشيوخ) على دستور جديد الغى الجمهورية الثالثة ، واقرّ مكانها دولة فرنسية على رأسها المارشال پيتان وشعارها : « عمل – عائلة – وطن » . ونجحت السلطات النازية اخيرًا بفرضها احد اخصّائها « لاڤال » رئيسًا لوزارة هذه الدولة (نيسان ١٩٤٢) .

غير انه قبل تسلم پيتان للحكم ، كان احد مساعدي رينو العسكريين ، وهو الجنرال ديغول ، قد غادر بوردو سرًا الى انجلترا . وفي ١٨ حزيران (اي قبل توقيع الهدنة) اعلن من راديو لندن : « ان فرنسا خسرت معركة ولم تخسر حربًا » . وبعد يومين اعلن قيام حكومة « فرنسا الحرة» نواة المقاومة الفرنسية التي انتقلت الى الجزائر بعد ان اجلى الحلفاء انصار ڤيشي عنها .

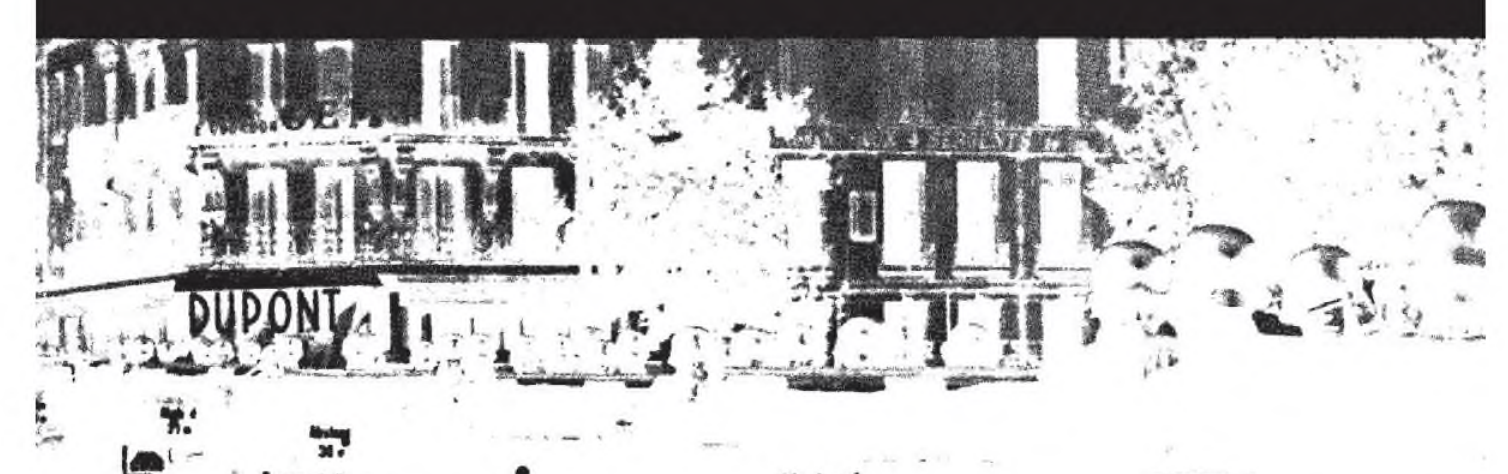


لقاء بين بيتان وهتلر في مونتوار في فرنسا (ت ١ ١٩٤٠).

الهدنة مع فرنسا

« في ٢١ حزيران ، بعد سفر مضن في الطرقات المزروعة بحطام الهزيمة ، أدخلت بعثة « هونتزيغر » (رئيس البعثة لتوقيع الهدنة مع الالمان) الى قاطرة المارشال « فوش » التي أتي بها من متحف « كومبيين » والتي وضعت في الموضع الذي كانت فيه في ١١ كانون الاول ١٩١٨ ، وذلك حسب تعليمات « هتلر » الشخصية . في رأي « فيغان » كان موضع توقيع الهدنة وسط الاحراج وسيلة لمداراة الكبرياء الالماني ، ولكن نية « هتلر » كانت ترمي الى طعن الكبرياء الفرنسي في صميمه . فالصحافة العالمية حاضرة ، والاذاعة الالمانية تنقل وقائع الحفلة . وكان « هتلر » يقطع الغاب بوجه شيطاني ، وتوقف برهة يضحك ساخراً امام اللوحة التذكارية التي كانت تتكلم « على الكبرياء الالماني المجرم الذي هزمته الشعوب الحرّة بعدما كان يطمع في استعبادها » . وبعد امر باتلاف تذكار الهزيمة الماضية صعد الى القاطرة وتربّع في المقعد الذي كان قد احتلّه « فوش » سنة ١٩١٨ . وقام « كيتل » (قائد الجيش الالماني) اذاك بتلاوة رسالة عنيفة اللهجة تتهم « فرنسا » بالتهجم والعدوان ، ثم تسلم المنهزمون بياناً بشروط الهدنة ؛ وقد أُعلموا بان المناقشة ممنوعة ، وبأن جل ما يستطيعون طلبه هو الايضاحات . وعبثاً حاول «هونتزيغر» ان يذكّر بان الفرصة قد اتيحت للمفاوضين الالمان سنة ١٩١٨ بمشاورة حكومتهم قبل ان يوقعوا في ذيل الشروط الحليفة ، فانه لم يحصل إلا على خط هاتفي يتلو به على « فيغان » نص المذكرة . ولكن الخط كان يصفر ويشوش ، وكان « فيغان » يملي الجمل على ضابطه المرافق الكابيتين « غلازر » . وبهذا الشكل تبلغت الحكومة الفرنسية اتفاقية عبوديتها . »

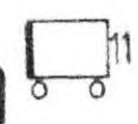
ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية الجزء الاول ص ١٤٢
ترجمة سماحة ومسعود



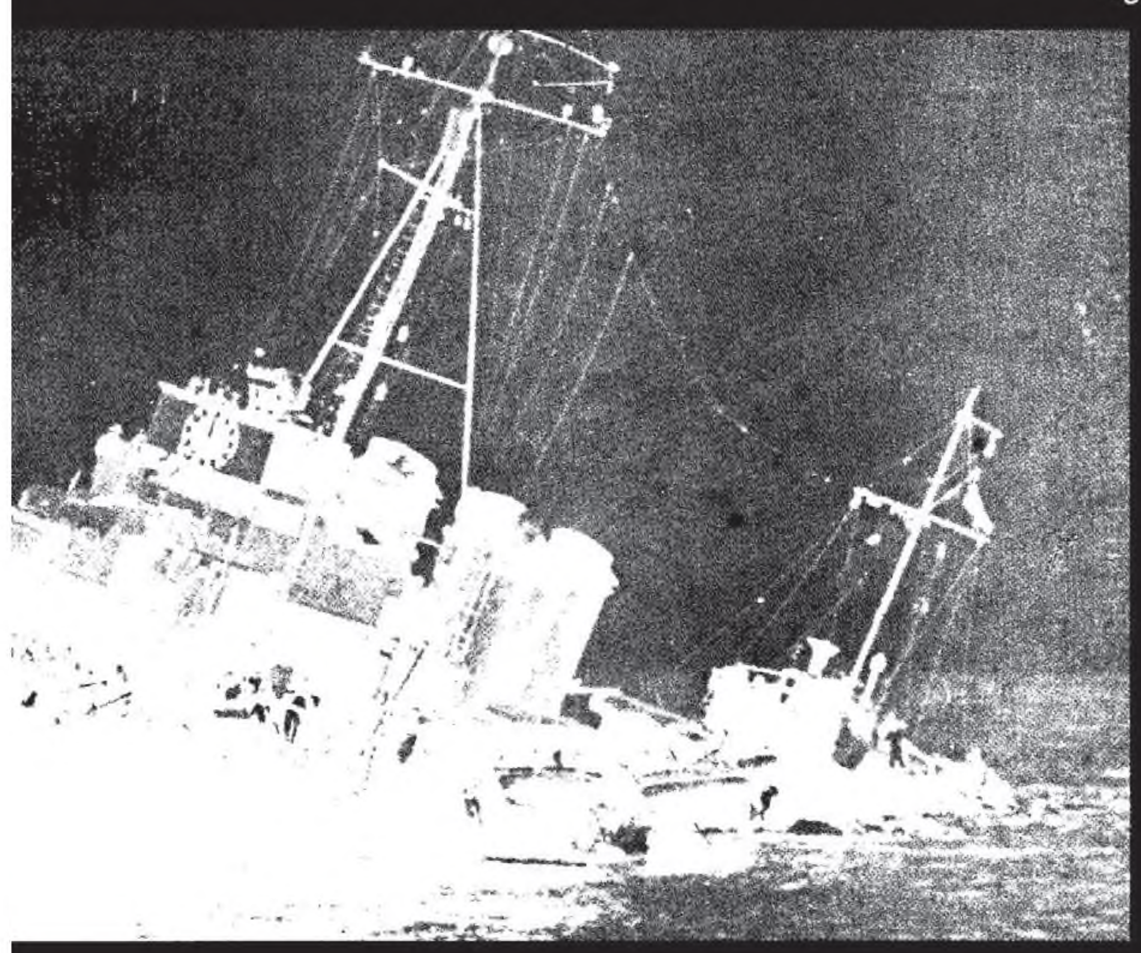








دخول الالمانيين الى باريس.



من مشاهد
الانسحاب في دنكرك

١٢ انجلترا مُنفـَرِدَة

بعد انهيار فرنسا ، ظن هتلر بان انجلترا ملقية السلاح لا محالة . ولما عرض عليها الصلح ، موسّطًا الدول المحايدة ، اصطدم بتصميم رئيس وزرائها الجديد ونستون تشرشل (منذ ايار ١٩٤٠) على مواصلة المقاومة ولو منفردًا . وبَدَأَ الاستعداد للمواجهة باعلان التعبئة الشاملة وحماية الجسور ووقاية الاهلين في محطات المترو تحت الارض .

معركة انجلترا

ومنذ الثامن من آب (١٩٤٠) افتتح غورنغ قائد السلاح الجوي « معركة انجلترا » . وتمهيدًا لغزوها ، بـدأ سلاح الجو الالماني بقصفها. وظلـت القاذفات بحماية المقاتلات الخفيفة تمطرها نارًا مستمرة . وانصبت القنابل في المرحلة الاولى على الشواطئ والمرافئ لعزل انجلترا عن الخارج ، وفي المرحلة الثانية على المطارات لتدمير سلاح الجو الملكي وشل حركته ، ولما فشلت في محاولتها تحولت الى قصف المدن لنشر الذعر بين الاهلين . وكانت اولى الغارات على لندن ليلة ٢٥ آب ، رد عليها البريطانيون بالاغارة على برلين ثم تتالت الغارات حتى نالت العاصمة البريطانية نصيبًا ضخمًا من التدمير ، كما دُمرت بعض المدن البريطانية تدميرًا كاملًا مدينـة (كوفنتري) .

وبرهن الطيارون البريطانيون عن تفوق ومهارة فائقين ، واتاح الرادار لعدد قليل من مقاتلاتهم (٥٤٠ مقاتلة) اسقاط ٢٥٠٠ طائرة المانية واسر طياريها فرجحت كفة سلاح الجو الملكي ، واضطر هتلر ان يؤجل خطة الغزو مرارًا الى ان صرف النظر عنها نهائيًا . وراح يفاوض فرنكو لاقناعه بخوض الحرب ، فيتاح له ساعتئذٍ شل نشاط الاسطول البريطاني في المتوسط . فرفض فرنكو ، كما رفضت حكومة پيتان اعطاء النازيين قواعد في افريقيا الشمالية والغربية . واضطر الفوهرر بعد ذاك ان يخوض الحرب على ثلاث جبهات معًا : في الاطلسي ، وفي البلقان ، وفي الصحراء الليبية . ولما دخلت روسيا الحرب خف العبء عن انجلترا . (انظر ص ١١٥ و ١١٩).



من «معركة انجلترا».

معركة الاطلسي

لم تستطع بريطانيا ، رغم تفوقها البحري ، ان تسيطر على الاطلسي لتحكم الحصار على المانيا . وبجرأة نادرة تصدت الغواصات الالمانية والبوارج الصغيرة لسفن الحلفاء دون تمييز بين الحربية منها والتجارية . فتميزت حملتها بالقرصنة وكانت حصيلة ما فقده الخلفاء في نهاية عام ١٩٣٩ مائة وأربع عشرة سفينة بينها حاملة طائرات ، وبحلول ربيع عام ١٩٤١ ارتفع العدد حتى الخمسمائة .

وتحملت انجلترا الخسارة على فداحتها ، وقدمت لها الولايات المتحدة خمسين طرادًا مقابل ان تتنازل لها عن قواعد في الانتيل لمدة تسع وتسعين سنة (ايلول ١٩٤٠) ، واقنع روزفلت (بعد انتخابه رئيسًا للمرة الثالثة) الكونغرس الاميركي بالخروج على سياسة الانطواء ، فاقرّ قانون « الاعارة والتأجير » الذي سمح باعارة وتأجير ما يلزم « للدول التي يشكل امنها مصلحة حيوية بالنسبة للولايات المتحدة » . فكانت اولى الدول المستفيدة بريطانيا ثم اليونان ، فحصلت على السفن والاسلحة والطائرات دون دفع ثمنها ، وفيما بعد افادت من هذا القانون دولتان اخريان هما الصين والاتحاد السوڤياتي بعد دخولهما الحرب ضد هتلر . وتولّت بحرية الولايات المتحدة مراقبة الشواطئ الاميركية ، فكانت ترشد البريطانيين الى مواقع الغواصات والسفن الالمانية وتضربها اذا دخلت «منطقة الدفاع الاميركية» . (انظر ص ١١٧).

جبهة البلقان

وكانت لموسوليني اطماع في البلقان ، فهو ما فتئ يحلم بتحويل المتوسط الى بحيرة ايطالية . وكان قد احتل البانيا قبيل الحرب تمهيدًا للوصول الى اليونان . واخفق هتلر في ثني حليفه عن عزمه . ولما هاجم الدوتشي بلاد الاغريق صُدّت قواته على اعقابها . وكان ذلك بمثابة فرصة استغلها تشرشل ليفتح ضد المانيا جبهة جديدة يخفف بها الضغط عن انجلترا (ت ١ ١٩٤٠) . فتدخل الاسطول البريطاني لمساندة الاغريق ، واستمرت الانهزامات الايطالية تترى حتى استعجل الدوتشي طلب المعونة من الفوهرر في البلقان وليبيا معًا .

واستجاب هتلر لسبب آخر ، هو : اخضاع يوغوسلاڤيا واليونان لانهما الدولتان الوحيدتان اللتان لم تخضعا له بعد في شرق اوروبا بعد ان انضم اليه كل من المجر ورومانيا وبلغاريا .



ونستون تشرشل

دور الغواصات في معركة الاطلسي

كان الاميرال « دونيتز » يعلم ان النجاح الرخيص الذي احرزته الغواصات الالمانية على طول السواحل الاميركية عابر كسحابة صيف ؛ فقام الى تنظيم خطته ، واستدار ثانية نحو مضارب صيده المعتادة . صحيح ان الخسائر الحليفة بقيت مرتفعة ، ولكنها راحت تتضاءل تدريجيًا . ففي حزيران ١٩٤٢ بلغت خسائر الحلفاء عامة ١١٤ سفينة و ٨٥٦,٠٤١ طنًا ، وتدنت الى ٦٩ سفينة و ٦٩٥,٥٦٢ طنًا في تموز ؛ وتضاءلت اكثر فاكثر خلال الاشهر اللاحقة فبلغت في كانون الاول ادنى حد لها عرفته منذ ١٩٤١ بسبب عواصف الشتاء . وسنبرز حساب ١٩٤٢ أن ما دُمّر من السفن التجارية قد بلغ ٨,٣٣٣,٢٥٨ طنًا ، اي بمعدل ٢٩٤,٤٣٨ طنًا للشهر الواحد .

راح « دونيتز » يحقق في حساب المجزرة في مقر قيادته الباريسي . فالهدف الذي اختطّه لنفسه هو ان يدمر من السفن الحليفة بقدر ما تنتجه مصانعها أو اكثر . وقد قدّرت دوائره المختصة بـ ٨,٠٩٠,٠٠٠ طن مجموع الانتاج في المصانع البحرية البريطانية والاميركية ، وهذا ما كان يفرض على قوات المحور البحرية والجوية تدميرًا شهريًا يبلغ ٧٠٠,٠٠٠ طن على وجه التقريب . وقد بدت سنة ١٩٤٢ ، والحالة هذه متوازية الكفّتين : لا زيادة ولا نقصان .

كانت المعركة ما تزال حامية الوطيس ، وكان عمل الغواصات المنسّق ، اي خطة الذئاب ، ما يزال محكمًا . وقد دُمّر بعض القوافل ... ومع ذلك انخفضت منجزات الغواصات الفردية الى عُشر ما كانت عليه سنة ١٩٤٠ . ولم يتمكن دونيتز من الحفاظ على نتائجه إلا بفضل تنمية اساطيله الصغيرة. فقد كان يملك ٢٦٠ غواصة ، وكان بميسوره ان يستخدم منها في الاطلسي مئة في آن معًا . بيد ان الخسائر الغامضة قد تكاثرت . فقد تلاشت اربع غواصات المانية في خليج « غاسكونيا » وهي في طريق عودتها من جولة بحرية ، في الوقت الذي كان مقر « دونيتز » يعتبرها فيه بعيدة عن الخطر . وقد مكّنت تقارير بحرية وضعها بعض القادة من اماطة اللثام عن سر هلاك هذه الغواصات . كانت الغواصة تصعد الى سطح الماء ليلًا لتعبئة بطارياتها ، ولتزويد عدّتها بالاوكسيجين ، ولاكتساب السرعة التي تعوّض بطء الغواصات القاتل تحت الماء . وبصورة فجائية كانت الاضواء تتسلّط على الغواصة من السماء ، ثم تنقض عليها طائرة فتغمرها بقنابلها . كان الليل في السابق شريك بحارة الغواصات الذي لا غنى لهم عنه في صعودهم المتوالي للتنفس كالحيتان . اما الآن ، وقد فقد في الليل الأمان ، وامسى الرادار ارهاقًا مستمرًا ، فقد بطل مفهوم حرب الغواصات كما حققت منذ ١٩١٤ .

ريمون كارتيه

الحرب العالمية الثانية ، الجزء الثاني، ص ١٠ و ١١

ترجمة سماحة ومسعود

واقتحم النازيون يوغوسلافيا واليونان في آن واحد (٦ نيسان ١٩٤١) فأمن هتلر ساعتئذٍ عدم انقطاع البترول الروماني عنه. ولما تراجع البريطانيون الى كريت في « شبه دنكرك جديدة » عاد الايطاليون الى احتلال اليونان. وما لبث البريطانيون ان تعرضوا لهجوم جديد فانتزع منهم المظليون الالمانيون جزيرة كريت وافقدوهم ثمانية آلاف من جنودهم. وزاد في حرج البريطانيين ان سلطات ڤيشي قد سمحت للنازيين باستعمال مطارات سوريا (مع رياق في لبنان) لتغذية ثورة رشيد عالي الكيلاني ضدها في العراق (ايار ١٩٤١). آنئذٍ استطاع الجنرال كاترو، ممثل ديغول في القاهرة، حمل القوات البريطانية تساندها قوات فرنسا الحرة على احتلال سوريا ولبنان وتوجيه الوعد بالاستقلال.

الجبهة الليبية

وقد جاءت نتيجة للهجمات الايطالية على مصر بقيادة الحاكم الايطالي العام في ليبيا غرازياني (ايلول ١٩٤٠)، فصدها الجنرال البريطاني ويفل واسر عددًا ضخمًا من افرادها (٢٥ الفًا) واحتل طبرق، ثم واصل زحفه حتى وصل الى العقيله بين بنغازي وطرابلس (شباط ١٩٤١). اذاك اصطدم برومل وكان هتلر قد ارسله على رأس الجيش الافريقي (Africa Korps) لنجدة الايطاليين. فتقهقر البريطانيون يلاحقهم رومل. وبغيته من هذا الزحف احتلال السويس وفصل بريطانيا عن سائر اقطار امبراطوريتها. وبانتظار هجوم مونتغمري المعاكس، كانت كل المظاهر توحي بنصر الماني شامل على الحلفاء. (انظر ص ١٢٣).

الجبهة الروسية

لم يعمر الاتفاق بين هتلر وستالين طويلًا. ومثار الخلاف كان قضية النفوذ في شرق اوروبا والبلقان. فالنازيون يسيطرون بشكل او بآخر على رومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا واليونان، ولم يعد بامكان ستالين ان يتجاهل هذا الوجود النازي يهدده في اقرب المناطق اليه. كما لم يعد بامكان هتلر السكوت عن المد الشيوعي المتعاظم بسبب مآسي الحرب. فالخلاف لا محالة واقع، وكان هتلر هو المعتدي. ومع اول يوم من صيف ١٩٤١



تشرشل يتفقد لندن بعد غارة المانية .

بدأ هتلر بتنفيذ خطة « بربروسّا » ضد الاتحاد السوفياتي ، وانهار الحلف المعقود بين الدولتين (منذ ٢٣ آب ١٩٣٩) . (انظر ص ١٢٢).

وامعنت الجيوش النازية في التوغل شرقًا وعلى ثلاث جبهات : عبر بولندا ضد اوكرانيا ، وعبر روسيا البيضاء (بيلوروسيا) باتجاه موسكو ، وعبر الشمال نحو لينينغراد . فاخترقت خط ستالين الدفاعي . وسهّل تقدمها ان الاتحاد السوفياتي لم يكن قد استكمل استعداداته بعد ، بالرغم من تحسب ستالين لهذا الغزو . وباتت المدن السوفياتية مهددة : لينينغراد (٣٠ آب) وقد صمدت رغم الحصار الشديد والبرد والجوع مدة عامين ، وكييف (١٩ ايلول) ، ومنسك ، وسمولنسك ، وبات العدو على مسافة مائة كيلومتر فقط من موسكو (ت ١ ١٩٤١) فغادرها اهلوها ونُقلت مصانعها الى الاورال وبقي ستالين في الكرملين يشرف على المعارك . ولم يوقف زحف الغزاة إلا حلول الشتاء وتدني معدل الحرارة حتى العشرين تحت الصفر .

وبحلول الربيع التالي استأنف النازيون تقدمهم باتجاه القفقاس وآبار البترول في باكو (اوائل آب) وستالينغراد (حاليًا ڤولغوغراد)، واضحت المانيا تستولي على قمح اوكرانيا ومناجم الدونيتز ، وفي طريقها للاستيلاء على بترول القفقاس وباكو ، غير انها لم تحرز بعد الانتصار الحاسم .

الاحتلال والمقاومة

أ – وطأة الاحتلال النازي

انبسطت السيطرة النازية على كل اوروبا تقريبًا فيما عدا سويسرا واسوج اللتين التزمتا جانب الحياد ، اما اسپانيا والبرتغال فقد كانتا ضمنًا ميالتين الى هتلر مع التزام الحياد رسميًا . والدول المتبقية فقد كانت اما مناطق محتلّة (شمال فرنسا ، يوغوسلاڤيا ، اليونان) ، او محميات المانية (بوهيميا – موراڤيا، بولندا الشرقية ومعها اوكرانيا) ، او ذات حكومات موالية كالدنمرك وفنلندا ، والمنطقة الحرة جنوبي فرنسا او خاضعة لسلطة النازيين كما في المجر ورومانيا وبلغاريا . حتى ايطاليا نفسها لم يمكنها التخلّي عن الحماية الالمانية .

وتعيّن على المانيا امران : اولهما احكام القبضة على الحكومات ، وثانيهما استغلال مرافق الدول المحتلة لدعم مركزها الاقتصادي والعسكري . فاقامت رقابة شديدة على الصحف والادارات ، وسخرتها للدعاوة النازية باشراف غوبلز والغستاپو . فنفت الخصوم او صادرت املاكهم ، وسجنت المقاومين

حتى غصّت بهم معسكرات التجمع . ورغم ذلك نشطت المقاومة في كل من فرنسا واوا كرانيا ونروج ويوغوسلاڤيا ... ، بل في داخل المانيا بالذات للتخلص من تعسف هتلر والغستاپو . (انظر ص ١٢٧).

٢ – المقاومة

الى جانب القوات العسكرية النظامية نشأت مقاومة وطنية داخلية قوامها « الانصار » ، وقد كان دورها ثانويًا انما فعّالًا . ففي المنطقة الحرة من فرنسا ، أُلزمت الشبيبة الفرنسية بالعمل في المصانع الالمانية ، لان الحملة على روسيا قد استنفدت اليد العاملة الالمانية . فنفر الفرنسيون واستهوتهم دعوة ديغول من راديو لندن ، فأنشأوا المقاومة او « الانصار » لدعم الجبهة من الداخل . (انظر ص ١٢٢).

وساعد ديغول التفاف معظم المستعمرات الفرنسية حوله . فنظّم « القوات الفرنسية الحرة » ليحسن مركزه تجاه الحكومة البريطانية ، وبعد انتصار الحلفاء في شمال افريقيا بقيادة ايزنهاور ، انتقل الى الجزائر وجعلها مقرًّا لحكومته . وسرعان ما اتحدت جهود ديغول مع جهود « اللجنة الوطنية الفرنسية » نواة المقاومة في الداخل . فكانت هذه تقدم له المعلومات والارشادات او تقاتل قتالًا غير نظامي . ولجأ الكثيرون من افرادها الى المعاقل الجبلية والغابات ، مخلّفين المدن خوفًا من سوقهم للعمل في منشآت العدو . وكوّنوا جيشًا دعوه « القوات الفرنسية في الداخل » (F.F.I.) ومع ذلك لم يسلموا من ويلات التنكيل .

ومثل الفرنسيين فعل النرويجيون حيث برز اسم كيسلنغ . وفي يوغوسلاڤيا لمع اسم الشيوعي تيتو . وفي ايطاليا ، بعد انهيار الفاشستية في تموز ١٩٤٣ ، اضحت مقاومة النازيين علنية . اما في روسيا البيضاء واوكرانيا ، فقد كانت المستنقعات والغابات معقلًا طبيعيًا اجتمع فيه حوالى ربع المليون من « انصار » الجيش السوڤياتي ، يهاجمون القطر الحديدية التي تحمل الجنود والاعتدة والمؤن النازية متكلين على ما تقدمه لهم الطائرات السوڤياتية من عون .



من مشاهدة المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي.

التباعد الالماني الروسي

وصل مفوض الشعب « فيـاشيسلاف مولوتوف » الى « برلين » وسط الزهور والمناجل والمطارق في الزيارة التي طلبها « ريبنتروب » (وزير الخارجية الالمانية) ؛ ولكن هذا الاخير لم يكافأ على بادرته: فخلال المحادثات لم يقل « مولوتوف » غير كلمات معدودة ، فيما راح « ريبنتروب » مرددًا ان ما من قوة تستطيع منع الهزيمة الانكليزية ؛ ولكن نظرة الروس الهازئة الثاقبة كانت تغيظ الالماني المدّعي . ولكن الحال اختلفت مع « هتلر » . فقد ناقشه « مولوتوف » الحساب بعنف متذمرًا من دسائس « المانيا » في « فنلندا » ، ومهددًا بالعودة للقتال فيها اذا استمر تسلل القوات الالمانية اليها . وتذمّر كذلك من دخول القوات الالمانية الى «رومانيا» وهدد باجراء اتفاق مع « بلغاريا » مماثل لاتفاق الحماية الذي جرّت « برلين » « رومانيا » الى توقيعه . وطلب الحق في مراقبة مضيقي « الدردنيل » و « البوسفور » باقامـــة قواعد بحرية وجوية سوڤياتية في « تركيا » . وقطع على « هتلر » بلاغتـــه الخطابية حين حاول هذا ان يحوّل انظار زائره نحو « الخليج الفارسي » و « الهند » قائلًا انه لم يكن يهتم بغير القضايا الاوروبية.

واما « هتلر » الذي كاد يختنق من الغيظ في « بادغودسبرغ » لان المرحوم «تشامبرلين» قد تجرّأ على ان يطرح عليه سؤالًا ، فقد تحمل بصبر عجيب اجوبة « مولوتوف » ذي النظارات والعين الفولاذية . ولم تكن حصيلة المناقشات لتظهر البتة اي اختلاف بين « روسيا » السوفياتية و « المانيا » الهتلرية ؛ ودون البروتوكول انه قد تم الاتفاق على المواضيع كافة ، بما فيها المطامع الروسية في المضايق . ولو اخذنا الوثيقة بحذافيرها لظهر وكأن التحالف الالماني السوڤياتي لم يتغير وجهه .

ولكن المظاهر كانت خداعة. فالشهادات كلها تثبت ان « هتلر » قد خرج من مقابلتيه مع « مولوتوف » في حالة هياج شديد . قال « بول شميدت » : « انني مقتنع بان « هتلر » قد اتخذ قرار مهاجمة « روسيا » على اثر ذلك مباشرة » . وقال « كيتل » : « لقد رأى الفوهرر في كلام « مولوتوف » طعمًا لعملية كبيرة ترمي الى تطويق « المانيا » . وقد قرر ان يحول دون حدوثها » .

ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية
الجزء الاول – ص ١٨١ و ١٨٢
ترجمة سماحة ومسعود

بين الديغوليين والڤيشيين

« ما ان سقطت « كريت » حتى تحولت الانظار الى «سوريا» و«لبنان» ؛ فالحرب التي اندلعت فيهما لم تكن غير ردة فعل لحوادث « العراق » . وسرعان ما اخمدت نار الثورة هناك ! فالعون الذي وعد به « هتلر » قد اقتصر على تدخل بعض الطائرات ؟ ولم يلبث البريطانيون ان عادوا فاحتلوا « بغداد » ، وفي ٣١ ايار فر « رشيد عالي » (الكيلاني) الى « المانيا » إلا ان الجنرال « دنتز » ، المفوض السامي الفرنسي في الشرق ، قد امدّ العراقيين ببعض الاسلحة اذعاناً منه لاوامر « ڤيشي » ، وسمح بمرور بعض الطائرات الالمانية « بدمشق » . كان في ذلك ما يبرّر التدخل البريطاني ، فبادر تشرشل الى الافادة من الظرف .

ووجد « ديغول » نفسه امام معضلة شائكة شبيهة بالتي واجهها في « دكار » ، بل لقد كانت من الخطورة والتعقيد بحيث لا يجدي معها اقناع ولا تهويل ؛ فهناك نزاع يذر قرنه ، وهناك عدوان بريطاني يوجّه ضد « فرنسا » ؛ افيكون من واجب « ديغول » ان يحول دون وقوعه ؟ أم ان يسهم فيه ؟ ام ان يقف منه على الحياد ؟... كان وضعه اشبه ما يكون بالنبيّ وبالمرتزق في الوقت الذي همّت فيه «انكلترا» بمهاجمة اراض يظللها العلم الفرنسي ! شاور « ديغول » مستشاريه في اول آذار في الموقف الذي ينبغي اتخاذه لو تدخل الانكليز في « سوريا » و « لبنان » ؛ فعارض اكثرهم ، وحتى الداهية « لوكلير » ، فكرة الاسهام العسكري الفرنسي . إلا ان حكومة « فرنسا الحرة » لم تكن مؤسسة جماعية ، ولذا تخطّى ديغول نظرية الاكثرية ، وقرّر ان يمثّل صليب « اللورين » (الصليب الديغولي » في العمليات . وهكذا نشبت في نطاق الحرب العالمية حرب اهلية فرنسية ؛ وقد برّر «ديغول» موقفه بضرورة الحؤول دون ضياع «فرنسا» بانتصار انكليزي صرف. لم يكن امر الحفاظ على الانتداب السوري — اللبناني وارداً ، وكان « ديغول » لا يرى مفراً من الغائه بعد الحرب ؛ اذاً جلّ ما كان يسعى اليه هو ان يحفظ « لفرنسا » حق التخلّي عنه . »

ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية الجزء الاول – ص ٢١٥
ترجمة سماحة ومسعود

من معارك الصحراء .



١٣ الحَرْبُ الشّـامِلة

الصدام الاميركي الياباني

بالرغم من اصرار الرأي العام الاميركي على سياسة الانطواء والحياد ، لم يخف الرئيس الاميركي روزڤلت ميله الى الحلفاء ، وبنوع اخص الى انجلترا . ومنذ تشرين الثاني ١٩٣٩ سمحت الولايات المتحدة ببيع الاسلحة الى الخارج شرط ان يدفع ثمنها نقدًا وتنقل على سفن اميركية (عملًا بمبدأ ادفع واشحن (Cash and carry) . وفي ١١ آب ١٩٤١ التقى الرئيس الاميركي بتشرشل على متن السفينة الحربية پوتوماك (Potomak) ، الراسية في المياه الكندية ، حيث وقّعا ما عرف باسم « وثيقة الاطلسي » (Atlantic Charter) وحددوا فيها مبادئ سياسة دولية محايدة وسلمية . ولم يصب تشرشل في هذا الاجتماع إلا نجاحًا جزئيًا لان الرئيس الاميركي ، رغم ميله لما تمثله بريطانيا من انتصار للديمقراطية ، لم يؤمّله بامكانية اشتراك الولايات المتحدة بالحرب .

غير ان اهتمام الاميركيين بشؤون الشرق الاقصى جعلهم يقلقون لتعاظم نفوذ اليابان في جنوب شرق آسية . لا سيما بعد ان اقام اليابانيون ، بالاتفاق مع حكومة ڤيشي ، قواعد في تونكين وأنّام (وسط وشمال ڤيتنام اليوم) وبدأوا يهددون مستعمرتي بورما وملايو البريطانيتين ، مما يمنع وصول الامدادات البريطانية والاميركية الى الصين . فاعلن روزڤلت حظرًا على شحن المواد الأساسية الى اليابان (بما فيها البترول والمطاط والحديد والقصدير) ، واتبع ذلك بتجميد الاموال اليابانية في بلاده. وحذا حذوه الحاكم الهولندي في اندونيسيا (تموز ١٩٤١) فتضايق المسؤولون في طوكيو واضمروا الحرب . وبانتظار استكمال التعبئة تظاهروا بالميل للتفاوض (ت ١ وت ٢) وارسلوا وفدًا الى واشنطن .

وفجر الاحد في السابع من كانون الاول تسلل الاسطول الياباني حتى جزر هاواي ، وفاجأت طائراته الاسطول الاميركي الراسي في پيرل هاربور؛ فدمّرت او اغرقت او اعطبت عددًا كبيرًا من قطعه وقتلت حوالى ثلاثة آلاف

من الاميركيين . فيما بدأت القوات البرية اليابانية زحفها على تايلاند (سيام) وشبه جزيرة الملايو . وبعد يومين من پيرل هاربور اغرقت القاذفات اليابانية حاملتي طائرات بريطانيتين في مياه سنغافوره . (انظر ص ١٣٨).

وكان الهجوم على پيرل هاربور كافيًا لحمل الرأي العام الاميركي على اطراح الانعزالية وقطع المفاوضات الصورية مع اليابان ، ودفع الكونغرس على الموافقة على اعلان الحرب ضد اليابان (٨ ك ١) وحليفتيها المانيا وايطاليا (١١ ك ١) .

الحرب تغدو عالمية

وادّى تدخل الولايات المتحدة الى قيام « التحالف الاكبر » . وقد التقى فيه ، رغم التباين العقائدي كل من الاتحاد السوفياتي وبريطانيا ومعها الكومونويلث والولايات المتحدة الاميركية . وايدته حكومات الدول المغلوبة في المنفى (اي الحكومات التشيكية والبولندية والنرويجية والهولندية والبلجيكية واليوغوسلافية واليونانية والديغولية مع بعض المستعمرات الفرنسية) .

واجتمع الخصوم في تحالف ثلاثي (المانيا ، ايطاليا ، اليابان) نشأ منذ ايلول ١٩٤٠ وحل محل الحلف المعادي للشيوعية (antikomintern) (١٩٣٦) ، فاطلق يد اليابان في شرق آسية ويد المانيا وايطاليا في اوروپا ، وجاء جوابًا على تقديم خمسين طرادًا اميركيًا لبريطانيا . وتؤيد هذا الحلف الثلاثي الدول الدائرة في فلك المانيا مثل بلغاريا والمجر وفنلندا عدا الدول المحبذة لهتلر مثل اسپانيا والبرتغال وان كانتا محايدتين رسميًا .

وتطلب توزع الجبهات تعبئة المزيد من الجيوش (٢٠ مليون جندي) وتسليحها وتموينها . فهدرت الذخيرة دون حساب ؛ فكانت الغارة الجوية الواحدة تلقي آلاف الاطنان من القنابل . وبعد پيرل هاربور برزت اهمية حاملات الطائرات وسفن النقل المصفحة ، وتكاثر عدد الغواصات . وتطورت الابتكارات حتى غدت القنابل الالمانية الموجهة (V1 و V2) تنال لندن من شواطئ فرنسا وهولندا وبلجكا . كما غدت قذائف الطائرات تنال الغواصات من الجو . غير ان الاكتشاف الأهم ، اي القنبلة الذرية ، لم يكن قد انتهى العمل منه بعد .

التراجع الالماني

في ربيع السنة ١٩٤٢ ، بدا النازيون اسيادًا في اوروبا وشمال افريقيا ، واليابانيون اسيادًا في جنوب شرق آسية . ومع حلول الصيف انقلب الموقف وبدأ التقهقر الالماني الايطالي الياباني .

أ – على الجبهة الأفريقية

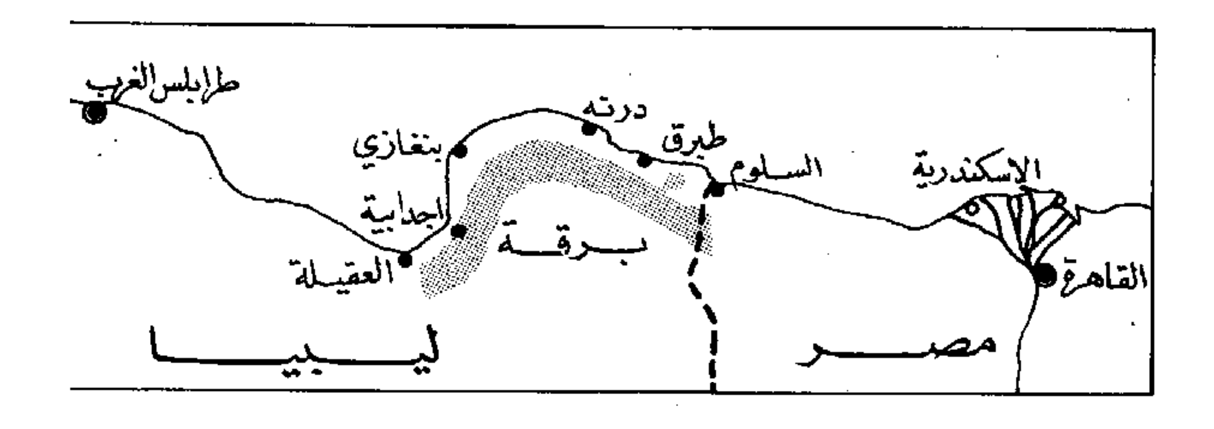
في حزيران ١٩٤٢ ، عاد رومل الى مهاجمة ليبيا فاحرز نصرًا مبينًا على قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال كونيغ في بير حكيم ، واحتل طبرق (٢١ حزيران ١٩٤٢) واسر خمسة وعشرين الفًا . وواصل زحفه الى مصر حتى امسى على مسافة مائة كيلومتر فقط مـن الاسكندرية. إلا ان الهجوم البريطاني المعاكس بقيادة مونتغمري رد الالمانيين على اعقابهم في معركة العلمين (٣ ت ٢) ، واستعاد مونتغمري طبرق بعد ان وصلته نجدات ضخمة قوامها اربعمائة دبابة اميركية بينما نفد الوقود لدى الجيش الافريقي الالمـاني (Africa Korps) ، عجز رومل عن تأمين محروقاته بعد ان اغرقت الطائرات البريطانية ناقلتي بترول المانيتين في مياه طبرق. ولم يعد امامه إلّا التراجع نحو طرابلس الغرب .

وما انقضى على معركة العلمين اسبوع حتى كانت قوات الجنرال ايزنهاور تنزل في المغرب (الدار البيضاء) والجزائر (الجزائر العاصمة ووهران) فتنتزعها من حكومة ڤيشي ، ثم تزحف نحو الشرق لتطويق قوات رومل والايطاليين . فرد الالمانيون على ذلك باحتلال جنوب فرنسا ، ولدى وصولهم الى الساحل دمر البحارة الفرنسيون قطع اسطولهم الراسية في ميناء طولون لئلا يستفيد منها النازيون (٢٧ ت ٢) (وقوامها حاملة طائرات ، بارجتان ، ٨ طرادات ، ٢٩ مدمرة ، ١٢ غواصة) . وأُنزلت قوات المانية ايطالية في تونس لمقاومة الجبهة الافريقية الجديدة ومنعها من السيطرة على المتوسط ثم الانتقال الى اوروبا . ولما تأزم الموقف طار رومل الى المانيا ليقنع هتلر بالتخلّي عن الجبهة التونسية فرفض وفرض عليه البقاء في المانيا . وما زال الجنرال ايزنهاور يتقدم حتى انهارت امامه المقاومة الالمانية الايطالية (١٣ ايار ١٩٤٣) وانتهت معها الجبهة الافريقية. وبات ممكنًا الهجوم على صقلية وجنوب ايطاليا.

٢ – على الجبهة الايطالية

ونشبت في ايطاليا ازمة داخلية ، فأفاد الحلفاء من البلبلة ونزلوا في صقلية (١٠ تموز ١٩٤٣) . وبعد اسبوعين انهار حكم الدوتشي (٢٥ تموز ١٩٤٣)

المانيا
اراضي تحت الادارة الالمانية
اراضي احتلتها قوات المحور
ايطاليا ومناطقها
البلدان التابعة للمحور
المملكة المتحدة
فرنسا المحتلة
فيشي
اسبانيا
البرتغال
سويسرا
المجر
كرواتيا
رومانيا
بلغاريا
البانيا
اوكرانيا
تولا
موسكو
ستالينغراد
البحر الاسود
البحر المتوسط
ليبيا



طرابلس الغرب
درنه
بنغازي
طبرق
السلوم
الإسكندرية
اجدابية
برقة
العقيلة
القاهرة
ليبيا
مصر

عندما اجتمع المجلس الفاشستي الاعلى لاول مرة منذ بداية الحرب ، وعارض تسعة عشر عضواً موسوليني ووالاه سبعة اعضاء فقط ، فسقط حكمه . وكلف الملك ڤيكتور عمانوئيل الثالث الجنرال بادوغليو (Badoglio) ، بطل الحملة على الحبشة ، تأليف الوزارة . فاعتقل موسوليني وارسل يفاوض الحلفاء وقبل بشروطهم ، اي الاستسلام دون قيد او شرط وتسليم سلاحه الجوي واسطوله البحري .

وهكذا تحول قسم من الايطاليين عن مقاومة الحلفاء الى موالاتهم ، فيما قبض الالمانيون على زمام الامور في سائر المناطق الايطالية ، وخاصة في العاصمة روما . ففر بادوغليو وحكومته لاجئين الى الحلفاء . وبعد فترة اكتشف الالمانيون مكان سجن موسوليني (مرتفعات غران ساسّو) فحرروه ونقلوه الى برلين ثم اعادوه الى شمال ايطاليا حيث الف حكومة موالية لهم .

واستمر الحلفاء في زحفهم الوئيد الى روما ، وتشبّث الالمانيون بمرتفعات الاپنين ليعيقوا تقدمهم . وبعد معارك قاسية عند جبل كاسّينو ، انفتحت طريق روما امام الحلفاء (٤ حزيران ١٩٤٤) ، ومنها واصلوا سيرهم نحو سهل البو .

٣ً – على الجبهة الفرنسية

في اجتماع طهران (ت ٢ ١٩٤٣) وعد روزڤلت وتشرشل حليفهما ستالين بفتح جبهة غربية بحلول الربيع المقبل . وبالفعل بدأت عملية اوڤرلاند بقيادة ايزنهاور ومساعده مونتغمري في ٦ حزيران ١٩٤٤ . وانزلت سفن الحلفاء (٥ آلاف سفينة) تحت مظلة كثيفة من الطائرات (٨ آلاف طائرة) الجنود والاعتدة على الشاطئ النورماندي في فرنسا . ورغم ما ابداه الالمانيون من عناد في المقاومة اضطروا للتراجع فيما كان مظليو الحلفاء يهبطون لمهاجمة مؤخرتهم « والانصار » يعرقلون تراجعهم بمهاجمة مواصلاتهم . وما فتئ الحلفاء يتقدمون حتى احتلوا كل الغرب الفرنسي (منطقة بريطانيا) وتوجهوا نحو العاصمة باريس . فحمّل هتلر قائد الجيش الالماني في غرب فرنسا راونشتد ومساعده رومل مسؤولية هذه الهزيمة وعزلهما . (اذاك حاول بعض القادة الالمان اغتيال هتلر ، فرد عليهم بانتقام رهيب اودى بخمسة آلاف بينهم رومل الذي فرض عليه الانتحار) . (انظر ص ١٣١ و ١٣٣).

نهاية موسوليني

توجه موسوليني في ٢٥ نيسان ١٩٤٥ الى ميلانو ليفاوض « لجنة التحرير » حول مصير الفاشيين فيما كانت الجيوش الاميركية تتقدم نحو ميلانو ، وباتت على ستين كيلومترًا منها فقط . فعرض رئيس حامية المدينة الجنرال الالماني فاينينغ ان يحوّل ميلانو الى ستالينغراد ثانية ، فرفض الدوتشي . ولدن بدء المفاوضات اكتشف ان الالمان قد تخلوا عنه وحاول الهرب . ورافقه وزراؤه وانضمت اليه عشيقته « كلارا بيتاتشي » . وانضم موكبه الى موكب شاحنات المانية منسحبة من ايطاليا . ولما اعترض الموكب كمين من « الانصار » أُعطي الدوتشي خوذة ومعطفًا المانيًا وركب شاحنة المانية للتمويه ، فكان ان سمح للشاحنات الالمانية بالعبور دون السيارات الايطالية ، وادعى « مرسيلـو بيتاتشي » شقيق كلارا بانه سفير اسپانيا فاذن له بالمرور ومعه كلارا . وامام كمين ثانٍ كان على علم بان الشاحنات الالمانية تحمل الدوتشي ، وقد أقر بذلك احد وزراء الدوتشي بعد ان غادر الموكب لدن توقفه الطويل واستسلم معلنًا : « ان الدوتشي برفقتنا ! » . فنقل اثناء الليل الى قريـة « أزانو » بعد ان انضمت اليه « كلارا بيتاتشي » اثر تعرف بعضهم عليها وانفضاح امر سيارة اخيها التي تحمل علم اسپانيا . والنص التالي يصف عملية اغتياله .

« كان صباح ٢٧ مشرقًا . نهض موسوليني وكلارا من النوم متأخرين . افطرت كلارا ، وحاول هو ان يبتلع كسرة خبز فلم يفلح . ثم عادت هي الى النوم ، شادة بدثارها حتى ذقنها ، وجلس هو على افريز النافذة يتأمل الجبال .

دخل القاتل في تمام الرابعة بعد الظهر . إنه محاسب ، يدعى « ولتر اوديزيو » ، وقد انتحل في المقاومة اسم « الكولونيل فاليريو » . يخطئ من يقول انه قد حصل على تفويض من « لجنة التحرير القومي » . والحقيقة ان التفويض الوحيد الذي حصل عليه قـد اعطاه اياه « بالميرو تولياتي » (رئيس الحزب الشيوعي الايطالي) ، وذلك باسم الحزب الشيوعي . تردّد الكونت « بلّيني » والبارون « سردانيا » في اطلاعه على موضع اعتقال السجين ، فاعلن لهما انه قد أمر باعادة « موسوليني » الى « ميلانو » ، ولم يضف انه كان عليه ان يعيده ميتًا .

قال وهو يلج الغرفة : « هيا اسرعا . انا آتٍ لانقاذكما . »

اصعد « فاليريو » « بينيتو » و « كلارا » في سيارته ورقي احد اجنحتها ، وكذلك فعل الرفقاء الثلاثة الذين كانوا معه . كان السائق « جيمّينازا » يرى الزوج في مرآته ، « كان هو شاحبًا وكانت هي هادئة لا يظهر عليها الخوف اطلاقًا » . واتجهت السيارة نحو القرية ، فما لبث « فاليريو » ان اوقفها امام دارة يتقدمها رتاج ، وامر الراكبين بالنزول ، وتظهر في روايات بعض الشهود خلافات طفيفة تتناول الظروف الدقيقة التي نفّذ فيها القاتل جريمته المزدوجة . ويبدو ان « كلارا بيتاتشي » قد حمت « موسوليني » بجسمها وهي تصيح : « لا ! لا يحق لكم ان تقتلوه هكذا ! » .

وفي « دونغو » اعدم ١٥ فاشيًا منهم « باڤوليني » و « مرسيلو بيتاتشي » و « يهوذا بومباتشي » . ثم امر « فاليريو » بتحميلهم في شاحنة ، مع جثتي « كلارا » و « بنيتو » ، وعاد بهم الى « ميلانو » حيث افرغهم مـع جثث اخرى لم تعرف هوية بعضها ، في ساحة « بيازالي لوريتو » ، غير بعيد من المحطة المركزية ، ولما اوقف « ستاراتشي » امين سر الحزب الفاشي العام سابقًا ، في المدينة ، سيق الى كومة الجثث ، وقتل امامها بعدما اوسع ضربًا . فانفجرت اذاك غرائز الجماهير ، فأُوسع « موسوليني » الميت ضربًا ، وشُوِّه ، ومزّق بالرصاص ، وشنق من رجليه . »

ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية الجزء الثاني – ص ٣٣٥
ترجمة سماحة ومسعود

وفي منتصف آب ، نزلت قوات اميركية في الجنوب الفرنسي على المتوسط بين طولون ونيس . وتقدمت عبر جبال الالپ ووادي الرون تساندها المقاومة الداخلية . وثارت باريس في ٢٢ آب ، واحتدمت ثورتها عندما وصلتها نجدات مدرعة (بقيادة ليكليرك (Leclerc) زاحفة اليها من النورماندي ، فتم تحريرها في ٢٥ آب . وبحلول ايلول كانت الجيوش الاميركية تطأ منطقة الراين وتستولي على ستراسبورغ ، والجيوش البريطانية تطأ الاراضي البلجيكية وتستولي على بروكسيل (٣ ايلول) . وحار هتلر في امره وبدّل القيادة مرتين الى ان اعاد راونشتد اليها .

واعاد الالمانيون رص صفوفهم لصد الهجوم عند الاردين ، فاعوزهم الوقود والذخيرة (ت ٢ ١٩٤٤) . فانكفأوا على اعقابهم وخسروا « معركة المانيا » . وما فتئوا يتراجعون امام الاميركيين حتى نهر ايلب (Elbe) (آذار ١٩٤٥) وهو المكان المتفق عليه لالتقاء الجيوش الاميركية بالجيوش السوفياتية .

٤ – على الجبهة الروسية

وفي حزيران ١٩٤٢ ايضاً ، انتعشت الجبهة الروسية بعد ركود الشتاء . واستطاع الالمانيون ان يشقوا طريقهم بصعوبة نحو الڤولغا وسباستوپول على البحر الاسود . ومنها توجهوا نحو ستالينغراد (حاليًا ڤولغوغراد) وحاصروها تؤازرهم كتائب من المجريين والايطاليين والرومانيين . فسقط في ايديهم الجزء الاكبر من المدينة دون ان يحتلوها باكملها . واستمات الروس في الدفاع عن مدينتهم ، وحيال نقص المؤن والذخائر فكر القائد الالماني (ڤون پولس) بالتخلّي عنها فصدّه عن عزمه عناد هتلر . وبعد معارك ضارية ، معظمها بالسلاح الابيض ، دامت ثلاثة اشهر تراجع الالمانيون مرغمين (٢ شباط ١٩٤٣) .

ولما حاول النازيون استرجاع ما فقدوا فاجأهم السوڤيات بقصف مركز (عشرة آلاف مدفع) تلاه هجوم مدرع (١٢ الف دبابة) شامل خرق الصفوف وتدفقت عبره الجيوش السوڤياتية مما ادى الى تراجع الالمانيين على كل الجبهات الروسية . فتخلوا عن مناطق البلطيق وفنلندا (نيسان ١٩٤٤) . وفي رومانيا انقلب الملك ميشال على المانيا وامر باعتقال رئيس وزرائه وقدم كل عون للسوڤيات . ومثل الرومانيين فعل البلغار فتعاونوا مع تيتو وتعقّبوا الفرق الالمانية المدحورة في البلقان . وفي المجر انقلب قائد قواتها على النازيين . وثار

نهاية فيشي

كانت فيشي تقع على حدود منطقة «أوفرن» للمقاومة السرية ، فخشيت السلطة المحتلّة انقضاض رجال المقاومة عليها واختطاف المارشال « بيتان » . ولذا نقل العجوز في ٧ ايّار ، في موكب الماني ضخم ، الى قصر « فوازان » بالقرب من « رانبو لي » . وما انقضى اسبوعان حتى غيّر الالمان رأيهم فقرروا ، متذرعين بنزول وشيك شمالي « فرنسا » ، ان يعيدوا من لا يزال يدعى رئيس الدولة الفرنسية الى عاصمته ، مدينة المياه المعدنية . فأصر « بيتان » على ان يعود عن طريق « نانسي » ، « ديجون » ، « ليون » ، « سانت – اتيان » ، حيث استقبل بالهتاف والتصفيق كما استقبل في الشهر الفائت لدى زيارة قام بها الى « باريس » و « رووان » ، مما زاده اعتقادًا بانه ما انفكّ يجسّد الشرعية محتفظًا بمحبة الشعب الفرنسي ، وشجعه على توجيه رسالة الى « ديغول » يعرض فيها عليه ان يقاسمه السلطة خلال بضعة اشهر ، حتى اذا الحكم لينهي ايامه في خلوة هادئة . غير ان هذا الأثر الساذج لم يلقَ اي جواب قط .

وفي ٨ آب غادر « لافال » (رئيس الحكومة) « فيشي » خفية ، وفي ١٢ انتقل من « باريس » الى « نانسي » حيث كان « ادوار هريو » رئيس مجلس النواب ، قد تظاهر بمسّ من الجنون لطيف ، وفّر له سبيل اللجوء الى مستشفى الامراض العقلية؛ فاذا بلقاء السياسيَّيْن العريقَيْن يتم بالدموع . كانت خطة « لافال » تقضي بدعوة مجلس ١٩٤٠ الوطني كيما يستقبل به الحلفاء ويفاوض « ديغول » . وعلى غرار « بيتان » ، كان ينوي الانسحاب ، او الهجرة اذا لزم الامر ، بعد ان يثبت اركان الشرعية الجمهورية . غير انه ، على نقيض المارشال ، ما كان يفكر إلا بالاعتزال المؤقت .

اخفقت المحاولة اخفاقًا ذريعًا . فابدى « هيريو » ، وقد اعيد الى باريس ، الكثير من التحفظ والتخوّف ، بعد النشوة العاطفية التي اثارها خلاص «فرنسا» . فعمد الهتلريون ، وليس ما يدعوهم الى اعداد مستقبل «فرنسا» ، الى توقيف رئيس المجلس ، واعادوه الى الاسر في ضواحي « برلين » . ثم ارغموا « لافال » على نقل حكومته الى « بلفور » ، فرفض « لافال » معلنًا انه سينتظر الحلفاء في فندق « ماتينيون » ، فاتى الرد عليه بالقــوة والاكراه ؛ وفي الساعة ٢٣ من ١٧ آب مضت به قافلة من الغستابو باتجاه الشرق . فقال وهو يستقل السيارة : « ما انا غير اسير ... »

وبعد ثلاثة ايام اتى دور « بيتان » . ففي الساعة السابعة من يوم ٢٠ آب حطم جندي الماني باب غرفة نومه بقضيب من حديد . كان رجال الحرس في مدخل فندق « بارك » مزودين برشاشات محشوة ، وبصناديق من القنابل اليدوية مفتوحة ، ولكن « بيتان » منعهم من اللجوء الى مقاومة ميؤوسة ؛ فخرج منتصب القامة ، شاحب اللون ، بحضور السفير البابوي، والوزير السويسري المفوض، اللذين كان قد استدعاهما ليسلّمهما احتجاجًا على عملية الخطف التي يتعرض لها . وحين تحرك رتل السيارات الالمانية الذاهبة بالمارشال « فيليب بيتان » وقرينته ، تحت رذاذ اغبر ، انشدت جماعة صغيرة من المخلصين نشيد « المارسلياز » . أما عهد فيشي العاصمة فقد انقضى .

ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية الجزء الثاني، ص ٢٤١
ترجمة **سماحة ومسعود**



معركة الاردين والتراجع الالماني .

البولنديون محاولين التحرر فنزل بهم تنكيل نازي قاس . واخيرًا بدأ الالمان ينسحبون من اليونان متقهقرين امام القوات البريطانية اليونانية . واذا بهتلر مهدد في عقر داره .

نهاية الحرب في اوروبا

وباتت المانيا مهددة في صميمها ؛ فالغارات الحليفة المتواصلة تدمر مراكز الصناعات وعقد المواصلات والمدن الآهلة . والذخيرة تنقص ، والمؤن تختفي ، والجيش يلتزم موقف الدفاع بعد ان كانت كل خططه هجومية . والطيران الالماني شبه مشلول ، عاجز عن حماية اجوائه بعد ان تناوب البريطانيون على قصف المانيا ليلًا والاميركيون على قصفها نهارًا . وانتاج الطائرات في الولايات المتحدة ضخم يسد حاجة الحلفاء الى المقاتلات والقاذفات . فلم يُجْدِ حيال هذه الامور ردُّ الالمانيين باطلاق قنابلهم الصاروخية على لندن (V¹ و V²) .

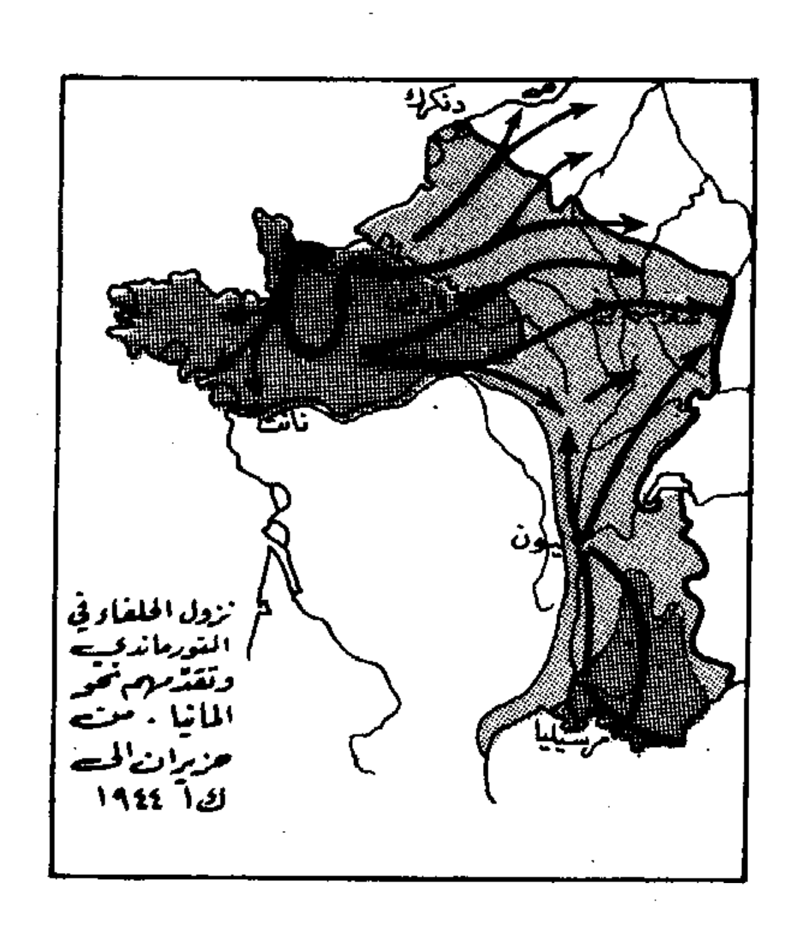
١ً – سقوط برلين

وترقب القادة الالمان قرب النهاية ، وعبثًا حاولوا اقناع الفوهرر بطلب الهدنة فأصمّ اذنيه وواصل الحرب . واستمر الجيش الاحمر في زحفه ، فاحتل ڤرسوڤيا (١٧ ك ٢ ١٩٤٥) وما تبقى من المجر (١٣ شباط) وبوهيميا ثم النمسا (١٣ نيسان) . وحاصر المارشال جوكوڤ برلين بمصفحاته ، فيما كانت مدافعه (٢٤ الف مدفع) تمطرها بالقنابل . اذاك فقد هتلر الامل فانتحر (٣٠ نيسان ١٩٤٥) بعد ان عيّن الاميرال دونيتز خليفة له . وسقطت برلين في ٢ ايار ١٩٤٥ بعد معارك داخلية عنيفة . (انظر ص ١٣٦).

٢ً – الجبهات الأخرى

منذ ٢٦ نيسان كانت الجيوش الاميركية قد وصلت الى نهر الايلب ، فاقامت تنتظر وصول الجيوش السوڤياتية (عملًا بالاتفاق المعقود بينهما) . وحرر البريطانيون هولندا وسيطروا على الشواطئ الالمانية . وعبر الفرنسيون والاميركيون الراين وطوقوا خط سيغفريد (٤ ايار ١٩٤٥) . اما في ايطاليا فقد انهارت المقاومة الالمانية في نهاية آذار ، واستسلم قادتها نهائيًا مع سقوط برلين . وكانت نهاية موسوليني ان قبض عليه في بلدة دانجو على بحيرة كومو فحوكم شكليًا واعدم رميًا بالرصاص (٨ نيسان) ثم علق مع بعض رفاقه في ميلانو . (انظر ص ١٢٩).

النزول في النورماندي.



نزول الحلفاء في النورماندي وتقدمهم نحو المانيا . من حزيران الى ك ١ ١٩٤٤

٣ – الاستسلام الألماني

وتأكد دونيتز من الفشل على مختلف الجبهات ، فطلب الهدنة ووقعها في مدينة ريمس الفرنسية حيث مركز الجنرال ايزنهاور بحضور قادة الحلفاء ما عدا السوفيات (٧ ايار ١٩٤٥) . وفي اليوم التالي استسلمت الجبهة الالمانية الشرقية للمارشال جوكوف في برلين دون شروط . وانتهت بذلك الحرب في اوروبا ، إلا انها بقيت مستعرة في الشرق الاقصى .

الحرب في المحيط الهادي

أ – المد الياباني

بعد بيرل هاربور وسنغافورة ، استتب الامر لليابان في شرق الصين ، والهند الصينية ، واندونيسيا وما جاورها من الجزر . فاقامت القواعد في هونغ كونغ والسيام (تايلاند) وماليزيا وجاوه وبورما وكمبوديا والفيليبين وسنغافوره . وباتت استراليا وزيلندا الجديدة مهددتين بدورهما . وانقضى عام تقريباً قبل ان تستطيع الولايات المتحدة انتزاع المبادرة . وكان لها في استراليا وزيلندا (وجنوب افريقيا ايضاً) حلفاء اكيدون جمعهم الخوف من اتساع النفوذ الياباني في المحيط الهادي . (انظر الخريطة ص ١٣٨).

٢ – الانتصارات الأميركية

في اواخر سنة ١٩٤٢ خاضت البحرية الاميركية معركة ضد اليابانيين في جزر سليمان (شرقي غينيا الجديدة او إريان) ، استرجعت إثرها غوادالكانال والارخبيل المجاور لها (٢٣ شباط ١٩٤٣) . وفي السنة التالية استعادت جزر جيلبرت ومارشال (مطلع ١٩٤٤) . وبعد معركة بحر المرجان (بحر الكورال) استردت غينيا الجديدة (اريان في جنوب شرق الفيليبين) . ولما حاول اليابانيون ان يثأروا بمهاجمة جزيرة ميدواي (قرب جزر هاواي) منوا بهزيمة قاسية . وبعدها بات بامكان الاميركيين ان ينتقلوا بسهولة من جزيرة الى اخرى في طريقهم الى اليابان . وكانت اعنف معاركهم مع اليابانيين لدى احتلالهم جزيرة ايوجيما .

وثمة امران عجّلا في هزيمة اليابانيين : اولهما انتزاع الفيليبين منهم بقيادة ماك ارثر (تموز ١٩٤٥) ، وثانيهما تهديد اليابان مباشرة بعد استيلاء الاميركيين على جزيرة اوكيناوا (بين فورموزا واليابان) فاضحت طوكيو على مرمى من قاذفات القنابل الاميركية . وردّ اليابانيون في ساعة يأسهم بتوجيه طائرات انتحارية (كاميكاز) اعاقت تقدم الاسطول الاميركي دون ان توقف زحفه .

ومن ناحية اخرى ، ادّى تضعضع الالمانيين في اوروبا الى انصباب جهود الحلفاء على المحيط الهادي . فهاجم البريطانيون بورما واعادوا اتصالهم بالصين عن طريق ممر ليدو (Ledo) ، فتزعزعت الجبهة اليابانية برًا .

٣ – استسلام اليابان

ولمّا لم تستجب اليابان لانذار اميركي بريطاني صيني ، وقبل ان يعلن ستالين الحرب ضد اليابان (وكان قد تعهد باعلانها في مؤتمر پوتسدام في ٢ آب ١٩٤٥) طمعًا بامتيازات في الشرق الاقصى ، امر الرئيس الاميركي ترومان بالقاء اول قنبلة ذرية على هيروشيما (٦ آب ١٩٤٥) . فذهب ضحيتها ١٦٠ الفًا بين قتيل ومفقود وجريح . وبعد ثلاثة ايام القيت قنبلة ثانية على ناغازاكي . وفي غمرة هذا الحدث اعلن الاتحاد السوفياتي الحرب على اليابان (٨ آب) ودخلت قواته الى منشوريا قبل ان تجبر القنبلة الذرية الثانية الامبراطور الياباني على طلب الهدنة في ١٤ آب ١٩٤٥ .

وفي الثاني من ايلول ١٩٤٥ استسلمت اليابان رسميًا ، وانتهت الحرب العالمية الثانية بعد ان اودت باربعين مليون قتيلًا وادت الى دمار لا يحصى مداه .



الدبابات الروسية في برلين.

نهاية هتلر

« من المحتمل ان يكون قد احتفل بزواج « ايڤا براون » و « هتلر » ، في الساعة الاولى من نهار ٢٩ نيسان . كان الشاهدان هما « غوبلز » و « بورمان » . واما الحاضرون القلائل ، وهم نحو عشرة رجال ، وثلاث نساء او اربع ، من بينهم طباخة « هتلر » النباتية « مانزيالي » ، فقد مروا امام الزوجين الجديدين واحدًا واحدًا . وبعد ذلك انصرف الزوجان لتناول فطور العرس ، ثم غادر هتلر زوجه الشابة واختلى بسكرتيرته السيدة « يونغي » في الزنزانة التي كانت مكتبًا لعمله ؛ فاملى عليها وصية مزدوجة ، الوصية السياسية والوصية الخاصة .

كانت الوصية السياسية مرافعة ولعنة . فقد رفع « هتلر » عن نفسه تهمة الرغبة في الحرب ، وجعل الضباط الجبناء الخونة مسؤولين عن موته . وشتم « غورنغ » و « هملر » ؛ وعيّن الاميرال « دونيتز » خلفًا له وهيّأ لكل منصب من مناصب الدولة الرئيسية رجله : « غوبلز » مستشارًا ؛ « سايس – انكارت » وزيرًا للخارجية ؛ « بورمان » رئيسًا للحزب القومي–الاشتراكي ؛ «شورنر» رئيسًا اعلى للجيش الالماني ، الخ . مبعدًا بذلك « ريبنتروب » و « شبير » و « كيتل » . وقد ختم وصيته بصيحة حقد : « يجب على الجيش الالماني ان يحافظ باقصى الشدة على القوانين العنصرية ، وان يلاحق من غير رأفة اليهود ، مسممي الأمة كافة » .

وفي وصيته الخاصة اوصى بممتلكاته الشخصية كلها « للحزب وللدولة ، اذا لم يبق للحزب وجود ، وأما اذا دمرت الدولة هي الاخرى ، فلا فائدة من ان أضيف نصًا آخر » . وطلب ان توقف التحف الفنية التي جمعها لانشاء متحف في مدينة « لينتز » مسقط رأسه . وقدم تبريرًا لزواجه : فبعد انقضاء سنوات طويلة من العاطفة الصادقة ،



كيتل قائد الجيوش الالمانية يوقع وثيقة الاستسلام.

قررت « ايڤا براون » بمحض ارادتها مشاطرته حياته حتى آخر المطاف ، ولذا فقد اراد ان يجرها معه في رحيله الاكبر بعد ان تصبح زوجًا له . « لقد قررت انا وزوجي ان نموت لتجنب عار الاسر . إننا نرغب في ان تحرق جثتانا في الموضع نفسه الذي بذلت فيه خلال اثني عشر عامًا اكبر قسط من كدّي في خدمة شعبي » .

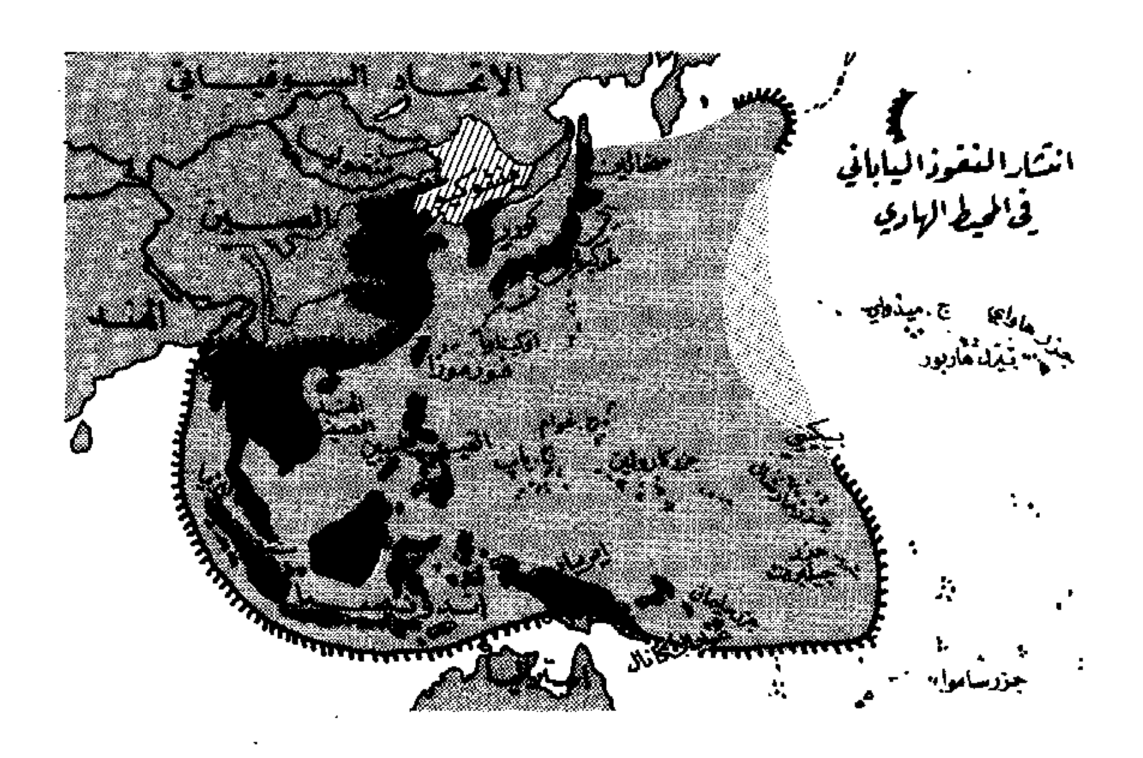
وفي اليوم التالي كان الدفاع الالماني عن برلين يتلاشى تدريجيًا امام هجمات الروس.

« وفوق قبة المجلس النيابي المتهدم وقف الرقيبان الروسيان «جيغوروف» و «كانتاريجا» ينشران العلم الاحمر خفاقًا . كانت الساعة ١٤,٢٥ » .

لقد تناول الفوهرر فطوره ثانية . كان جالسًا الى المائدة ، في ممر الملجإ الداخلي (تحت المستشارية) ، في الوقت الذي راح فيه سائقه « إريك كمبكا » واربعة جنود ينقلون ١٨٠ ليترًا من الوقود التي سوف تستخدم لاحراق جثته وجثة « ايفا » . ولحق هتلر بزوجه الشابة في الزنزانة حيث كانت قد بقيت اثناء الطعام ، ثم عاد فخرج برفقتها ، فمر معها من امام « غوبلز » و «بورمان» وبعض المرؤوسين والسكرتيرات . ولم يجر في تلك اللحظة اي حديث ، بل تصافح صامت بالايدي ليس إلا . وفي تلك اللحظة لم يبق الروس إلا على بعد مئة متر من الملجأ المصفح .

دخل «ادولف» و «ايڤا» الى مقصورتهما . وانطلق عيار ناري . لقد اطلق « هتلر » رصاصة مسدسه في فمه . وماتت السيدة « هتلر » موتًا صامتًا بتناولها السم من غلاف . انها الساعة ١٥,٣٠ من يوم ٣٠ نيسان . »

ريمون كارتييه
الحرب العالمية الثانية
الجزء الثاني ، ص ٣٣٦ و٣٣٩ و ٣٤١
ترجمة سماحة ومسعود

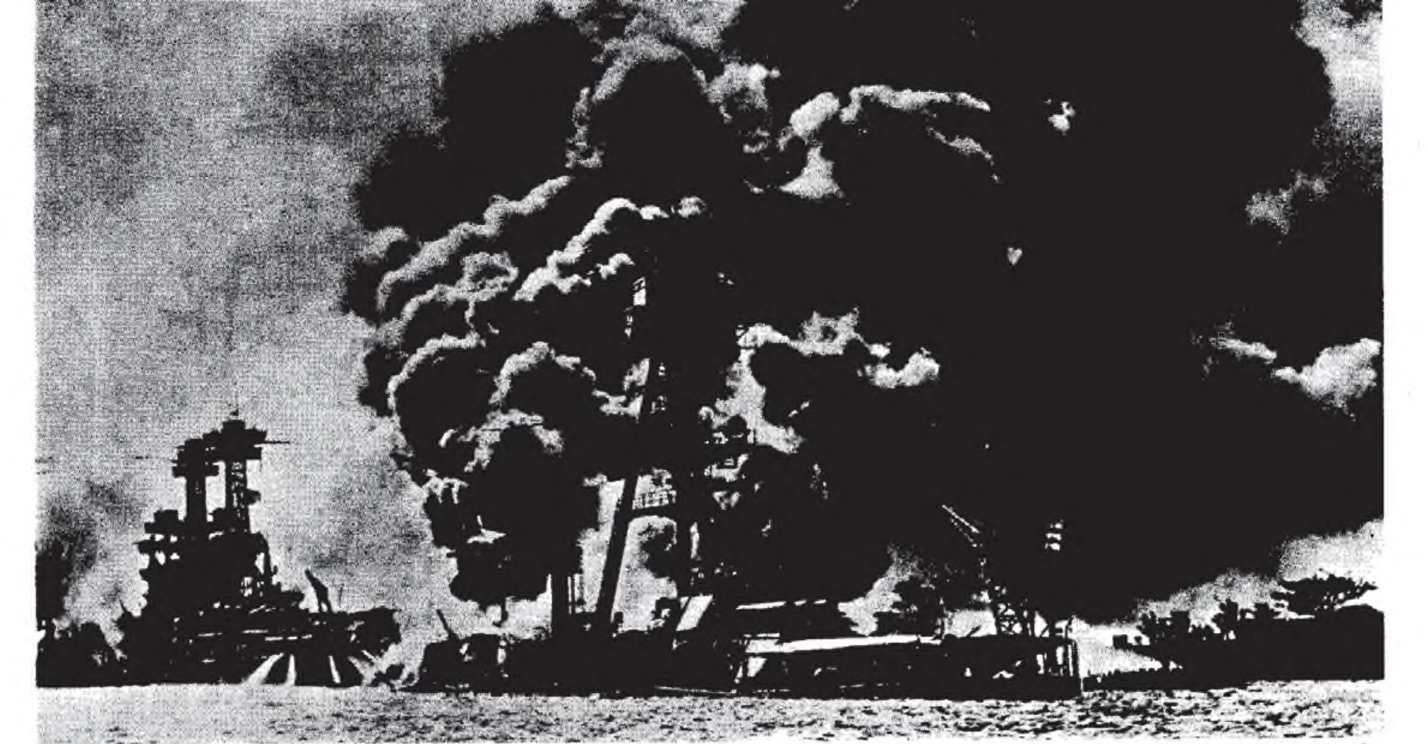


التقديرات اليابانية لدخول الحرب

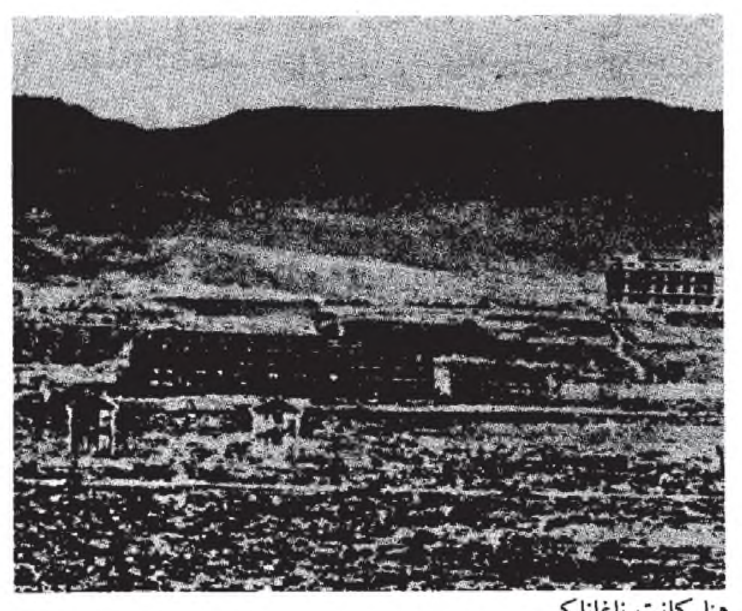
كانت المفاوضات مع « اليابان » مستمرة بجهد وعناء. وكان الامبراطور يرغب في انقاذ السلم ، فتدخّل غير مرة لفرض اللجوء الى الوسائل الدبلوماسية قبل اللجوء الى السلاح. وكان الامير «كونوي» ، والسفير « نومورا » ، وكثيرون من رجال الدولة ، وبعض الاميرالات ، وقلة ضئيلة من الجنرالات ، يشاطرون الامبراطور هذه الرغبة ؛ فباستثناء فئة قليلة من المتعصبين ، كان الجميع يقدرون القوة الاميركية حق قدرها ، وينظرون بخشية الى احتمال وقوع حرب بينهم وبين عملاق ما وراء الاطلسي ؛ ولكن اليابان كانت تختنق. لقد تورطت في الحرب الصينية ، فهل يمكنها ان تتخلّى عن الاراضي التي احتلّتها وتعود الى مبدإ الباب المُشرَع ، وان تتخلّى عن مجال توسعها الذي دفعت ثمنه غاليًا؟ لقد اختارت « اليابان » الجنوب الشرقي الاسيوي سعيًا وراء الموارد الغنية في « الهند الصينية » و « اندونيسيا » ، فهل يجدر بها ان تفجع بفقدان هذه المغانم ، وان ترضى بالبقاء عيالًا على غيرها في هذه المواد التي لا غنى لصناعتها عنها؟ هذا ما كانت اميركا تطلبه منها ، فكانت بالتالي تخنقها ؛ لقد خلق هذا الحَجْر المفروض على المحروقات وضعًا مميتًا ، وخزنت اليابان من الوقود ما يكفي لتغذية العمليات الحربية مدة سنة واحدة ؛ فان استهلكت هذا الاحتياط الذي لا يُعوّض امست بلا مازوت لسفنها ولا وقود لطائراتها. واذا كان لا مفر من الحرب فلتكن الحرب حالًا ، لأن في التريث ندامة.

.... في ٧ تشرين الاول طلب الجنرال « توجو » ، وزير الحربية مقابلة (رئيس الوزارة الامير كونوي) ؛ وقد قدم « توجو » خلال المقابلة انذار الجيش الاخير: لا يرضى الجيش ان يؤتى في المفاوضات مع « الولايات المتحدة » على ذكر اخلاء الصين. وفهم « كونوي » القصد ، فاستقال لغير رجعة. ولم يكن رئيس الوزارة الجديد غير « توجو » نفسه ، فتم بذلك اجتياز الخط الفاصل بين الحرب والسلم.

كان الهجوم على « بيرل هاربور » قيد التحضير منذ عشرة اشهر ، بمعزل عن التقلّبات السياسية. أما المحرك الاول لهذه الفكرة فهو القائد الاعلى للاساطيل اليابانية ، الاميرال « إيسوروكو ياماموتو » ؛ فقد كان عالمًا بقوة « اميركا » ، وكان يفضل ألا تقع حرب المحيط الهادئ. اما في حال تحتم هذه الحرب ، فقد كان من اللائق ان تجري


بيرل هاربور.


ترومان


هنا كانت ناغازاكي.

لصالح « اليابان » بافضل الطرق الممكنة. لذلك كان يجدر « باليابان » ألا تتباطأ في العمل، وان تأخذ بعين الاعتبار ضآلة مواردها، وان تستولي بسرعة فائقة على الغنائم الثمينة التي تطمح اليها: « هونغ كونغ »، و « ماليزيا » و « سنغافورة »، و « سومطرا » و « بورنيو »، وخاصة « جاوا » التي تعتبر ثروة الجنوب الشرقي من « آسيا ». فهل كان تحقيق هذا الامر ممكنًا؟ أجل. لقد ارهقت حرب « الصين » قوى الامة اليابانية، والقوات البرية المتوافرة كانت محدودة العدد، ولكن، من جهة اخرى، كانت القوات الانكليزية والاميركية والهولندية في جنوبي شرقي « آسيا » غير كافية، عادية من حيث النوعية، متشتتة، فيما كانت السيادة البحرية تبيح للعدوان الياباني اشباه الجزر والارخبيلات جميعها. كانت البحرية اليابانية احدث بحرية في العالم؛ كانت تضم عشر بوارج، وعشر حاملات للطائرات، وخمسة وثلاثين طرادًا، واربعًا وستين غواصة، فضلًا عن سفينتي القتال الجبارتين « ياماتو » و « موساشي » اللتين كانتا قيد الاكمال ... »

ريمون كارتييه

الحرب العالمية الثانية

الجزء الاول، ص ٢٦٤ و ٢٦٥

ترجمة سماحة ومسعود

١٤ المؤتمرات ومعاهدات الصلح

دور المؤتمرات

عقد الحلفاء خلال الحرب عدة مؤتمرات ، بدأت بالتفاهم حول الشؤون العسكرية ثم استحالت مؤتمرات قمة تنظر في قضايا الحرب والسلم المستقبل معًا . (انظر ص ١٤٧).

١ – التعاون العسكري

في مرحلة التعاون العسكري انعقد مؤتمران في واشنطن ، اقتصر الاول على تشرشل وروزڤلت ، واشترك في الثاني مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوڤياتي . ونجح رئيس الوزراء البريطاني خلال المؤتمر الاول (ك ٢ ١٩٤٢) في اقناع الرئيس الاميركي بتكريس الجهود العسكرية ضد المانيا اولًا لا اليابان . وفي المؤتمر الثاني (حزيران ١٩٤٢) تقرّر تقديم موعد هجوم الحلفاء عبر شواطئ افريقيا الشمالية وتأخير افتتاح الجبهة الغربية الاوروبية ، رغم الحاح مولوتوف وهمه آنذاك تخفيف الضغط عن الجبهة الروسية .

وتغيب ستالين عن مؤتمر الدار البيضاء (كازابلانكا ك ٢ ١٩٤٣) . وتناقش تشرشل وروزڤلت حول تعيين مكان الهجوم الحليف على الجبهة الغربية . فتشرشل يفضل المبادرة بالهجوم من جنوب اوروبا ، وروزڤلت يرى الوقت قد حان لافتتاح جبهة غربية في فرنسا . وانتصرت فكرة روزڤلت ، واجتمع وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوڤياتي في مؤتمر بموسكو (ت ١ ١٩٤٣) للتباحث في تنسيق وتوزيع المهمات العسكرية . ومنذ ذلك الوقت تمكنت اواصر التعاون بين الحلفاء الثلاثة .

٢ – التعاون حول السِلْم

ومهّد التعاون العسكري لتعاون حول السلم ، بالرغم من اختلاف الانظمة بين الاتجاهين الرأسمالي والشيوعي . وفضّل روزڤلت ان تكون المؤتمرات بعد ذاك على مستوى القمة نظرًا لاهمية القضايا التي ستبحث فيها .

مؤتمر طهران (ت ٢ ١٩٤٣)

بعد اتصالات عديدة ومتعثرة حول مكان لقاء الاقطاب ، وافق ستالين على طهران مركزًا للقاء ، وهي آنذاك واقعة تحت النفوذ السوڤياتي . وتباينت

الآراء حول موقف الحلفاء من المانيا بعد الحرب ؛ فستالين ومعه روزفلت يريدان تصفية كاملة لالمانيا ، بينما لزم تشرشل موقفًا معتدلًا واصر على ضرورة معاملة المانيا معاملة لائقة بحلفاء يقاتلون لنصرة الديمقراطية . ولما هدد بالانسحاب اقرّه حليفاه على موقفه . واستقر الرأي اخيرًا على تأليف لجنـــة استشارية مهمتها العناية بشؤون اوروپا وصياغة المبادئ التي يجب ان تعامل المانيا على ضوئها: من محو للنازية واعادة للديمقراطية وتعويضات حرب وتدمير للمؤسسات والمنشآت الحربية. وكذلك وقف تشرشل مؤيدًا لفرنسا كضرورة اوروپية واقنع حليفيه حول ضرورة معاملتها على قدم المساواة.

وفي هذا المؤتمر هيّأ ستالين لسيطرة سوڤياتية على بلدان اوروپا الشرقية والوسطى بعد الحرب . واقرّه روزفلت على عزمه ذاك ، رغم مخاوف تشرشل وتحذيره من سيطرة شيوعية ترث السيطرة النازية على هذه البلدان .

مؤتمر يالطا (١١ – ١٣ شباط ١٩٤٥)

فيما المانيا تعاني مرارة الهزيمة في اوروپا والجيش الاحمر يزحف عبر اوروپا الوسطى ، كانت كل الدلائل تشير بان الحرب ضد اليابان ستطول . فاحسّ روزفلت بضرورة اشراك الاتحاد السوڤياتي في جبهات الشرق الاقصى . ودعا لاجتماع انعقد نزولًا عند الحاح ستالين في يالطا من شبه جزيرة القرم . وفي هذا المؤتمر قبل ستالين بشن الحرب ضد اليابان دون ان يحدّد موعدًا لذلك ، واقرّ له حليفاه بحـق السيطرة في بولندا بحدودها الجديدة على حساب المانيا ، وفي بعض البلقان وفي دول اوروپا الشرقية بعد ان تعاد اليها حدودهـا السابقة ؛ أي قبل ان يضمها هتلر اليه . على ان تقام فيها أنظمة ديمقراطية وحكومات تنبثق عن انتخابات حرة ، واذا لزم الأمر المساعدة في اجراء هذه الانتخابات. وكذلك فاز ستالين بحق الاتحاد السوڤياتي في استرجاع ما كانت روسيا القيصرية قد خسرته في حربها مع اليابان (١٩٠٥) ، أي : جنوبي سخالين وموانئ منشوريا ، وكان ستالين طامعًا بجزر كوريل أيضًا.

اما بشأن المانيا ، فقد تم الاتفاق على ان تحتل القوات الحليفة المانيا وتقسمها الى ثلاث مناطق تأخذ كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوڤياتي منطقة ، وان تجتزأ من الحصتين البريطانية والاميركية منطقة تعطى

لفرنسا . واخيرًا وافق ستالين على دخول بلاده في هيئة الأمم المتحدة كما سنرى عند الكلام على نشأة هذه المنظمة الدولية .

مؤتمر بوتسدام (١٧ تموز – ٢٠ آب ١٩٤٥)

انعقد هذا المؤتمر بعد هزيمة المانيا ونزولًا عند الحاح تشرشل ، لان مهمة الحلفاء العسكرية قد انتهت في اوروبا . وعلى جيوشها الانسحاب الى المناطق المحددة لها بموجب اتفاقيات يالطا ، اما الجيوش الاميركية بصورة خاصة فعليها ان تصب كل جهودها في معارك المحيط الهادي . مما يترك يد ستالين طليقة في اوروبا الوسطى والشرقية .

وهذه المرّة ايضًا فرض ستالين مكان المؤتمر : بوتسدام ، احدى ضواحي برلين وهي آنذاك في يد السوفيات . وحضر مؤتمر بوتسدام ترومان (توفي روزفلت في ١٢ نيسان ١٩٤٥) ، وستالين ، وتشرشل ثم أتلي (Attlee) رئيس الوزارة البريطانية الجديد.

وتقرر مصير المانيا ضمن الاعتبارات التالية : تصفية للنازية ، اعادة للديمقراطية ، نزع للسلاح ، مراقبة للانتاج . واقر المجتمعون كذلك تخويل مجلس وزراء خارجية الدول الحليفة – بما فيها فرنسا والصين – النظر في صيغة المعاهدات التي ستلي الهدنات ، وتعزيز حكم الحلفاء في مناطق الاحتلال الأربع ، وتعيين لجنة مركزها موسكو لتقدير تعويضات الحرب .

غير ان قضية عقد معاهدات الصلح قد بقيت معلقة .

معاهدات الصلح

أنيط بمجلس وزراء خارجية الدول الكبرى اقرار معاهدات الصلح حسب المبادئ المتفق عليها خلال المؤتمرات السابقة . واتخذ المجلس من لندن مقرًا ، وتوزعت اجتماعاته بين اعوام ١٩٤٥ و ١٩٥٤ ، وانعقدت في مختلف العواصم الحليفة : باريس ، نيويورك ، موسكو ، لندن ، وحتى برلين . ولم يتفق اعضاؤه على كل القضايا ، أو قل انهم اختلفوا على كل القضايا . فتأخر ابرام المعاهدات واستمر بعضها معلقًا حتى اليوم ، اي بعد مضي خمسة وعشرين عامًا على انقضاء الحرب . اما الدفعة الاولى من المعاهدات فقد وقعت خلال اجتماعات عقدت في باريس في ١٠ شباط ١٩٤٧ .

١ – الصلح مع ايطاليا

منذ ١٩٤٦ حلت الجمهورية محل الملكية في ايطاليا نتيجة استفتاء شعبي . ومع النظام الجديد عقد الحلفاء معاهدة الصلح في ١٠ شباط ١٩٤٧ .

تخلت ايطاليا للحلفاء عن القسم الاكبر من اسطولها التجاري تعويضاً عما الحقته بهم من خسائر . وتعهدت بتخفيض قواتها البرية والبحرية والجوية . وتنازلت لفرنسا عن امتيازاتها في تونس وعن بعض المناطق التخومية في الالپ .

واستعادت الحبشة استقلالها (وانضمت اليها اريتريا فيما بعد وكونتا معًا دولة فيديرالية) ، كما استعادت اليونان رودس وجزر الديدوكانيز . وتحرر الصومال برعاية منظمة الامم المتحدة . واستقلت ليبيا ، الا ان ملكها ادريس السنوسي ما لبث ان منح الدول الكبرى الثلاث (بريطانيا ، الولايات المتحدة ، فرنسا) امتيازات وقواعد عسكرية مقابل مساعدات مختلفة . (انظر التاريخ المعاصر ص ١٣٨ و ١٣٩) .

٢ – معاهدة الصلح مع رومانيا (شباط ١٩٤٧)

طرأت بعض التعديلات على حدود رومانيا . فتخلت عن بيسارابيا وبيكوفين الشرقية للاتحاد السوفياتي وعن منطقة دوبرودجا لبلغاريا ، واستعادت ترانسلفانيا من المجر .

وخفضت رومانيا قواتها البرية والبحرية والجوية وتعهدت بدفع تعويضات للاتحاد السوفياتي (٣٠٠ مليون دولار تدفع خلال ثماني سنوات ابتداء من ١٩٤٤) . اما الدانوب فيحتفظ بصيغة دولية قابلة للتعديل . وترابط قوات سوفياتية في الاراضي الرومانية .

٣ – معاهدة الصلح مع بلغاريا (١٠ شباط ١٩٤٧)

اتسعت بلغاريا من الشمال على حساب رومانيا . وخضعت للشروط العسكرية والسياسية والاقتصادية المفروضة على رومانيا . وتعهدت بدفع تعويضات لليونان ويوغوسلافيا (٧٠٠ مليون دولار) .

٤ – المعاهدة مع المجر (شباط ١٩٤٧)

استعادت حدودها السابقة مع النمسا ويوغوسلافيا (حدود ١٩٣٨) ، اما الشروط الاخرى من سياسية واقتصادية وعسكرية فهي نفسها المفروضة على رومانيا وبلغاريا ، مع ابقاء قوات سوفياتية على اراضيها (كما في رومانيا) طالما لم يبت بمعاهدة صلح مع النمسا .

٥ – المعاهدة مع فنلندا (شباط ١٩٤٧)

تخلّت عن بعض المناطق للاتحاد السوفياتي ، ومنحته امتيازًا في مناطق اخرى لمدة خمسين سنة . وتعهدت بتخفيض قواتها العسكرية وبدفع تعويض قدره ثلاثماية مليون دولار للاتحاد السوفياتي . ومقابل ذلك تخلّى هذا الاخير عن سلطته على فنلندا بينما احتفظ بها على دول البلطيق (استونيا – ليتوانيا – ليتونيا) .

معاهدات الصلح المتأخّرة

وبقيت قضايا كثيرة معلقة ، تأخر البت بها نتيجة الجو المشحون بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي . ولما بدأ التقارب اثر موت ستالين (١٩٥٣) اخذ خروتشوف مبادرة «التعايش السلمي» مع الغرب ، وكانت اولى نتائج التقارب البت بالمعاهدة المعلقة مع النمسا .

١ – معاهدة الصلح مع النمسا

قسمت النمسا في البدء الى خمس مناطق محتلة تشرف عليها لجنة عليا ، تتمثل فيها دول بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ونظرًا لوضعها الخاص ، اذ هي قد ضمت لالمانيا مرغمة ولا تجوز معاملتها كدولة معادية ، سمح لها باقامة حكومة ائتلافية وقعت الصلح مع الدول الكبرى . فاعتبرت مستقلة (منذ ١٩٥٢) ضمن حدودها السابقة ، غير انه ظلت للاتحاد السوفياتي تحفظات بشأن المعاهدة معها حتى ١٩٥٥ .

وبموجب هذه المعاهدة الموقعة مع الاتحاد السوفياتي والغرب معًا اعتبرت النمسا دولة محايدة ضمن الحدود التي كانت لها في مطلع عام ١٩٣٨ ، اي قبل ضمها الى المانيا على يد هتلر . اما الشروط الباقية فكانت كما يلي :

– تعمد الحكومة النمساوية الى ازالة كل الرواسب النازية ، وتمنع النازيين السابقين من تولي مراكز هامة في السياسة والاقتصاد .

– تتعهد النمسا بالعزوف عن كل خطوة تعيد انضمامها الى المانيا ، او تهيّئ لوحدة اقتصادية معها .

– يقتصر جيش النمسا على ٥٣ الف جندي ، وطيرانها على تسعين طائرة فقط . ويحال دون وصول النازيين القدامى الى رتبة اعلى من رتبة عقيد ، كما حددت انواع الاسلحة الممكن اقتناؤها . وحصل الاتحاد السوفياتي على مقادير من البترول النمساوي (مليون طن سنويًا ولمدة عشر

سنوات)، ووقع مع الحكومة النمساوية معاهدة تجارية مدتها خمس سنوات. وتقاضى تعويضاً عما تخلى عنه من ممتلكات. اما الملاحة في الدانوب فاضحت حرة. وبتوقيعه هذه المعاهدات فقد الاتحاد السوفياتي حق ابقاء قواته في رومانيا والمجر. واستمر الخلاف بين ايطاليا والنمسا حول التيرول.

٢ – المعاهدات مع اليابان

بعد الحرب مباشرة استعادت بريطانيا وفرنسا وهولندا ما انتزعته منها اليابان. ولم يشترك الاتحاد السوفياتي مع الولايات المتحدة في توقيع معاهدة واحدة مع اليابان. فقد رفض ستالين ومعه الديمقراطيات الشعبية (اي الدول الشيوعية في اوروبا الوسطى والشرقية) الاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو لتوقيع المعاهدة (ايلول ١٩٥١). لذلك تأخرت المعاهدة السوفياتية اليابانية الى ما بعد العمل بسياسة «التعايش السلمي».

أ – المعاهدة الاميركية اليابانية: وقد تنازلت اليابان بموجبها للولايات المتحدة الاميركية عن: كوريا، فورموزا، كوريل، سخالين، بسكادورس، وأعطتها الوصاية على ريوكيو. وقبلت اليابان بالتخلي عن مصالحها في الصين، غير ان انتصار الشيوعية هناك على يد ماوتسي تونغ جعل الاميركيين ينظرون الى طوكيو، لا بكين، كحليفة المستقبل. وتبلور هذا التحول في التساهل وفي تخفيف القيود الاميركية على المنشآت الصناعية اليابانية الاحتكارية التي كانت سبباً هاماً في دفع اليابان الى سياسة توسعية استعمارية.

ب – المعاهدة السوفياتية – اليابانية (١٩ ت١ ١٩٥٦). ما ان بدأت سياسة التعايش السلمي، حتى فكر الاتحاد السوفياتي بتقارب ينهي الوضع المعلق منذ ١٩٤٥. وساعد على اقرار المعاهدة أمران: اولهما قبول خروتشيف بدخول اليابان في عضوية هيئة الامم المتحدة، والثاني موافقة الولايات المتحدة على ابقاء وضع جزر كوريل معلقاً بالرغم من احتلال الاتحاد السوفياتي لها (بينما تنازلت اليابان عنها للولايات المتحدة). ونصت المعاهدة في خطوطها العريضة على ما يلي:

– انهاء حالة الحرب، ووضع اسس جديدة لعلاقات تجارية بين البلدين يتبعها صلح نهائي.

– وضع حدود واضحة لمناطق الصيد في البحار الفاصلة بين البلدين.

وضع المانيا اقتطعت كل من الدول الاربع الكبرى قسمًا من المانيا (الولايات المتحدة، بريطانيا ، الاتحاد السوفياتي ، فرنسا) . ونصبت كل دولة حاكمًا عسكريًا تولى جميع القضايا التشريعية والاجرائية والقضائية في المنطقة الخاضعة له . وقسمت برلين على صورة الحدود الفاصلة بين منطقة الاحتلال السوفياتي من جهة ومناطق الاحتلال الاخرى من جهة ثانية .

وحوكم المسؤولون النازيون ، واشهر المحاكمات ما جرى في نورمبرغ (١٩٤٥ — ١٩٤٦) ومثل امامها غورنغ وريبنتروب وسايس انكوارت ... فحكم عليهم بالاعدام ، وبرئ شاخت وفون بابن ...

ومرت فترة احتلال الحلفاء لالمانيا بثلاث مراحل اولاها من ١٩٤٥ — ١٩٤٨ وتخللها خصام مستمر بين السوفيات والغرب حول تنظيم الاوضاع فيها ، وثانيها من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ وفي نهايتها اعلن قيام دولتين : الجمهورية الديمقراطية الالمانية في الشرق ، والمانيا الفدرالية في الغرب . وفي المرحلة الثالثة ، تكرّس الانقسام وتبعت كل دولة المعسكر الذي توالي .

تشيكوسلوفاكيا وبولندا اعيدت تشيكوسلوفاكيا الى سابق عهدها ، ورُحّلت عنها الأقلية الالمانية سبب الازمة الشهيرة . وما انقضى عام حتى كان المد الشيوعي قد انتشر فيها . وفاز الشيوعيون بأكبر نسبة من المقاعد في الانتخابات العامة (١٩٤٦) . واستفادوا من اشتراكهم في الحكومة الائتلافية ليقوم وزير الداخلية التشيكوسلوفاكي بانقلاب من الداخل جعل مقاليد الامور في يد الشيوعيين (شباط ١٩٤٨). اما بولندا فقد سلخت عنها بعض أراضيها الشرقية لتضم الى الاتحاد السوڤياتي ، وعُوّض عليها بمناطق المانية. ومنذ ١٩٤٧ اتجهت الدولة الجديدة نحو اقامة ديمقراطية شعبية تسير في فلك الاتحاد السوڤياتي .

يوغوسلافيا وفي يوغوسلافيا تولى تيتو الحكم بعد خلع الملك بطرس الثاني ، واقام نظامًا شيوعيًا مميزًا اعجز الاتحاد السوڤياتي ان يحكم قبضته عليه . وما لبث ان انسحب من الكومنفورم عام ١٩٤٨ (وهو التنظيم الذي حل محل الكوميترن منذ عام ١٩٤٧ لتوحيد الاتجاهات والنظم الشيوعية). وفشل ستالين في الاطاحة بتيتو ، ودفعه الى الاتكال على مساعدات غربية ، اميركية خاصة ، والى المناورة بين المعسكرين .

بحر الشمال
بحر البلطيق
بروسيا الشرقية
هولنده
بلجيكا
فرنسا
سويسرا
ايطاليا
النمسا
فيينا
ميونيخ
فرنكفورت
بون
بريمن
ألمانيا الشرقية
بولندا
وارسو
براغ
تشيكوسلوفاكيا
نهر الراين
نهر الدانوب
نهر الفستولا

احتلال حليف مشترك
احتلال فرنسي
احتلال بريطاني
احتلال سوفياتي
احتلال اميركي
اراض سلخت عن المانيا



مؤتمر طهران.



مؤتمر الدار البيضاء.



مؤتمر يالطا.

١٥ قيامُ الأمَـم المتحِـدَة

الحاجة الى هيئة دولية

نتيجة ويلات الحرب احس الجميع بالحاجة الى هيئة دولية قادرة، تحل محل عصبة الأمم العاجزة. وكان اول المساعي اجتماع على متن بارجة حربية اسمها بوتوماك راسية في المياه الكندية (١٤ آب ١٩٤١) بين روزفلت وتشرشل. فوقعا «وثيقة الاطلسي»، واتفقا على ضرورة الاعداد لسلم عالمي دائم.

وفي أول يوم من سنة ١٩٤٢ اعربت ست وعشرون دولة سمت نفسها «الامم المتحدة» عن موافقتها على وثيقة الاطلسي. ودعت الى تكافل يحظر على اي منها عقد صلح منفرد. (انظر ص ١٥٩).

وفي مؤتمر موسكو (ت ٢ ١٩٤٣) وافق الاتحاد السوفياتي على الانضمام «لهيئة دولية قائمة على اسس المساواة بين جميع الدول المحبة للسلام» وبهذا اقر ستالين علنا بمبدأ تنظيم «العلاقات الدولية» نافضا عن بلاده طوق الانفرادية التي التزم بها حتى الان. وكان ذلك خطوة مهدت لمؤتمر طهران حيث اجتمع الاقطاب: ستالين وتشرشل وروزفلت (ت ٢ ١٩٤٣) واصدروا تصريحا جاء فيه: «نحن على ثقة بان اتفاقنا سيؤمن لنا سلاما دائما. وعلى عاتقنا وعاتق «الامم المتحدة» تقع مسؤولية اقرار سلم، ترضى عنه اغلبية الشعوب، ويبعد عن العالم آفات الحرب وما توحي به من رعب.»

وما انقضى شهر حتى تألفت لجنة خبراء (٩ ك ١ ١٩٤٣) مهمتها صياغة مشروع «هيئة دولية». هكذا تكون الفكرة قد تبلورت خلال الحرب ولم يعوزها بعد ذاك الا الخطوات التنفيذية.

دور روزفلت

ولا ينكر سعي الرئيس الاميركي روزفلت لتحقيق هذه الفكرة. فمنذ ١٩٢٠ كان يشغل منصب نائب الرئيس، فنادى بضرورة دخول بلاده «عصبة الامم». غير ان الكونغرس الاميركي خيّب ظنه مفضلا الانطوائية على التدخل في شؤون أوروبا. وغابت الولايات المتحدة عمليا عن معترك السياسة الدولية. الا ان فكرة دخول هيئة دولية ظلت تلازم روزفلت فاصر على تحقيقها عندما أصبح رئيسا لبلاده. وتحاشى الانفراد برأيه حتى لا يغيظ حلفاءه. فدعا الى المؤتمرات المختلفة،

واجتمع بزعماء اوروبا في طهران ودومبارتون أوكس ويالتا. غير ان المنية عاجلته قبل ان يشهد ولادة منظمة الامم المتحدة في مؤتمر سان فرنسيسكو.

دومبارتون اوكس

وفي دومبارتون أوكس (واشنطن) انعقد مؤتمر تمثلت فيه دول الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين وبريطانيا العظمى (اواخر ايلول واوائل ت ١ ١٩٤٤). ورسمت فيه الخطوط الكبرى لاجهزة الهيئة الدولية اي: الجمعية العامة، مجلس الامن الدولي، أمانة السر، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي. وكان هذا المؤتمر الخطوة العملية الاولى في تحقيق النظريات والمقررات العامة.

يالطا

وفكر روزفلت باجتماع قمة آخر بعد طهران، يضم الثلاثة الكبار. ولم يكن ستالين قادرا على الابتعاد عن بلاده. فرضي الرئيس الاميركي بان ينعقد المؤتمر في «يالطا» (شبه جزيرة القرم) على البحر الاسود. وساد المباحثات جو من التقارب، وزاد الثقة بين الرجلين الموقف العسكري الصعب وحاجة ستالين الى المساعدة. واستقر رأي الثلاثة الكبار (روزفلت، ستالين، تشرشل) على الدخول في تفاصيل الامور المتفق عليها في دومبارتون أوكس اي: طريقة تمثيل الدول في الجمعية العمومية، وعدم السماح بتدخل هذه الجمعية في الشؤون الخاصة للدول الاعضاء، ثم جعل اعضاء مجلس الامن احد عشر عضوا، خمسة منهم دائمون يتمتعون بحق النقض ويمثلون الدول الكبرى، وستة منتخبون لمدة سنتين يمثلون الدول الاخرى ولا تجوز اعادة انتخابهم بعد انقضاء مدتهم مباشرة. وهذا التمييز بين أعضاء دائمين ومؤقتين اراده ستالين بالذات حتى لا يسلم بمبدأ المساواة التامة بين دول كبرى ودول صغرى. وتم الاتفاق اخيرا على تكوين المجلس الاقتصادي والاجتماعي.

مؤتمر سان فرنسيسكو (١٦ حزيران ١٩٤٥)

ووجهت الدعوة لمؤتمر يعقد في سان فرنسيسكو. وكان الموضوع الاساسي وضع شرعة هيئة الامم المتحدة. وتوجب على كل دولة تود الاشتراك في هذا المؤتمر ان تعلن الحرب على المانيا قبل اول اذار ١٩٤٥ وان توافق على كل ما اتخذ من خطوات سابقة تتعلق بانشاء هذه الهيئة الدولية. وافتتح المؤتمر في ٢٥ نيسان، وحضرته وفود عن احدى وخمسين دولة، وسادته مناقشات حادة. وقبل ان ينهي اعماله

انتهت الحرب في اوروبا (٨ ايار ١٩٤٥)، وشعر المؤتمرون بالمسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقهم، اذ كان عليهم ان يضعوا اسس سلام مستقبل يلي المحالفات العسكرية. وانتهى النقاش بالتصويت على شرعة الأمم المتحدة، وتتألف من مقدمة ومائة واحدى عشرة مادة، يضاف اليها النظام الاساسي لمحكمة العدل الدولية (٧٠ مادة).

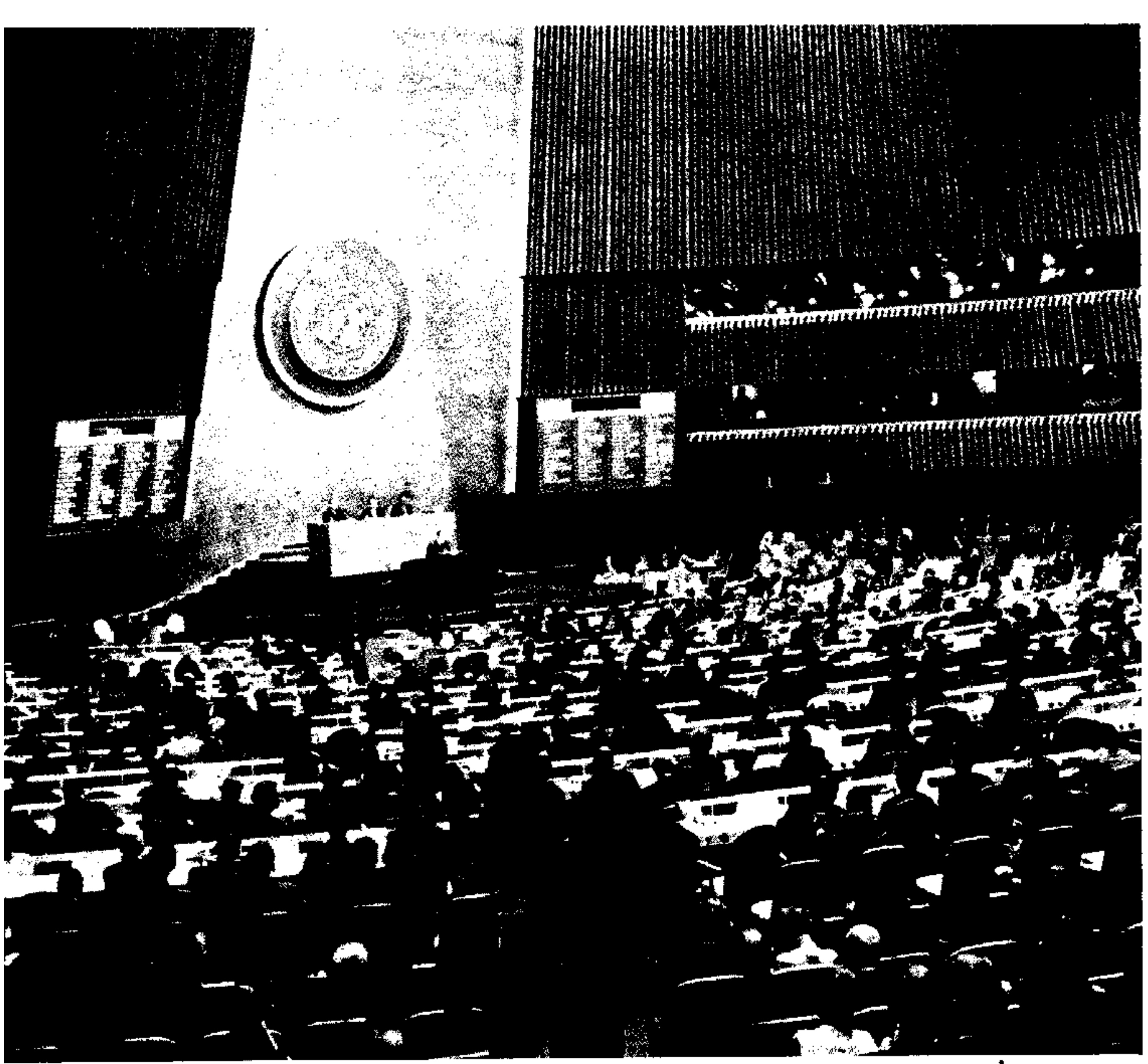
نيويورك مركز المنظمة

عقدت هيئة الامم المتحدة جلساتها الاولى في لندن (من ١٠ ك٢ الى ١٤ شباط ١٩٤٦)، وانشغلت خلالها باختيار اعضاء مجلس الامن الدولي، واعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وتم الاتفاق على وزير خارجية نروج «تريغفي لي» امينا عاما. وتقرر ان تكون مدينة نيويورك مركزا للمنظمة، فاضحت «عاصمة العالم السياسية»، وابدت الولايات المتحدة اهتماما اكثر بالسياسة الدولية بعد ان انطوت على نفسها ما خلال الحربين العالميتين. وما زالت نيويورك تستفيد من هذا الوضع نظرًا للأموال التي تنفقها الهيئات والصحفيون، مما يؤمن لسكانها دخلا محترما يفوق الستين مليون دولار سنويا.

هدف المنظمة

الكلام عن اهداف منظمة الامم المتحدة هو شبه تكرار للكلام عن اهداف عصبة الامم، أي: صون السلام العالمي، والاحجام عن كل نزاع مسلح، وتامين حقوق الشعوب وحرياتها في تقرير مصيرها، وتذليل العقبات القائمة في وجه التعاون الدولي، وتبادل العون السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، والتقيد بموجبات القانون الدولي، واحترام سيادة كل الدول، ومساعدة الدول النامية والمستعمرات حتى تصبح قادرة متطورة.

واستفاد واضعو شرعة الامم المتحدة من تجربة عصبة الامم، فضمنوها مادة (المادة ١٠٩) تجيز اعادة النظر في مواد الشرعة بعد عشر دورات متتالية من تاريخ تأسيس المنظمة. ذاك ان الاختبار من جهة، وتبدل الظروف الدولية من جهة أخرى، يساعدان على كشف عيوب خافية يمكن تحاشيها عن طريق تعديل بعض بنود الميثاق. غير ان هذا التعديل لم يجر الا في دورة عام ١٩٦٣ العادية، حيث ارتفع عدد أعضاء مجلس الامن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي بغية تحقيق تمثيل عادل.



داخل مقر هيئة الأمم المتحدة.

وثمة مبادئ شددت عليها هيئة الامم المتحدة أكثر من عصبة الامم، اولها اعلان حقوق الانسان الاساسية. وثانيها ضرورة التفاهم على سياسة دولية واحدة حول القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية، وثالثها مبدأ المساواة بين الدول، وهذا امر لا يتحقق الا مبدئيا، بدليل ما اقر للدول الخمس الكبرى من حق النقض. ورابعها احترام التكتلات الاقليمية (الدول العربية مثلا) لما بينها من ارتباطات.

وغدت الامم المتحدة «مؤتمرا دوليا» دائما، لا بل «هيئة القيادة العليا لسياسة العالم»، لا تصدر القرارات او تعتمد الحلول الا بعد النقاش والحوار. وبلغ من حرصها على حفظ السلام ان شكلت قوات طوارئ دولية، ومولتها وارسلتها الى قبرص والشرق الاوسط والكونغو دون ان يدخل ذلك ضمن اختصاصها. وذاك امر لم يكن بمقدور عصبة الامم ان تأتيه، غير اننا لا نبرئ هيئة الامم من التقصير في حل بعض القضايا المعاصرة.

عضويتها

اشتركت في تأسيس هيئة الامم المتحدة احدى وخمسون دولة. وتضم اليوم ماية وثلاثة وعشرين. والشرط الاساسي لقبول عضوية الدولة ان توقع على شرعة الامم المتحدة وأن تثبت قدرتها على تنفيذ ما تفرضه عليها الهيئة من التزامات. أي أن تكون متمتعة باستقلال تام، محبة للسلام، مستعدة للتقيد بموجبات القوانين الدولية. فينظر ساعتئذ مجلس الامن الدولي في طلبها، ويرفع توصية الى «الجمعية العمومية»، فيطرح الأمر على التصويت، فان نالت ثلثي عدد الأصوات قبلت عضوًا في هيئة الامم المتحدة.

وثمة دول لا تزال خارج هذه المنظمة، ابرزها سويسرا حفاظا منها على حيادها التام. ثم الصين الشعبية نظرا لعدم اعتراف معظم دول العالم بها (ونظرًا لكونها معترفة بالصين الوطنية) والمانيا وكوريا وفيتنام لان طبيعة النزاع الناشئ عن الحرب الباردة أو الساخنة في هذه الدول يجعل الدول الاعضاء في المنظمة، وخاصة الدول الكبرى مترددة في قبول عضويتها. وهنالك شروط تفقد معها الدولة حقوقها في العضوية ومنها اذا تكررت تجاوزات هذه الدولة في امتهان المنظمة ولم تجد معها عقوبات اقتصادية أو سياسية.

اجهزتها

١ – الجمعية العمومية

تتساوى الدول الاعضاء في الجمعية العمومية. لكل منها صوت واحد بصرف النظر عن عدد اعضاء الوفود. وتنعقد في دورة عادية في ثاني اثنين من شهر ايلول، وفي دورة استثنائية تلبية لطلب من مجلس الأمن أو من اكثرية الأعضاء فيها. وتنتخب الجمعية رئيسها ونوابها السبعة عشر ورؤساء اللجان لمدة عام واحد. وتساير الدول الكبرى الدول الصغرى بان تترك لها هذا المنصب. (انظر ص ١٥١).

وتتداول الجمعية حول القضايا الدولية المدرجة على جدول اعمال الدورة. وتتخذ بشأنها التوصيات ثم تحولها الى اللجان المختصة لتنفيذها (اللجان هي: اللجنة السياسية – الاقتصادية – المالية – الوصاية – القانونية –) واذا أعيا مجلس الأمن الاتفاق على قرار، عرضت القضية أمام الجمعية العمومية، ويجب الحصول على ثلثي الاعضاء اذا كانت القضية المعروضة على مستوى من الأهمية. ومن صلاحية الجمعية ايضًا انتخاب الأمين العام وأعضاء مجلس الأمن غير الدائمين، وأعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وقضاة محكمة العدل الدولية، واقرار الموازنة العامة، وتوزيع نسب الاشتراكات المالية.

٢ – مجلس الأمن

اذا تأمنت المساواة بين جميع الدول الأعضاء في الجمعية العامة، فلا يصح ذلك في مجلس الأمن. حيث أعضاء دائمون يمثلون الدول الخمس الكبرى (بما فيها الصين الوطنية) ويتمتعون بحق النقض، وحيث أعضاء غير دائمين وعددهم عشرة يمثلون الدول الصغرى وينتخبون لمدة عامين ولا يعاد انتخابهم بعد انقضاء هذه المدة مباشرة.

ورئاسة المجلس دورية لمدة شهر، بدءا بالترتيب الابجدي لاسماء الدول (حسب اللغة الانجليزية). وينعقد مجلس الامن بدعوة من رئيسه او بطلب من أحد الأعضاء او الامين العام لهيئة الامم المتحدة. وصلاحياته هي اتخاذ كل اجراء أو تبديل سريع وقمين بايقاف تدهور وضع دولي او محلي. وقد يذهب الى حد التدخل العسكري. واذا استدعى الأمر يقظة مستمرة يبقى مجلس الأمن في حالة انعقاد دائم، وله ان ينعقد في أي مكان آخر.

ويقتضي توافر تسعة اصوات ليصبح قرار مجلس الامن قابلا للتنفيذ. هذا اذا لم يعمد احد ممثلي الدول الكبرى الى استعمال حقه في النقض، او اذا لم يعارضه سبعة اعضاء غير دائمين في مجلس الامن.

٣ – الأمانة العامة

تختار الجمعية العامة امينها العام لمدة خمس سنوات. وتستند في ذلك الى توصية يرفعها مجلس الامن. وقد وقع الاختيار حتى اليوم على ممثلي الدول المحايدة نظرًا لطبيعة المهمة وما تفرضه من حياد. وتعاقب على هذا المنصب ثلاثة اولهم نروجي: تريغفي لي (١٩٤٦)، وثانيهم اسوجي: همرشولد (١٩٥٣)، وثالثهم بورمي: يوثانت (١٩٦١).

ويعاون الامين العام جملة موظفين ومكاتب، يهتمون بالشؤون السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والمالية والقانونية، عدا نوابه السبعة عشر، ليتمكن من الالمام بمختلف الشؤون الدولية. ويتمتع موظفو الامانة العامة بصفة دولية تطغي على هويتهم الوطنية. فهم مذ يشغلون هذه المناصب لا يعودون ملكًا لدولتهم بل للمجتمع الدولي، يخدمونه بامانة. اما اختيارهم فمنوط بالامين العام الذي يراعي في تعيينهم كفاءاتهم وتوزيعهم المتوازن بين الدول الاعضاء. ويتمتعون كالسلك الديلوماسي بحصانة سياسية.

واهم ما تقوم به الامانة العامة من اعمال هي: اعداد التقرير السنوي عن نشاط المنظمة، يقرأ لدى افتتاح الدورة السنوية العادية، وتنظيم الموازنة مع توصيات بشأن كل عجز طارئ، وتنبيه مجلس الامن الى مشاكل دولية معينة.

٤ – محكمة العدل الدولية

وهي استمرار «للمحكمة الدائمة للعدل الدولي» في عصبة الامم. مركزها لاهاي، وعدد قضاتها خمسة عشر من الثقات المشهود لهم في القانون الدولي. تنتقيهم الجمعية العامة ومجلس الامن لمدة تسع سنوات يتفرغون خلالها لقضايا المحكمة. وينظرون في قضايا دولية يكون المتداعون فيها اعضاء في هيئة الامم المتحدة. واحكام هذه المحكمة الزامية غير قابلة للاستئناف تتقيد بها الدول المتداعية اذا اعلنت مسبقًا عن التزامها بالحكم الذي سيصدر. غير ان مهمتها الدائمة هي النظر في القضايا المعروضة عليها من قبل اجهزة الامم المتحدة.

٥ – المجلس الاقتصادي والاجتماعي

في هذا المجلس يتبلور سعي الامم المتحدة لتحقيق تطور شامل، هدفه رفع المستوى الحياتي والثقافي والصحي وتأمين الحريات واحترام حقوق الانسان في المجتمع الدولي، وبعبارة أخرى: بناء مجتمع أكثر استقرارًا ورفاهية.

يعد هذا المجلس الاقتراحات والشورى، ويعرضها على الجمعية العامة. ويلبي طلب مجلس الامن اذا استشاره حول امر فني. ويمد الدول الاعضاء

بالخدمات الداخلة ضمن نطاق اختصاص . اما اعضاؤه فثمانية عشر ، تنتخبهم الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات ، ويتبدل ثلثهم بالانتخاب كل عام . واهم نشاطات لجانه : الاحصاء ، مكافحة المخدرات ، ازالة التمييز العنصري ، احترام حقوق الانسان والحريات ..

٦ – مجلس الوصاية

وقد وجد ليحل محل نظام الانتداب في عصبة الامم. انيطت به الوصاية على الاقاليم غير المستقلة. وعلى كل دولة تعطى الاشراف ان تلتزم بموجبات شرعة هيئة الامم المتحدة، وان تؤمن التطور الاقتصادي والتقدم الحضاري والاعداد الاداري والسياسي للاقليم الواقع تحت اشرافها حتى يصبح قادرًا على الحكم الذاتي، وان تتجنب التميز العرقي والديني وان تحترم حقوق الانسان الرئيسية وحرياته.

اما الاقاليم التي خضعت لوصاية هذا المجلس فهي التي كانت واقعة تحت الانتداب (توغو كاميرون ...) أو اقتطعت من دولة نتيجة للحرب العالمية الثانية، أو قبلت طوعا بوصاية دولة أخرى عليها . ويضم مجلس الوصاية ثلاث فئات من الدول الأعضاء:

أ – الدول المشرفة (الولايات المتحدة – استراليا – بريطانيا – زيلندا الجديدة).

ب – سائر دول مجلس الامن غير المشرفة وذات المقعد الدائم (الاتحاد السوڤياتي – فرنسا – الصين).

ج – دولة واحدة تنتخبها الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات.

وهكذا يصبح عدد الدول الوصية غير المشرفة اربعا (الاتحاد السوڤياتي - فرنسا – الصين – دولة منتخبة) أي مساويا لعدد الدول المشرفة (الولايات المتحدة – بريطانيا – استراليا – زيلندا الجديدة).

وعلى مجلس الوصاية ان يقدم تقارير سنوية عن الوضع في الاقاليم الموصي عليها، حتى يتسنى للجمعية العامة الاطلاع على مدى تقدم هذه الاقاليم، وعلى طريقة الاشراف من قبل الدول الوصية.

المؤسسات المرتبطة بالامم المتحدة

وثمة هيئات دولية أخرى مرتبطة بمنظمة الامم المتحدة دون ان تكون من اجهزتها الأساسية. تخدم المجتمع الدولي في شتى الميادين، وتحقق تعاونا

وتلاقيا مستمرا يعودان بالفائدة عل كل الدول الأعضاء وغير الأعضاء في المنظمة. واهم هذه الهيئات هي :

آ - **الوكالة الدولية للطاقة الذرية.** وهدفها وضع الطاقة الذرية في خدمة السلم والانسانية، والابتعاد بها عن اغراضها العسكرية الهدامة. مركزها فيينا.

ب - **هيئة العمل الدولية** وقد ورثتها عن عصبة الامم. مركزها جنيف، وهدفها رفع مستوى العمال عن طريق تحديد ساعات العمل والاجور والتعويضات والضمان والاجازات وحرية النقابات، او بعبارة اخرى تسعى لتأمين العدالة الاجتماعية. ويتمثل في مجلس هيئة العمل الدولية كل من العمال والحكومات وارباب العمل.

ج - **هيئة الاغذية والزراعة** مركزها روما. وهدفها رفع مستوى المعيشة، ومساعدة المزارعين للنهوض بالزراعة، وذلك عن طريق تقديم العون الفني الكفيل بزيادة الانتاج والمواد الغذائية، وحسن توزيع المزروعات، ونشر الاحصاءات المتعلقة بها، والتوجيه، والتوازن بين الانتاج والتصريف تحاشيا للازمات.

د - **الاونيسكو** واسمها منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. مركزها باريس وهدفها تحقيق التعاون الثقافي والتربوي والعلمي، وبالتالي الحضاري، بين دول العالم. تهتم بشؤون التعليم وتدريب المدرسين، والغاء الفوارق الاجتماعية، والحفاظ على التراث والاثار، وترجمة الروائع الادبية، وتشجيع البحوث العلمية، وحرية الاعلام.

هـ - **منظمة الصحة العالمية** مركزها جنيف، وهدفها الوصول الى افضل مستوى صحي عالمي، عن طريق مكافحة الاوبئة والامراض. تهتم بتدريب الخبراء وتنظم حلقات دراسية لتبادل المعلومات، وتعتني بالام وبالطفل.

و - **المصرف الدولي للتعمير والانشاء** مركزه واشنطن وتقاطعه الدول الاشتراكية. يشجع استثمار الرساميل بفائدة زهيدة في الدول التي تضررت بالحرب بغية مساعدتها في النهوض اقتصاديا، ويقدم القروض للدول الاعضاء ايضا، والدول المساهمة في رأسماله حاليا هي: الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا، المانيا، الهند.

ز - **المنظمة المالية الدولية** وقد تفرعت عن المصرف الدولي للتعمير والانشاء. ولها نفس الغايات، مقرها واشنطن.

ح – **صندوق النقد الدولي** مركزه واشنطن، وهدفه التعاون الدولي في شؤون النقد، واقامة قواعد ثابتة تقي الاسواق التجارية من مضار التدني المفاجئ في قيمة النقد.

ط– **اتحاد البريد العالمي** مقره بيرن عاصمة سويسرا، وهدفه تحسين وسائل تبادل المراسلات البريدية.

ي – **المنظمة الدولية للارصاد الجوية**: وهمها تحسين الترابط بين محطات الرصد الجوي، وتنسيق نشرات المراصد لتسهيل وسرعة تبادل المعلومات الجوية بين الدول الأعضاء.

ك – **الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية** مركزه جنيف، وهدفه تنظيم شؤون التلغراف والتلفون والراديو وتعميم استعمالها بصورة أفضل، كالاتفاق على توزيع موجات البث بين الدول ...

ل – **المنظمة الدولية للطيران المدني** مركزها مونتريال في كندا. وهدفها تذليل العقبات التي تعترض سلامة الطيران المدني، والتغلب على عراقيل العبور فوق أجواء الدول، وتعميم سبل سلامة الطيران.

م – **المنظمة الاستشارية الدولية للملاحة البحرية**، مقرها لندن، وهدفها تبادل العون لتأمين سلامة الملاحة في عرض البحر، والتغلب على العراقيل الناجمة عن المعاملات الجمركية والمعاملة بالمثل.

ن – **منظمة التجارة الدولية** وقد نشأت نتيجة للازمة الاقتصادية عام ١٩٣٠ عندما اقفلت معظم الدول حدودها بوجه الاستيراد. ولما انتهت الحرب، تم التفاهم حول تجارة بعض المواد الاولية وحظر تجارة المخدرات. وفي عام ١٩٤٧ وقعت جملة من الدول (٣٧ دولة) معاهدة دعيت «الاتفاق العام للتعرفات والتجارة». ونجحت هذه المعاهدة بالرغم من معارضة بعض الدول الكبرى لتخفيض التعرفات الجمركية واستقرارها. وفي اوقات لاحقة عقدت مؤتمرات متعددة للنظر في مخالفات بنود هذه المعاهدة ولوضع التسويات اللازمة.

س – **المنظمة الدولية للاجئين** وهي هيئة مؤقتة تعتني باللاجئين الفلسطينيين، مركزها جنيف. وقد اهتمت من قبل بالاوروبيين المشردين نتيجة الحرب العالمية الثانية.

دور الأمم المتحدة

بعد هذا العرض لمراحل قيام هيئة الامم المتحدة واهدافها وأجهزتها والهيئات المرتبطة بها، نستنتج امورا ابرزها تصميم العالم على الحفاظ على السلم. فالكثير من المشاكل الدولية قد حلت من على منبر الامم المتحدة، وان يكن بعضها لا يزال عالقا ينتظر حلا مرضيا وعادلا. ولم تتردد هيئة الامم احيانا في التدخل عسكريا كما حصل في الحرب الكورية (١٩٥٠)، وفي ارسال المراقبين الى مناطق الاحتكاك بين مصر واسرائيل، وفي وقف الحرب الاهلية الكونغولية.

الا انها في الوقت نفسه غدت ميدانا للنزاع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي في حربهما الباردة. ويبقى غياب الصين الشعبية عنها، وما تمثله من قوة في آسيا، نقطة ضعف لم تستطيع التغلب عليها حتى الآن.



عند توقيع وثيقة الاطلسي.

وثيقة الاطلسي ١٤ آب ١٩٤١

وقد وقعها الرئيس الاميركي، روزفلت ورئيس الوزارة البريطانية، ونستون تشرشل وتعهدا فيها بما يلي:

١ – ان بلديهما لن يسعيا لتوسّع اقليمي او سواه.

٢ – انهما لا يرغبان في رؤية تبديلات جغرافية تتنافى مع الرغبات الحرة للدول المعنية.

٣ – يحترمان حق الشعوب كافة في اختيار نظام الحكم الذي يريدون ان يعيشوا في ظله، ويتمنيان عودة الحقوق الاساسية والحكومات المستقلة الى اصحابها الذين انتزعت منهم بالقوة. (والمقصود حكومات المنفى).

٤ – يسعيان لتأمين التجارة والمواد الاولية اللازمة للازدهار الاقتصادي في كل الدول، كبيرة كانت ام صغيرة، منتصرة ام مغلوبة، دون التعرض لاي من الالتزامات القائمة.

٥ – يودان التعاون الواسع بين سائر الامم على الصعيد الاقتصادي، مع التشديد على تأمين الاهداف التالية: شروط عمل افضل، وازدهار اقتصادي، وضمان اجتماعي.

٦ – بعد القضاء التام على التعسف النازي، يتمنيان تحقيق سلم يوفّر لجميع الامم اسباب عيشها بامان داخل حدودها، ويؤمن الضمانة لكل الشعوب لتتمكن من العيش بحرية دون خوف او حاجة.

٧ – ان سلمًا كهذا يتيح للجميع عبور البحار والمحيطات دون عوائق.

٨ – يؤمنان بان كل دول العالم مدعوة لاسباب واقعية ونفسية للاقلاع عن استعمال القوة. اذ لا يمكن استمرار السلم في المستقبل مع اصرار بعض الدول على اعتماد التسلح البرّي والبحري والجوّي والتهديد بالعدوان. ويعتقدان ان نزع سلاح أمم كهذه امر ضروري بانتظار وضع نظام امن واسع ودائم. وكذلك يساعدان في كل التدابير العملية الاخرى ويشجعان عليها من اجل رفع عبء التسلح عن الشعوب المسالمة.

شولونج – مانري – سيف

نصوص تاريخية – ج ١ ص ٢٧١

١٦ تصارع الرأسمالية والشيوعية

خلاف عقائدي

ما ان اندلعت الثورة البولشفية في روسيا حتى استحقت عداء الدول الرأسمالية لها. وهلع الغرب عندما احتضنت موسكو الاممية الثالثة (او الكومينترن) فمد يد المساعدة للمشنقيك وغذى الحرب الاهلية. ومع ازدياد البؤس اتسع المد الشيوعي في اوروبا وارتمى بعض الرأسماليين في أحضان النظم الفاشستية.

وفيما كانت الازمة الاقتصادية الكبرى تهز العالم نجح ستالين في تطبيق النظام الاشتراكي، وبدأ التكهن بانهيار العالم الرأسمالي. واتسعت الشقة بين العالمين نتيجة للتباين العقائدي او الايديولوجي. فالأنظمة الغربية تعتبر نفسها ديمقراطية حرة، تحافظ على تراث تاريخي ضخم انبثق عن مبادئ الثورتين الفرنسية والاميركية وما تمثلانه من مساواة وعدالة وحرية. وازدادت الحرية الفردية رسوخا في المجتمع الاميركي المؤلف من مهاجرين خلّفوا وراءهم العالم القديم، فتخلصوا بالتالي من الأنظمة الاقطاعية والاحقاد الطبقية والملكية الاستبدادية وسلطان الاكليروس. وعندما كافحوا ضد الاستعمار البريطاني انما كافحوا للتحرر من نظام سياسي لا اجتماعي، وثاروا للمحافظة على حريتهم لا للحصول عليها. فلا يسعهم اذا ان يقبلوا بالاشتراكية وما تفرضه في خطواتها الاولى من دكتاتورية البروليتاريا، وتشجيع لفئة العمال، ومحاربة للطبقية، وتنكر للمعتقدات الدينية، وكبت للحريات الفردية، بصرف النظر عن الاعتبارات الشخصية والخاصة.

بينما الماركسية تقول بان المجتمع يتطور في «قفزات» ثورية تقوده في النهاية الى الكمال، فيتساوى البشر دون تمييز في اللون والعرق ويترفع الانسان عن الكماليات والمظاهر. ولا يجوز الانتظار ريثما يتحقق هذا الأمر لذاته، بل يجب اختصار الطريق للوصول اليه بتطبيق المبادئ الاشتراكية. فلا ضير ساعتئذ ان يسخر الفرد للدولة، وان تلجم الحريات الفردية، وان يضحى بالالوف بل بالملايين في سبيل الوصول الى هذا الهدف الأكبر الذي هو الشيوعية. (انظر النص ص ١٦٣).

ولا عجب بعد ذاك ان اقتصر التفاهم بين الاتحاد السوفياتي والغرب على فترتين فقط، اولاهما فرضتها ضرورات الحرب ضد هتلر، والثانية املتها سياسة التعايش السلمي بعد موت ستالين.

ستالين يستغل الظرف

لم تكن الحرب قد انتهت عندما انفرد ستالين عن حلفائه الغربيين بعقده مع فنلندا (٤ ايلول ١٩٤٤) ورومانيا (١٢ ايلول ١٩٤٤) وبلغاريا (٢٨ ت ١ ١٩٤٤) هدنات نصت مسبقاً على شروط الصلح، فجرّد حلفاءه من رأيهم عند عقد الصلح النهائي مع هذه الدول. فكانت تلك سياسة امر واقع فرضها ستالين وهيّأ بها موطئا للشيوعية في تلك البلدان.

وقبيل انعقاد مؤتمر يالطا (١١ – ١٣ شباط ١٩٤٥) كان موقف الحلفاء العسكري حرجا، أو هكذا بدا، فاضطر روزفلت ان يقدّم الاعتبارات العسكرية الآنية على اعتبارات السياسة الخارجية البعيدة المدى، واقر لستالين بكل ما طلب دون ان يدرك ما تخبئه هذه التنازلات من بذور تباعد وخلاف في المستقبل.

يالطا: المفترق

في جملة الأمور التي نص عليها مؤتمر يالطا برزت ناحيتان مرشحتان لاثارة الخلاف؛ اولاهما: الاقرار للاتحاد السوفياتي بالسيطرة على بولندا بحدودها الجديدة على حساب المانيا، وعلى اوروبا الشرقية ودول البلطيق، واسترجاع ما خسرته روسيا القيصرية في الشرق الأقصى عام ١٩٠٥، وهذا معناه على المدى الطويل احاطة الاتحاد السوفياتي بحزام واق من الدول الموالية ومدٌّ شيوعي يتحرك نحو الخارج.

والناحية الثانية هي اتفاق الثلاثة الكبار على ضرورة التخلص من رواسب النازية في البلدان المذكورة، واستبدالها بمؤسسات ديمقراطية وحكومات مؤقتة يختارها السكان بعد اجراء انتخابات حرة. وللدول الكبرى ان تساهم، اذا لزم الأمر، في اجراء هذه الانتخابات. وفي هذه الناحية الثانية اثارة للخلاف العقائدي القديم، لان المبدأ الديمقراطي في اقامة الحكومات يختلف باختلاف المفهومين الشيوعي والرأسمالي.

ولم يؤخر انفجار النزاع الا مداراة روزفلت لستالين، وسعيه الحثيث لتحقيق فكرة «منظمة الأمم المتحدة». وكان مخطئا في نظر العالم الرأسمالي – في نظر تشرشل بنوع خاص – لأنه وفر للشيوعيين فرص النجاح في المستقبل.

انتهت الحرب وبدأ الخلاف

مات روزفلت قبل ان تنتهي الحرب، وخلفه نائب الرئيس ترومان. وفي بداية ولايته انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو وانبثقت عنه «هيئة الامم المتحدة». ولما انعقد مؤتمر بوتسدام (احدى ضواحي برلين) (٧ تموز الى ٢ آب ١٩٤٥) واشتركت فيه فرنسا هذه المرة، الفى ترومان نفسه ملتزما بسياسة سلفه. فالتقى بتشرشل ثم اتلي وستالين لاستكمال مباحثات يالطا. وتم الاتفاق على احتلال المانيا ونزع سلاحها، والتخلص من النازية تمهيدا لاقرار الديمقراطية الصحيحة. وتألف مجلس يضم وزراء خارجية الدول الكبرى، بما فيها فرنسا (اما الصين فبدأ دورها يتقلّص تدريجيا مع احتدام الحرب الاهلية فيها) للتباحث باستمرار حول شؤون المانيا. ونجم عن ذلك وضع حدود لمناطق الاحتلال. وكانت برلين ضمن منطقة الاحتلال السوفياتية وان تكن قسمت بين الدول الاربع حسب خط صوري يشبه الحدود الفاصلة بين منطقة الاحتلال السوفياتي ومناطق الاحتلال الاخرى: الاميركية والبريطانية والفرنسية.

وقبل بوتسدام كان ترومان قد أمر بخفض المساعدات الخارجية، فترك ذلك انطباعا مزعجا لدى حلفائه وخاصة تشرشل وستالين. ولما استسلمت اليابان امر بوقف المساعدات الخارجية فبدأ الشك حول استمرار التعاون بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

وازداد الفتور والتباعد لدى انعقاد مجلس وزراء خارجية الدول الحليفة (ايلول ١٩٤٥). فرفض مولوتوف التعاون مع الغرب بشأن دول اوروبا الشرقية. فستالين يريد ان يجعل من هذه المنطقة حزاما واقيا يزنّر الاتحاد السوفياتي، بينما تريد الدول الغربية ان تجري فيها انتخابات حرة تنبثق عنها انظمة ديمقراطية حرة. فازداد التصلب من قبل الطرفين وحل النفور محل التفاهم.

الستار الحديدي

واتسعت شقة الخلاف حتى تعذرت العودة عنه. وحين نصت الاتفاقات السابقة في طهران ويالطا وبوتسدام على ضرورة تطبيق المبدأ الديمقراطي واقامة انظمة حرة في دول اوروبا الشرقية وبولندا، كان الأصح ان يتفق حول مفهوم الديمقراطية والحرية؛ فهو يعني الحرية الكاملة بالنسبة للانظمة الغربية، اما بالنسبة للشيوعيين فالاشتراكية هي خير الوسائل لتحرير المجتمعات وبذلك تكون هي لا سواها الديمقراطية الصحيحة. لذلك لم يأبه ستالين لاعتراضات الغرب

الايديولوجية الشيوعية

«...لا يمكن فصل الايديولوجية الاميركية عن الماضي الاميركي اذ انهما شيء واحد لا ينفصل . اما الماضي الروسي، والايديولوجية الشيوعيـــة فانهما شيئان مختلفان يمكن فصلهما بكل سهولة . »

« ويجب ان نلاحظ وان ندرك ان الثورة الروسية لم تكن مجرّد ثورة بلشفية وانما كانت ثورة روسية ايضاً ... وتعتبر الشيوعية عقيدة جديدة لا دينية تحمل رسالة دينية من نوع خاص لا تقوم على اي اساس ديني ، لذلك فهي تقول « كدين » ان نهاية التاريخ ستكون وجود مجتمع بلا طبقات ، وهذا يعني ان واجب الانسان يتركز في الاسراع بالتاريخ الى النهاية : ففي المجتمع اللاطبقي المتحرر من النظام الرأسمالي الفاسد لن يشعر الانسان بالطمع والرغبة في الاستيلاء على ممتلكات الجيران ، ولن يصبح بعد ذلك معتديًا او انانيًا ، او قاسيًا ، كما انه لن يؤمن بالاختلافات الطبقية او السياسية ، او العنصرية ، او الايديولوجية . وسوف لا يتنافس مع غيره بل يتساوى مع الآخرين ، لذلك فلن تكون عنده سوى رغبة بسيطة في امتلاك المزيد لمواجهة احتياجاته المباشرة ، ولن يهتم بالكماليات (لان طبيعته سوف تتغير كما انها لن تصبح ذات قيمة بالنسبة له) ولن تكون هنالك فوارق مصطنعة بين الجنسين اذ ان الرجل والمرأة سوف يقفان على قدم المساواة الحقيقية . ونظرًا لان مثل هذا الوضع هو نهاية التاريخ الذي يتحرك ناحيته الانسان ببطء وبألم ، فان قضيـــة الانسان ستكون افضل بكثير في المستقبل اذا تحركت هذه الخطوات الآن واذا تم تحقيق الثورة والانقلاب حتى يتم تدمير النظام الاقتصادي الذي يستعبد الانسان – الرأسمالية – ولا يهم في هذا المجال التضحية بآلاف قليلة من الارواح (وربما الملايين) اذا امكن تحقيـــق التناسب والانسجام والحرية والمساواة لاقرب الأجيال ولا شك في ان استخدام الوسائل الدكتاتورية لتحقيق هذه الاهداف تجد لها ما يبررها على اساس ان الغاية تبرر الوسيلة . لذلك فان النظرية الشيوعية نظرية مثالية ترمي الى تحقيق اهداف معينة في المستقبل ، تهتم برفاهية الانسان كما انها ثورية ولهذه الاسباب جميعها نجدها قد لفتت انظار كثيرين من الناس خارج روسيا ايضاً . »

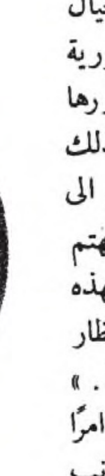
« ونظرًا لان انتصار الشيوعية يعتبر امرًا حتميًا ، فقد لجأ الشيوعيون الى اتباع جانب الحذر . والملاحظـــة الدقيقة ، والمرونة والخداع . وهم يعتقدون ان الزمن في صالحهم ، لذلك يجب ان يتذرعوا بالصبر ، وهذا ما جعل خروشوف يقول « سوف ندفنكم » وكان يعني ان الشيوعية سوف تعيش لترى موت الرأسمالية بقوة الحتمية التاريخية . »

« ولكن شيوعية اليوم استطاعت ان تتطور تاريخيًا وتختلف عن الاوضاع السابقة التي اختفت آثارها اليوم : فشيوعية اليوم ليست هي الماركسية فقط ، وانما هي الماركسية اللينينية مع بعض الآثار الستالينية وبعض التعديلات التي اضافها خروشوف . وعلى الرغم من ذلك ، فان شيوعية الصين ، وشيوعية المارشال تيتو تختلفان عن الاتجاه الروسي في بعض المسائل الهامة . والشيوعية ليست المبدأ الوحيد ، ولا تقدم وجهًا واحدًا ، على الرغم من ان الشعور العام في الغرب يرى انها مؤامرة ذات اتجاه واحد ومركز . ولكن ضعف الشيوعية يكمن في ادعائها ومطالبتها بالوحدة وهو امر ليس حقيقيًا . وفي الوقت نفسه لا تحمل الديمقراطية وجهًا واحدًا ولا تدعي الوحدة ، ولكنها تختلف باختلاف طرق ممارستها في البلاد المختلفة . وهذا هو مكمن قوتها الحقيقية . »

حمدي حافظ

المشكلات العالمية المعاصرة ص ٧٠٨

الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة



جورج مارشال .



غوتوالد

اصل انتصار الشيوعيين

في تشيكوسلوفاكيا ١٩٤٨ .

عندما اقام في دول اوروبا الشرقية وبولندا انظمة حكم موالية له دعيت «بالديمقراطيات الشعبية». وساعده في خطوته تلك ان الحرب قد ذهبت بقادة هذه الدول أو اضطرتهم للفرار الى الخارج حيث الفوا حكومات المنفى. فخلا الجو للطبقات الوسطى، ومعظمها من الاشتراكيين، فتسلموا مقاليد الحكم واسلسوا القياد لموسكو.

وتأزم الموقف بين الشرق والغرب، وكأن الفاصل بينهما «ستار حديدي» (هكذا سماه تشرشل عام ١٩٤٦) امتد من البلطيق الى الادرياتيك، ليعزل فوسوفيا وبرلين وبراغ وڤيينا وبودابست وبلغراد وبوخاريست وصوفيا عن العالم الرأسمالي، ويتركها في قبضة ستالين، فيما كانت العواصم الغربية تشكو من نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية، وكلها تتقيد بتعليمات موسكو العاصمة الوحيدة للشيوعية آنذاك.

وانتقل الخلاف الى هيئة الامم المتحدة نفسها (ك ٢ ١٩٤٦) حيث شكت ايران – بايعاز من الولايات المتحدة وبريطانيا – الاتحاد السوڤياتي بانتهاجه سياسة عدائية ضدها وبالتدخل في شؤونها، فرد الاتحاد السوڤياتي بشكوى ضد السياسة البريطانية في اليونان واندونيسيا.

وفي اليونان أيضاً كانت الحرب الأهلية المشتعلة منذ فترة قد بلورت الخلاف بين اتجاهين: وطني وشيوعي. فانتصر كلا العالمين لانصاره، وتحول الأمر الى مجابهة غير مباشرة بين ستالين والغرب. فكان الشيوعيون يتلقون المساعدات من بلغاريا ويوغوسلافيا، مما اضطر انجلترا ان ترسل بعثة عسكرية الى اليونان.

نشأة المعسكرين

وسرعان ما اعلنت بريطانيا عجزها عن تحمل نفقات البعثة العسكرية الى اليونان. فازداد الخوف من سقوط هذه البلاد في قبضة الشيوعيين فيصل المد الشيوعي الى المتوسط. فوضع الرئيس الاميركي خطة عرفت فيما بعد باسم «مبدأ ترومان» (١٢ آذار ١٩٤٧). وتقضي بتقديم المساعدة العسكرية الى الدول التي تهددها الشيوعية، بعد ان فرضت هذه الأخيرة على بولندا وبلغاريا ورومانيا انظمة شمولية.

ووصلت المساعدة بسرعة الى اليونان وتركيا (٢٥٠ مليون دولار). وحققت هذه الخطوة ما كان مرجوا منها، اذ استطاعت ان تساعد الوطنيين في اليونان

على الصمود ثم الانتصار على الشيوعيين خاصة عندما حل النفور بين تيتو وستالين فتقلصت المساعدة لشيوعيي اليونان عن طريق يوغوسلافيا.

وبدا مبدأ ترومان نقطة تحول في السياسة الدولية، لأنه اوضح لستالين بان الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن «العالم الحر» ولا يمكنها ان تقبل بأي محاولة امتصاص شيوعية. وغني عن الايضاح ان هذا الالتزام هو في مصلحة الولايات المتحدة قبل ان يكون في مصلحة الأنظمة الموالية لها. اذاك ظهر في العالم معسكران، احدهما شيوعي والثاني رأسمالي، وفي فلك كل منهما تدور دول عديدة.

مارشال يكرّس التباعد

انقضى عامان على نهاية الحرب، واوروبا لم تستطع ان تنهض من كبوتها بعد. فاستبدت بها الازمات الاقتصادية، وخلقت فيها جواً ملائماً لانتشار الاشتراكية. ونشطت الاحزاب الشيوعية في مدنها بسرعة، ووثقت علاقاتها بموسكو. فكان لا بد من خطوة حاسمة تشل النفوذ الشيوعي وتقلل من خطره على الأنظمة الرأسمالية. فاتى مشروع مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة حلا ملائماً، يعرض فيه تقديم مساعدة مجانية وغير مشروطة تستقيم بها اوضاع دول اوروبا كافة. وعرّف مارشال مشروعه هذا بأنه «موجه ضد الفقر واليأس والفوضى» يتيح للمؤسسات الحرة ان تستعيد نشاطها فيكون بمثابة «علاج وليس مجرد عملية تهدئة وتسكين. وان الحكومات والأحزاب السياسية أو المجموعات المختلفة التي تسعى الى استمرار البؤس الانساني لكي تحصل من ورائه على الربح السياسي أو غير السياسي سوف تجد أمامها معارضة قوية من جانب الولايات المتحدة». وفي ذلك اشارة واضحة الى الاحزاب الشيوعية ومن ورائها موسكو.

الانقسام

في البدء لاحت بوادر استجابة عامة لمشروع مارشال، حتى لدى بعض دول الستار الحديدي مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا. ولما انعقد المؤتمر في باريس (ضم ١٦ دولة) للتداول حول تفاصيل المشروع، لجأ الوفد السوفياتي برئاسة مولوتوف الى وضع العراقيل بحجة انه يؤدي الى تبعية للولايات المتحدة. فأدرك

الاميركيون ان لا مجال للتفاهم مع موسكو حتى ولو عن طريق تقديم المعونة الاقتصادية والمالية.

وادّى التنسيق الذي تطلبه مشروع مارشال الى وضع اسس الوحدة الاوروبية في السوق المشتركة. وتم تحقيق شبه «معجزة اقتصادية» نهضت بالدول الاوروبية المحتاجة، وانما على حساب حريتها السياسية. فمالت بكليتها الى الولايات المتحدة الاميركية، وانتهت بان ارتبطت معها بحلف دفاعي سمي «حلف شمال الاطلسي»، فردت عليه الكتلة الشرقية باقامة «حلف وارسو».

فنلندا
المملكة المتحدة
ايرلندا
المانيا الشرقية
بولنده
الاتحاد السوفياتي
فرنسا
سويسرا
المجر
رومانيا
البحر الاسود
بلغاريا
اسبانيا
البحر المتوسط
تركيا



١٧ انتصار الشيوعيّة في الصّين

الصين المستضعفة

في مطلع القرن العشرين كانت الصين قد وصلت الى أقصى مراحل ضعفها. فاليابان قد انتصرت عليها عام ١٨٩٥ وسلخت منها جزر فورموزا والبسكادورس وأرغمتها على الاعتراف باستقلال كوريا. فاستفاقت اطماع الدول الاستعمارية الأخرى. ونجح قيصر روسيا في اقامة خط حديدي يعبر منشوريا ويصل الخط السيبيري بمرفأ فلاديفوستوك مقابل اعانة مادية ومعاهدة دفاعية ضد اليابان.

وتذرعت المانيا باغتيال اثنين من الالمانيين لتحتل خليج كياوتشيو (١٨٩٨) فاثارت بذلك اطماعًا جديدة لدى القيصر نقولا الثاني فاحتل بور ارثور وجواره. وردت انجلترا على ذلك باحتلال منطقة واي هاي واي المقابلة لبور ارثور وحصلت على امتيازات اقتصادية في منطقة يانغ تسي كيانغ. اما حصة فرنسا فكانت مرفأ كوانغ تشيو مع وعد بالّا تمس المناطق الصينية المتاخمة لمستعمراتها في تونكين.

ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل استمرت الدول الاستعمارية تطالب بامتيازات لاستخراج المعادن واقامة الخطوط الحديدية، وفيما هي «تنهش» الامبراطورية الصينية المهترئة وتفرض عليها «المعاهدات المجحفة» كانت تعجّل في موعد الانتفاضة الوطنية.

فشل الاصلاح

ولما دعا الامبراطور لحملة اصلاح داخلي تضع حدًا للأمور المتردية، اصطدم بمعارضة الامبراطورة تسوهي والفئات الرجعية، فاحجم عن عزمه مكرها. ونشطت الجمعيات السرية بتشجيع من الامبراطورة نفسها، فاغتالت الاجانب وكان ابرز ضحاياها سفير المانيا في بكين، ثم حاصرت سفراء آخرين مدة شهرين (حزيران الى آب ١٩٠٠). فارسلت الدول الكبرى (بما فيها الولايات المتحدة واليابان) جيشا لتحريرهم. فاحتل بكين ورضخت الامبراطورة للامر الواقع، ودفعت تعويضات وتعهدت بحل الجمعيات السرية واشهرها جمعية البوكسيرز (Boxers) وبمعاقبة المسؤولين. فكانت ترضية كافية تحولت من بعدها الدول الاستعمارية عن نهش الصين الى ضمان سلامتها.

غير ان هزيمة روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ في الشرق الأقصى جعلت من اليابان الخطر الأكبر على الصين، خاصة بعد ان بسطت حمايتها على كوريا وجنوبي سخالين ومنشوريا، واجبرت الروس ان يعترفوا لها باستثمار بور ارثور مقابل ترضية مالية، ولم يطل الوقت حتى ضمت كوريا أيضًا واتفقت مع روسيا على اقتسام منشوريا.

ثورة صُن يات صِن

وتألم الوطنيون لرؤية بلادهم تحت وصاية استعمارية. وايقن المثقفون ان لا بد من اصلاح جذري، غير انهم انقسموا فئتين: اولاهما تريد الابقاء على النظام الامبراطوري، والثانية بزعامة صن يات صن تحبذ النظام الجمهوري. وكان صن يات صن قد نشر برنامجا اصلاحيا، والف «الحزب الديمقراطي الوطني» (كيومين تانغ)، فتهافت المحبذون للانضمام اليه. وقد بنى آراءه على اسس ثلاثة: اولها العمل على استقلال الصين ورفضها الخضوع للعائلة الامبراطورية المنشورية، وثانيها الثورة الاجتماعية ضد الرأسماليين المستغلين، ثم الثورة السياسية ضد الفردية في الحكم.

وفشلت الامبراطورية في تطويق الحركة الجمهورية، رغم تعيينها وزيرًا معروفا بآرائه الاصلاحية اسمه يوان شي كاي. فانطلقت الثورة الجمهورية من منطقة يانغ تسي كيانغ (١٩٠٨) يتزعمها صن يات صن، وانتقلت عدواها الى المناطق المجاورة. وفي غمرة هذه الأحداث توفي الامبراطور والامبراطورة فجأة، وورث العرش طفل في الثالثة. فتسلم الحكم وصي اساء استعمال السلطة، وعجل في انهيار الامبراطورية. (اذاك تشجعت الصين الخارجية – منغوليا وتركستان والتيبت – على المطالبة بالاستقلال الذاتي).

اعلان الجمهورية

وأعلنت الجمهورية في شنغهاي وصن يات صن رئيسا مؤقتا لها (ك ١ ١٩١١). فانقضى بذلك عهد امبراطورية مهترئة واستيقظ الشعب الصيني من سبات عميق. وكان عليه ان يستعد لتغييرات جذرية زاد في حراجتها ان البلاد شبه مفلسة ماليا ومتردية اقتصاديا، عدا التقاليد والعادات المتأصلة في الشعب، وكلها تعقّد عملية تطبيق المبادئ الديمقراطية الجديدة. ولعل هذا ما جعل صن يات صن غير متحمس للبقاء على رأس الجمهورية. فتنحّى طائعا ريثما ينجلي الموقف على حقيقته.

وفي شباط من العام ١٩١٢ ، استغل الوزير يوان شي كاي ظروف البلبلة في البلاد ليقنع الامبراطور بالتخلي عن مركزه (١٢ شباط) مقابل الاحتفاظ بلقبه وحصوله على معاش تقاعدي ، وزالت معه امبراطورية « المانشو » أو المنشورية . ولما تنحّى صن يات صن بدوره عن رئاسة الجمهورية صادف تنحيه ميلًا لدى يوان شي كاي للاستئثار بالحكم . فتسلم زمام الجمهورية (شباط ١٩١٢) وما لبث ان انقلب دكتاتورًا يتصرف بمقاليد الامور بعيدًا عن الاسس الديمقراطية مهددًا النظام الجمهوري.

وفي العام التالي (١٩١٣) استحال تفاهمه مع صن يات صن خلافًا . وبدأت بوادر تمرد في الجنوب حيث اقام متطرفو الكيومين تانغ نواة حكم انفصالي واستولوا على نانكين . فردّ يوان شي كاي على ذلك باحكام قبضته على زمام الامور ، معتمدًا على تأييد الدول الرأسمالية . فعدّل الدستور لصالحه ، واعلن نفسه امبراطورًا (١٩١٥) فاستعدى بذلك مختلف الفئات . ولما اعلن الكيومين تانغ قيام حكومة انفصالية في كانتون ، اضطر ان يعيد الجمهورية (آذار ١٩١٥) ، ولم تمهله منيته بعد ذاك فتوفي في ٦ حزيران ١٩١٦ .

الصين والحرب العالمية الأولى

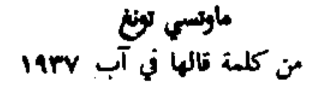
لما اندلعت الحرب العالمية الاولى ، كان يوان شي كاي يحكم قبضته على ازمة الامور . وبعد موته تولى الحكم نائب الرئيس لي يوان هونـغ (Li Yuan - Hung) فاستطاع ان يهدّئ الوضع ويعيد الوحدة باعادة برلمان ١٩١٣ الذي حلّه يوان شي كاي . وما لبث القادة العسكريون ان استبدوا وزرعوا الفوضى والشقاق ولم يعيدوا الامن ، فترحم الناس على العهد الامبراطوري ومفاسده .

ووجدت اليابان في نشوب الحرب فرصة مؤاتية لتنفيذ مآربها في الصين ؛ فقدمت طلبات وفرضت شروطًا فجرّت نقمة الصينيين لما فيها من افتئات على سيادة بلادهم الاقتصادية والسياسية . ودعمت اليابان موقفها بانذار جدّي متكلة على دعم حكومات اوروبا الحليفة ، فرضخت له حكومة بكين . وبضغط من دول الحلفاء نفسها اعلنت الصين الحرب على المانيا في آب ١٩١٧ .

« حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب »

ان التنـــاقض بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية في بلادنا هو في عداد التناقضات بين صفوف الشعب . كما ان الصراع الطبقي بينهما هو ، عمومًا ، صراع طبقي داخل صفوف الشعب ، ذلك لان للبورجوازية الوطنية في بلادنا طابعًا مزدوجًا . ففي مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية ، كانت هذه الطبقة البورجوازية ثورية من جهة ، ومائلة للمساومة مع العدو من جهة اخرى . وفي مرحلة الثورة الاشتراكية ، تقوم من جهة باستغلال الطبقة العاملة وتجني من وراء ذلك الارباح ، وهي من جهة اخرى تؤيد الدستور وترغب في قبول التحويـــل الاشتراكي . ان البورجوازية الوطنية تختلف عـــن الامبريالية وطبقة ملّاك الاراضي والبورجوازية البيروقراطية . والتناقض القائم بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية هو تناقض بين المُستغَل والمُستغِل ، وهـــو بطبيعته تناقض ذو صفة عدائية ، غير انه من الممكن ، في ظروف بلادنا الخاصة ، ان يتحوّل هذا التناقض الطبقي ذو الصفة العدائية الى تناقض ليس له صفة عدائية ، ويحل بالطرق السلمية اذا ما عولج بطريقة صائبة . اما اذا لم نعالج هذا التناقض معالجة صحيحة ولم نتبع تجاه البورجوازية الوطنية سياسة الاتحاد والنقد والتثقيف ، او اذا رفضت البورجوازية الوطنية سياستنا هذه ، فان التناقض بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية سيتحول الى تناقض بيننا وبين اعدائنا . »

ماوتسي تونغ



من كلمة قالها في آب ١٩٣٧

برقية من صن يات صن الى قادة الاتحاد السوفياتي



صن يات صن.

رأى صن يات صن في الاتحاد السوفياتي حليفًا طبيعيًا له ، ونرى في البرقية التالية التي وجهها قبيل موته بقليل (١٩٢٥) نظرته الى الصداقة بل التحالف الذي يجب ان يقوم في المستقبل بين الصين والاتحاد السوفياتي .

« اعزائي اعضاء اللجنة المركزية التنفيذية في الاتحاد السوفياتي »

« في هذا الوقت الذي اقعدني مرض يعجز حياله البشر (السرطان) ، افكر بكم وبحزبي وبمستقبل بلادي . »

« انتم على رأس اتحاد جمهوريات حرة ، تديرون شؤون التركة الخالدة التي خلّفها لينين للشعوب المستَغَلّة ... وما اتركه هو الكيومين تانغ ؛ فاتمنى ان يتعاون معكم لتحقيق رسالته التاريخية في تحرير الصين وسائر البلـدان الرازحـة تحت نـير الاستعماريين . »

« في وصيتي طلبت من الكيومين تـانغ ان يتابع عمله في حركة التحرير الوطنية ، لتستعيد الصين حريتها بعد ان انزلهـا الاستعماريون الى مرتبة بلد نصف مستعمر . ومن اجل تحقيق ذلك اشرت على الكيومين تانـــغ ان يتعاون معكم دائمًا وباستمرار . واعتقد جازمًا بان بلادي بامكانها الاتكال على مساعدتكم الدائمة . »

« رفاقي الاعزاء ، في هذا الوقت حيث ساترككم الى الابد اصر على الاعتقاد بانه بات قريبًا اليوم الذي يحيي فيه الاتحادُ السوفياتي في الصين القوية والحرة صديقًا وحليفًا ، وحيث سيسير البَلَدان يدًا بيد نحو النصر الاخير في معركتهما الكبرى من اجل تحرير الشعوب المستعبدة . »

شولونج – مانري – سيف

نصوص تاريخية – ج ١ ص ١٢٤

وانبرى حزب الكيومين تانغ يندد بحالة الضعف والاستسلام لدى حكومة بكين . واقام حكومة انفصالية مؤقتة مقرها كانتون ورئيسها صن يات صن (ايلول ١٩١٧) . فعرفت الصين حكومتين شمالية وجنوبية طوال مدة الحرب ، وفي نهايتها تمثلتا في وفد واحد الى مؤتمر الصلح في باريس . وكانت نهاية الحرب صدمة للوطنيين ، لان بكين عجزت عن وضع حد لتصاعد النفوذ الياباني ومن ورائه الولايات المتحدة الاميركية . فأقرت لطوكيو بممتلكات وامتيازات المانيا في منطقة شانتونغ (Shantung) . وانفجرت النقمة في ٤ ايار ١٩١٩ ، وانطلقت المظاهرات في مختلف المدن الجنوبية ، وانتشرت الدعوة لمقاطعة البضائع اليابانية . وفي مؤتمر واشنطن ١٩٢١ – ١٩٢٢ لم تستعد الصين إلا جزءًا من سلطتها على شانتونغ ، ولم يلغ من الامتيازات الاجنبية إلا أقلّها .

التغلغل الشيوعي

واعجب صن يات صن بنجاح الثورة البولشفية ، فاعاد تنظيم حزبه على غرار الحزب الشيوعي الروسي . ورأى في السوفياتيين حلفاء طبيعيين له لكونهم اعداء الرأسمالية . فطلب منهم الخبراء لتنظيم جيشه ، وقد جعل عليه نسيبه تشانغ كاي شك . والتقى الاتجاهان الوطني والاشتراكي حول مبدأ « الصين للصينيين » ، وانصبت نقمة الجميع على الدول الرأسمالية الاستعمارية وعلى « المعاهدات المجحفة » باعتبارها المسؤولة الاولى عن تردي الاوضاع . (انظر ص ١٧١).

ورافق هذه الانتفاضة تيار ادبي عرّف باسم « الموجة الجديدة » . فنقض كل علاقة مع الماضي والتقاليد الكونفوشيوسية ، مقدمًا عليها القضايا المعاصرة . واهتم الأدباء بالثورة البولشفية ، واقام بعضهم « مؤسسة الدراسات الماركسية » ومن ابرز اعضائها لي تشاو وماوتسي تونغ ، وتلاها تأسيس الحزب الشيوعي الصيني (عام ١٩٢١) في شنغهاي . واختير ماوتسي تونغ عضوًا في الادارة المركزية لهذا الحزب . ومنذ ذلك الوقت بدأت مرحلة تعاون وثيق بين الجمهورية الصينية في الجنوب والاتحاد السوفياتي ، وامدها هذا الاخير بالاعتدة والمال والخبراء وابرزهم بورودين صديق صن يات صن لاستعجال سيطرة الجنوب على الشمال الى ان عاد الاتحاد بينهما عام ١٩٢٢ بفضل تعاون قائد شمالي .

وخرج الاتحاد السوفياتي بنصر هام لسياسته في الصين. فقد استطاع بالتعاون والتقارب، ان يقيم جمهورية منغولية شعبية حليفة له (ت ٢ ١٩٢١)، كما استطاع ان يفرض وصايته على منطقة سين كيانغ او التركستان الصيني، وان ينتزع من الشركات الاوروبية ملكية سكة الحديد التي تصل سيبيريا بفلاديفوستوك ليشارك الصين في ملكية هذا الخط (١٩٢٤) الا انه عاد فباع حصته الى اليابان لما استولت على منشوريا واقامت دولة منشوكيو.

حكم تشانغ كاي شك

مات صن يات صن في ١٢ آذار ١٩٢٥، فخلفه تشانغ كاي شك قائد القوات الوطنية وابرز اعضاء حزب كيومين تانغ. وسقطت في يده كل المناطق المعارضة في الشمال. وبدت المصالح الاستعمارية والمنشآت الاجنبية مهددة بالزوال. وتعالت صيحات «الصين للصينيين». فكانت مرحلة مجيدة لحزب الكيومين تانغ في كفاحه ضد الاستعمار. واضطر البريطانيون للتخلي عن كثير من مراكزهم (واي هاي واي وهان كيو...) واليابانيون عن شانتونغ.. فيما تكتل الشماليون حول زعيمهم تشانغ تسو لين دون جدوى.

ولم تنقض فترة طويلة حتى ذر قرن الخلاف بين حزب كيومين تانغ والشيوعيين. فالاول يريد تدعيم الوحدة الداخلية والتخلص من المستعمرين عن طريق شحذ الشعور الوطني، والشيوعيون يريدون بالاضافة الى ذلك جعل الحكم سوفياتيًا (حكم مجالس) على غرار روسيا، وتحويل الثورة الوطنية الى ثورة اجتماعية. وظن الشيوعيون انهم قادرون على التخلص من تشانغ فتحول الى قتالهم في الجنوب، واحتل نانكين وجعلها العاصمة بعد ان شتت النقابات الشيوعية في شنغهاي. ففقد الشيوعيون الدعم العمالي لقضيتهم وتحولوا نحو الفلاحين يعدونهم بحسنات النظام الاشتراكي وبتوزيع الاراضي عليهم.

هكذا تكرّس الانقسام بين حزب كيومين تانغ والشيوعيين، واستمر النزاع بينهما عشر سنوات، تشانغ من جهة يقود جيشا منتصرًا تعضده القوى الرأسمالية في الخارج والبورجوازية في الداخل، والشيوعيون من جهة ثانية يقاومون بشكل عصابات اتخذت اسم «الجيوش الحمراء».

وفي عام ١٩٢٨ دخلت جيوش تشيانغ كاي شك پكين واختير رئيسًا للجمهورية واتخذ نانكين عاصمة له ، واعترفت الدول الغربية بحكمه . فبدأ مذابح رهيبة ضد الشيوعيين وانصارهم . فاستعدى الجنوب مجددًا ، خاصة في كانتون حيث حاول يساريو حزب الكيومين تانغ ان يقيموا حكمًا مستقلًا (١٩٣١) . واستفاد اليابانيون من فوضى الجنوب والانقسام الداخلي ليطمعوا باراضي الصين .

الاحتلال الياباني

وكان التيار الوطني الصيني موجهًا ضد اليابان بشكل خاص . فاعتدى الوطنيون على التجار اليابانيين وقاطعوا بضائعهم وهاجموا سفنهم الراسية في موانئ صينية (في شنغهاي ١٩٢٦) ، فيما كانت اليابان تفتش عن سبب لمهاجمة الصين .

واليابان آنذاك تعاني من صعوبات داخلية زاد في وطأتها تدخل العسكريين ، فاجتمعت اسباب عسكرية واقتصادية لاعتماد سياسة التوسع في الصين . وكانت ذريعة التدخل مقتل ضابط ياباني قرب موكدن (٧ تموز ١٩٣١) ، فاحتل اليابانيون المناطق المجاورة لهذه المدينة ، بحجة حماية الخط الحديدي التابع لهم . واصموا آذانهم عن نداء عصبة الامم ، واحتلوا كل منشوريا وجزءًا من الصين الداخلية ، بينما تشانغ كاي شك لاهٍ في قتال الشيوعيين ولم يواجه اليابانيين الا مرة واحدة في شنغهاي عام ١٩٣٢ .

واقام اليابانيون دولة منشوكيو ، واعادوا العائلة الامبراطورية الى الحكم تحت وصايتهم . ونودي بالصبي الذي ازاحه يوان شي كاي امبراطورًا . وازداد موقف تشانغ حراجة في نظر متطرفي الكيومين تانغ خاصة بعد ان اعاد العلاقات الدبلوماسية بين نانكين وطوكيو (خريف ١٩٣٣) . وتدفقت البضائع والمصنوعات اليابانية على الصين فاثارت هلع الغرب بدوره .

بروز ماوتسي تونغ

ثارت حفيظة الفئات الوطنية ضد تشانغ واعتبرته قد سهل مهمة الغزو الاجنبي . ومن جهة ثانية كانت الدعاوة الشيوعية قد نشطت في اوساط فلاحي مقاطعات كيانغ سي وفوكيان وهونان وهوبيه ، واعلنت قيام « جمهورية شعبية صينية » في كيانغ سي برئاسة ماوتسي تونغ (١٩٣١) . واتكلت هذه



الهزيمة على وجه
تشانغ كاي تشك .

دولة العامل والفلاح

« ان القوى العفوية للرأسمالية ظلّت تنمو باطراد في الريف خلال السنوات القليلة الماضية ، وظهر فلاحون اغنياء جدد في كل مكان ، كما ان عدداً كبيراً من الفلاحين المتوسطين الميسورين يسعون سعياً حثيثاً لكي يصبحوا فلاحين اغنياء ، في حين ان كثيراً من الفلاحين الفقراء ما زالوا يعانون الفقر اذ تعوزهم الوسائل الكافية للانتاج ، فبعضهم مدينون ، والبعض الآخر يبيعون اراضيهم او يؤجرونها . واذا ما استمر هذا الاتجاه بلا رادع فان الاستقطاب في الريف سوف يستفحل بلا شك من يوم لآخر . والفلاحون الذين فقدوا أراضيهم او الذين ظلّوا يعانون الفقر سوف يلوموننا على اننا لا نسعى لانقاذهم من الخراب او اننا لم نساعدهم على تذليل مصاعبهم . اما الفلاحون المتوسطون الميسورون الذين يسيرون في اتجاه الرأسمالية فسيستاؤون منا ايضاً ، اذ اننا لا نتمكن من تلبية مطالبهم ابداً اذا كنا لا ننوي اتخاذ الطريق الرأسمالي . فهل يمكن ان يبقى تحالف العمال والفلاحين راسخاً في ظل هذه الظروف ؟ كلّا بالطبع . فهذه المشكلة لا يمكن حلّها إلا على أساس جديد . وهذا يعني انه في الوقت الذي نحقق فيه بالتدرج التصنيع الاشتراكي ، والتحويل الاشتراكي في الصناعة الحرفية والصناعة والتجارة الرأسماليتين ، نحقق التحويل الاشتراكي تدريجياً في الزراعة كلها ، اي تعميم نظام التعاونيات واستئصال نظام اقتصاد الفلاح الغني ونظام الاقتصاد الفردي في الريف حتى يتمتع جميع افراد الشعب في المناطق الريفية برخاء عام . وهذا فيما نرى هو الطريق الوحيد لتدعيم التحالف بين العمال والفلاحين . »

ماوتسي تونغ

من كلمة في تموز ١٩٥٥

الجمهورية على جيش من الفلاحين عدته ستون الفًا في البدء. وفشل تشانغ كاي شك في القضاء السريع عليهم، ثم ما لبث ان احرز ضدهم انتصارًا باهرًا (ت ١ ١٩٣٤).

ولم يطل الأمر حتى استعاد ماوتسي تونغ زمام الامور، وبدأ «الزحف الطويل» نحو الشمال (١٢ الف كلم) وانتهى به الى احتلال منطقة يونان. وتألب حوله المثقفون وغلاة الوطنيين، وراحوا ينددون بتقاعس تشانغ كاي شك عن ايقاف الزحف الياباني بعد ان سقطت منشوريا (١٩٣١) وجيهول (١٩٣٣)، ويتهمونه بالتواطؤ مع المحتلين.

وتحول تشانغ كاي شك عن محاربة الشيوعيين مكرهًا؛ فبينما هو في جولة في سيان فو عاصمة منطقة تشين سي الجبلية، اعتقله مضيفه القائد الشاب تشانغ هُسُويه ليانغ مدة اسبوعين (١٢ ك ٢ ١٩٣٦)، ولم يطلقه الا بعد ان انتزع منه وعدًا بالتوقف عن محاربة الشيوعيين والاتفاق معهم على طرد اليابانيين اولًا.

الاتحاد في وجه اليابان

كان الوضع الدولي متأزمًا: الاتحاد السوفياتي مشغول بالمحاكمات فاعتقد العالم الخارجي بقرب انهيار الاوضاع الداخلية فيه، وفرنسا وانجلترا مشغولتان بالحرب الاهلية الاسبانية، والولايات المتحدة تنادي بلزوم الحياد. فظنت طوكيو ان الظرف مؤات لغزو الصين وانتزاع مناطق النفوذ السوفياتية في منغوليا والشرق الاقصى فتخضع الصين ساعتئذٍ صاغرة. ولم يدر في خلدهم ان هذه غدت قوية نظرًا لاتحادها وراء تشانغ كاي شك.

وفي اليوم السابع من الشهر السابع من عام ١٩٣٧ (السبعة المضاعفة كما سماها الصينيون)، بدأ الهجوم الياباني على بكين، وتلته اطول حرب عرفها الشرق الاقصى، لانها اضحت فيما بعد جزءًا من الحرب العالمية الثانية. وسقطت مناطق الصين الشمالية والشرقية والجنوبية في ايدي اليابانيين. ورغم ذلك صمد تشيانغ في الداخل، وساعده في صموده ما تلقاه من مساعدات بريطانية واميركية عن طريق بورما وسوفياتية عن طريق الشمال. اما بالنسبة للشيوعيين بصورة خاصة فقد كانت الحرب فترة ترسيخ اقدامهم مستفيدين من انتشار المجاعة والفوضى والتضخم النقدي؛ حتى اذا

مالت الكفة ضد اليابانيين بدأوا يوسعون رقعة نفوذهم على حساب تقلص نفوذ اليابانيين وتشانغ كاي شك معًا .

النشاط الشيوعي

ولم تشغل الحرب الشيوعيين عن دعاوتهم ، فاستقطبوا جماهير الفلاحين ، ومالت اليهم جماعة الوطنيين نظرًا لكونهم قد اعلنوا حربًا لا هوادة فيها على اليابانيين . اما التقهقر فكان يتحمله تشانغ كاي شك لا هم . وما انتهت الحرب حتى اصبح عدد المحازبين الشيوعيين مليونًا ومايتي الف ، وجيشهم قد تدرب على القتال . وبعد زوال الخطر الياباني غدا متعذرًا تفاهمهم مع الكيومين تانغ ، لا بل اضحى الصدام نتيجة حتمية .

وفشلت محاولات اميركية للتوفيق بين الزعيمين تشانغ وماو . ولما تعثرت المحادثات بين الفريقين ، انفرد الكيومين تانغ بالحقائب الوزارية واحتدم النزاع الداخلي مجددًا ، وباءت كل محاولات التوفيق الاميركية بالفشل . واقتنع الاميركيون متأخرين بان المد الشيوعي آخذ بالتعاظم ولا بد من وقفه ، فصمموا على مساندة تشانغ كاي شك . وهو آنذاك لا يزال مسيطرًا على شرقي الصين وشماليها (ما عدا منشوريا) .

انتصار الشيوعية

افاد ماو من ضعف خصومه ، فالفئات الشعبية قد ايقنت ان حزب الكيومين تانغ قد فشل في تنفيذ ما وعد به من اصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي . والجيش الذي اعتمد عليه تشانغ استمر فاسدًا جشعًا متعاليًا . بينما انتظمت فئات الفلاحين ، بفضل آراء ماو ، ضمن مجموعات قروية تعاونية . وساندت الجيش العقائدي لما رأته يشاركها السعي لكسب القوت ويحرث الارض معها . ولما نشب النزاع بين الوطنيين والشيوعيين عجز تشانغ كاي شك عن الصمود رغم كل ما قدمه الاميركيون له من اموال واعتدة وذخائر وخبراء .

وبدا الفرق شاسعًا بين امكانات الفريقين ، فالشيوعيون حسنو التنظيم ، تساندهم كل الفئات الشعبية ، مجهزون باسلحة سوفياتية او يابانية استولى عليها الروس في منشوريا . بينما تشانغ كاي شك غارق في فوضى العسكريين وفساد الادارة المدنية والعجز المالي وتقلّص الشعبية كما ان بعض ضباطه لم يحجموا عن بيع ما تلقوه من اسلحة اميركية لانصار ماو .

وكنتيجة طبيعية لهذه الامور ، شحت الذخيرة لدى جيش تشانغ ، فاستسلمت احدى فرقه في الشمال (اواخر ١٩٤٨) ، وانكفأت الفرق الباقية نحو الجنوب يتعقبها الشيوعيون حتى احتلوا نانكين وكانتون ١٥ ت ١ ١٩٤٩ واستقال تشانغ كاي شك ليمهد الطريق نحو التفاهم فلم ينجح ، وانسحب الى فورموزا (ك ١ ١٩٤٩) معللًا نفسه بالعودة يومًا.

الصين الشيوعية

وتقلصت الصين الوطنية بعد هزيمة تشانغ حتى اقتصرت على جزيرة فورموزا أو تايوان . واعلنت « جمهورية الصين الشعبية » في البر الاسيوي وعاصمتها بكين (اول ت ١ ١٩٤٩) . وترأس ماوتسي تونغ اولى حكوماتها ، ثم اصبح رئيسًا للجمهورية وامينًا عامًا للحزب الشيوعي حتى عام ١٩٥٨ . واشتدت اواصر التقارب بين الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي فانسحبت جيوش السوفيات من بور ارثور وقدّم ستالين لحليفه مساعدات ضخمة رسخت قواعد حكمه . فاستطاع اقامة دولة « العامل والفلاح » .

واعترف ماوتسي تونغ بفضل لينين حين صرح : لقد « اعطانا الماركسية اللينينية سلاحًا افضل من السلاح نفسه » . الا انه لم يأخذ عنه اخذًا اعمى بل عدّل كل ما اخذ قلبًا وقالبًا ليصبح اكثر انطباقًا على واقع شعبه . فاضحت العقيدة الصينية مزيجًا من الماركسية واللينينية والماوتسية . وبينما الاتحاد السوفياتي يشدد على دور العامل ، نرى ماو يشدد على دور الفلاح والمجموعات التعاونية القروية .

واقتضى تطبيق الشيوعية في الصين تضحيات جمة على الصعيدين الفردي والجماعي . وانعدم المفهوم العائلي لصالح المجموعات الشعبية ، خاصة في القرى . واستعادت المرأة حريتها في تقرير مصيرها ، فتساوت بالرجل واسهمت في الادارة . وبالرغم من اقامة مجالس محلية او عامة جعلت ماو يدعي بان الحكم ديمقراطي شمولي ، الا ان سيطرة الحزب الشيوعي ، الحزب الاوحد في البلاد ، صيرت الحكم دكتاتوريًا يسخر الفرد لمصلحة الدولة .

الصين الجديدة

ولم تقض الشيوعية على معالم التراث الوطني . فعلى الصعيد الثقافي ، عدلت المناهج وموادها لتلبي الحاجات الوطنية والحزبية ، وهيّأت الشبيبة

خروتشوف
وماوتسي تونغ .



نمور من ورق

لا يوجد في العالم شيء إلا وله طبيعة مزدوجة (هذا قانون وحدة الاضداد) ، وكذلك تتصف الامبريالية وجميع الرجعيين بطبيعة مزدوجة ، فهم نمور حقيقية ، وفي الوقت نفسه نمور من ورق . ويدلنا التاريخ ان طبقة سادة العبيد وطبقة ملاك الاراضي الاقطاعيين والطبقة البورجوازية ، قبل فوزها بسلطة الحكم وخلال فترة معينة بعده ، كانت طبقات نابضة بالحياة ، وكانت طبقات ثورية ومتقدمة ، وكانت نمورًا حقيقية ، إلا انها تحوّلت شيئًا فشيئًا في الفترة اللاحقة الى عكس ما كانت عليه ، تحوّلت الى طبقات رجعية متأخرة ، والى نمور من ورق ، نظرًا لان اضدادها – طبقة العبيد وطبقة الفلاحين والبروليتاريا – قد صلبت اعوادهم بالتدريج وخاضوا ضدها نضالات متزايدة في شدتها ، فاطاحت الشعوب ببعضها في نهاية المطاف وستطيح ببعضها الآخر في يوم من الايام . ان الطبقات الرجعية المتأخرة المتفسخة تحتفظ ايضًا بطبيعتها المزدوجة هذه امام نضالات الحياة او الموت التي تشنها الشعوب . فهي نمور حقيقية مفترسة ، تفترس الناس بالملايين وعشرات الملايين . ولهذا فان الشعوب تمر ، في نضالها ، بفترة عصيبة حيث تتخلل طريق النضال انعطافات وتعرّجات كثيرة . وقد ناضل الشعب الصيني ، في سبيل تصفية سيطرة الامبريالية والاقطاعية والراسمالية البيروقراطية في الصين ، اكثر من مائة عام قدّم فيها عشرات الملايين من الارواح قبل ان يحرز النصر عام ١٩٤٩ . انظروا ! ألم تكن تلك النمور نمورًا حية ، نمورًا من حديد ، نمورًا حقيقية ؟ ولكنها تحوّلت في آخر الأمر الى نمور من ورق ، نمور ميتة ، نمور رخوة كجبن فول الصويا . هذه حقائق تاريخية ، أفلم يشاهدها الناس ولم يسمعوا بها بانفسهم ؟ بلى ، لقد شاهدوا وسمعوا الآلاف وعشرات الآلاف من امثالها ! ...

ماوتسي تونغ

من كلمة القاها في اجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية اول ك ١ ١٩٥٨

لتقبل النظام الجديد مع الحرص على ابقاء الاسس الوطنية القديمة ، وبذلك لم يتح للاساليب والقواعد الغربية ان تسيطر . فعاد الاهتمام بالمعابد القديمة وسواها من الآثار القومية والشعبية .

وسرعان ما اصبح نجاح التجربة الشيوعية في الصين مثلًا رائعًا للبلدان المتخلفة في جنوب شرقي آسيا . واضحى ممكنًا الكلام عن « ظل الصين » تبسطه على آسية بل على جزء كبير من العالم . ولم تعد موسكو وحـــدها عاصمة الشيوعية . والاحداث التي تلت برهنت الى اي حد يكبر رصيد بكين وماوتسي تونغ في كوريا وفيتنام والبانيا ... ولم يطل الزمن حتى نشأ فتور بين الاتحاد السوفياتي والصين (منذ ١٩٦٠) واختلفت نظرة البلدين حول كيفية تطبيق الاشتراكية . ووصل الفتور الى حد النزاع المسلح على الحدود .

ويبقى السؤال الأخير ، وهو : الى متى سيبقى المعسكر الغربي معارضاً لدخول دولة ذرّية كالصين الى حظيرة الأمم المتحدة ؟

الكوادر (Les cadres)

اثارت سياسة التعايش السلمي نقمة ماوتسي تونغ على خروشوف ، وتحت عنوان الكوادر يتهجم الزعيم الصيني على الرئيس السوفياتي فيقول :

« لكي نضمن ألا يتغير لون حزبنا وبلادنا ، لا يكفي ان يكون لنا خط صحيح وسياسات صحيحة ، بل يتطلب الامر تربية وتكوين ملايين من الخلق ليواصلوا قضية البروليتاريا الثورية .

ان مسألة تربية الخلق لقضية البروليتاريا الثورية هي ، في التحليل النهائي ، مسألة ما اذا كان هناك في المستقبل من يواصلون القضية الثورية الماركسية اللينينية التي بدأها الجيل القديم من الثوريين البروليتاريين ام لا ؟ وهل تظل قيادة حزبنا ودولتنا في المستقبل في ايادي الثوريين البروليتاريين ام لا ؟ وهل يواصل خلفنا السير على الطريق الصحيح الذي رسمته الماركسية اللينينية أم لا ؟ أو بمعنى آخر هي مسألة ما اذ كان في استطاعتنا ان نحول بنجاح دون ظهور تحريفية خروشوف في الصين أم لا ؟ وجملة القول ان هذه مسألة على اعظم جانب من الاهمية ، مسألة حياة او موت لحزبنا وبلادنا . انها مسألة ذات اهمية اساسية بالنسبة الى مستقبل قضية البروليتاريا الثورية لمائة او الف سنة وحتى لعشرة آلاف سنة .

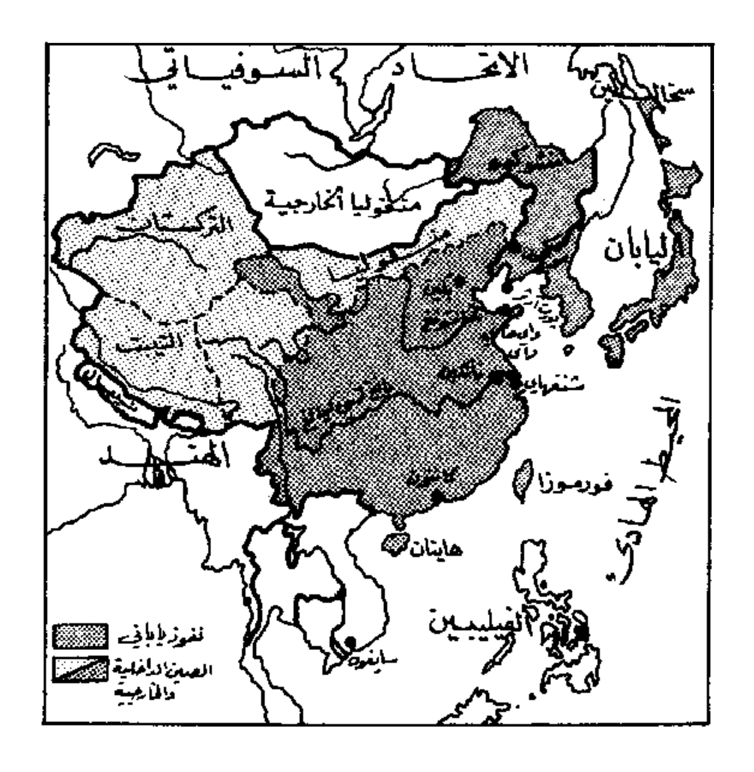
ان المتنبئين الامبرياليين ، استنادًا الى التغييرات التي حدثت في الاتحاد السوفياتي ، صاروا يعلقون آمالهم في « التحول السياسي » على الجيل الثالث او الرابع للحزب الصيني . فلا بدّ ان نخيّب هذه التنبؤات الامبريالية تخييبًا تامًا . ولا بد لنا ، من منظماتنا العليا الى السفلى ، ان نعتني دائمًا وفي كل مكان بتربية وتكوين الخلف للقضية الثورية . »

عن: «حول شيوعية خروشوف المزيفة والدروس التاريخية التي تقدمها للعالم»
١٤ تموز ١٩٦٤

التعايش السلمي

« ... كان خروشوف زعيمًا معتدلًا في حدود ارتباطه بايديولوجيته ، لذلك اعترف بان التكنولوجيا قد استطاعت ان تحمل الانسان الى نقطة تستطيع معها الحرب الذرية ان تدمر الدول الشيوعية بالقدر نفسه الذي تدمر به الدول الرأسمالية ، لذلك فان التعايش هو السياسة الحكيمة الوحيدة في هذه اللحظة الى ان تستطيع احداها ان تدمر الأخرى وتحقق انتصارًا شاملًا وسريعًا دون خوف من الدمار الذاتي ، او الى ان تستطيع قوى التاريخ ان تشق طريقها مع الرأسمالية . ولهذا السبب اصبحت الزعامة السوفياتية تلجأ الى الصبر ، وهو أمر يجعل الاتحاد السوفياتي لا يخفي البتة الهزيمة او خيبة الأمل حين يتحقق انتصار واحد فقط لاحد الاعداء او المعارضين . لذلك فان الاتحاد السوفياتي يعمل دائمًا عن طريق السياسات البعيدة المدى . »

حمدي حافظ
المشكلات العالمية المعاصرة ص ٧١٠
الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة



١٨ سياسة الأحلاف

المعسكران

١ – المعسكر الغربي

فرّقت الحرب كلمة اوروبا الغربية وقسمتها على نفسها . وافقدتها الازمات الاقتصادية عنصر المبادرة في السياسة الدولية . وعجزت كل منها عن الوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي منفردة ، فتعيّن عليها ان تنضوي جميعًا تحت قيادة قادرة على التصدي للمعسكر الشرقي ؛ لان الخطر الذي يهددها لم يعد النازية بل الشيوعية وعاصمتها الوحيدة آنذاك موسكو. فاسلست القياد للولايات المتحدة ، واضحى مفهوم المعسكر الغربي شاملًا لدول اوروبا الرأسمالية وما يقابلها من دول ما وراء الاطلسي .

٢ – المعسكر الشيوعي

وجعلت الحرب من الاتحاد السوفياتي سيدًا في اوروبا الوسطى والشرقية. فوطد سلطته عليها عن طريق فرض النظام الواحد اي « الديمقراطية الشعبية » باشراف الحزب الشيوعي . لذلك عرفت هذه البلدان جميعًا بـــاسم « الديمقراطيات الشعبية » ، (وهي : بلغاريا ، رومانيا ، بولندا ، المجر ، البانيا ، واخيرًا تشيكوسلوفاكيا) . ففي **بلغاريا** ذهب ضحية التطهير الفان (١٩٤٥) قبل ان يستطيع ديمتروف الموالي لستالين ان يقر دستورًا جديدًا (٤ ك ٢ ١٩٤٧) منقولًا عن دستور الاتحاد السوفياتي . وفي **رومانيا** اجبر الملك على التنازل في مطلع ١٩٤٥ ، واعلنت الجمهورية الديمقراطية الشعبية عام ١٩٤٧ . وفي **المجر** اقر الدستور الجديد والحكم الشيوعي بعد مرحلة من التطهيرات استمرت عامين (ت ٢ ١٩٤٧) ، كما تنكر الاتحاد السوفياتي للحكومة **البولندية** في المنفى (لندن) واصر على اعطاء حق الحكم للجنة لوبلن (Lublin) (مدينة بولندية في الجنوب الشرقي) وحدها . واخيرًا كان دور **تشيكوسلوفاكيا** ، عندما ادى انقلاب شباط ١٩٤٨ الى مجيء الشيوعيين وحدهم للحكم ، غير ان الحكم الديمقراطي الشعبي فيها لم يعلن قبل عام ١٩٦٠ . وتشذ عن هذه المجموعة **يوغوسلافيا** ، حيث عجز ستالين عـــن السيطرة على تيتو .

واحكامًا للطوق الشيوعي على هذه الديمقراطيات الشعبية ، عمد ستالين

الى فرض تنظيم شيوعي واحد هو الكومينفورم (Kominform) (او ما سماه «شيوعية البلد الواحد») وقد حل منذ تشرين اول ١٩٤٧ محل الكومينترن الملغى خلال الحرب. وغدا الكومينفورم «هيئة اعلامية دعائية تستهدف تنمية الثورة الشيوعية الشاملة في العالم» يقينًا من ستالين بان الشيوعية متى رسخت في الداخل تصبح عقيدة سهلة التصدير الى الخارج.

التقارب بين دول الغرب

مذ اعلنت الديمقراطيات الشعبية في اوروپا الشرقية والوسطى ونشط الكومينفورم، شعرت دول اوروپا الغربية بضرورة التكاتف لمواجهة الخطر الشيوعي. وازداد خوفها عندما اعلن الاتحاد السوڤياتي في تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ امتلاكه لسر صنع القنبلة الذرية. ولما حصل الانقلاب في پراغ عاصمة تشيكوسلوڤاكيا وانفرد الشيوعيون بالحكم نهائيًا، (فيما كانت قوات ماوتسي تونغ في المرحلة الاخيرة من النصر)، سارعت كل من بريطانيا وفرنسا الى دعوة جاراتهما الغربيات (بلجكا، اللوكسمبورغ، هولندا) لعقد حلف بروكسل (١٧ آذار ١٩٤٨) ضد الخطرين النازي والسوڤياتي معًا، بعد ان كانت فيما سبق متفقة بموجب معاهدة دنكرك ضد الخطر النازي وحده.

واستحال حلف بروكسل نـواة لتنظيمات غربية أبرزها «اتحاد اوروپا الغربية»، و «المنظمة الاوروبية للتعاون الاقتصادي» (O.E.C.E.) للافادة المشتركة من مشروع مارشال (نيسان ١٩٤٨). وبذلك تكون دول اوروپا الغربية قد قطعت خطوة هامة نحو اقامة وحدة، بانتظار دعم اميركي.

وفيما الأمور تتأزم والخلاف يتسع بين المعسكرين، اعلن الاتحاد السوڤياتي عزمه على حصار برلين في اول تموز ١٩٤٨. فلم يعد ثمة مجال للتردد في طلب العون من الولايات المتحدة.

حلف شمال الاطلسي

ودعا المسؤولون الفرنسيون الولايات المتحدة لتقديم العون لحلف بروكسيل. فوافقت دون حرج، لا سيما وانها كانت تقدم العون المالي ضمن مشروع مارشال، وهذا امر يلائم سياسة «حصر» التيار الشيوعي (Containment) التي كانت تتبعها. وبعد مباحثات معقدة وافقت الولايات المتحدة على الانضمام للحلف في ٤ نيسان ١٩٤٩، واضحى اسمه «حلف شمال الاطلسي» واشتركت في عضويته عشر دول هي: هولندا، بلجكا،

اللوكسمبورج ، بريطانيا ، فرنسا ، البرتغال ، نروج ، ايسلندا ، كندا ، الولايات المتحدة ، وفيما بعد اليونان وتركيا فايطاليا والمانيا الغربية .

وهو في خطوطه العريضة معاهدة عسكرية دفاعية تشمل جميع اراضي الدول الموقعة (بما فيها الجزائر بناء لرغبة فرنسا) . ونص في بعض بنوده على التعاون السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وعلى احترام سيادة واستقلال كل الدول الموقعة . وابرز ما في بنوده المشاركة العسكرية التي تسهم بها كل دولة عضو بان تضع الجنود والمعدات بتصرف القيادة العسكرية للحلف لتدريبها وتجهيزها . (انظر ص ١٨٧)

محاولات الوحدة الأوروبية

وتعددت المحاولات الوحدوية الاوروبية بعد ذاك ، مع السهر على تحاشي نهضة عسكرية المانية . وحتى لا تمتعض المانيا من هذا الامر ، عرضت عليها كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة معاهدة دفاعية تعتبر الاعتداء على احدى دول الحلف بمثابة اعتداء عليها جميعًا . وكانت سياسة الدفاع عن المانيا دون تسليحها خطوة مشجعة للدول الاوروبية الغربية الست لتنمّي فيما بينها فكرة وحدة اوروبية (اعني دول المانيا وفرنسا وبلجكا وهولندا واللوكسمبورغ وايطاليا) . فتمخضت الجهود اخيرًا عن نشوء المجموعة الاوروبية للفحم والحديد (C.E.C.A.) ١٨ نيسان ١٩٥١ ، وتلاها نشوء المنظمة الذرية الاوروبية (Euratom) . غير ان كل هذه الخطوات الوحدوية لم تثمر على الصعيد العسكري نظرًا لمعارضة فرنسا. فتركز الجهد ساعتئذٍ على اعادة تنظيم « حلف شمال الاطلسي » وجعله اكثر فعالية بقبول عضوية دول اخرى هي اليونان وتركيا (١٩٥١) وايطاليا والمانيا (١٩٥٤) .

الأحلاف الغربية في الشرق

١ – قبل حلف «اوتاز»

كانت بريطانية اول المهتمين بجنوب شرقي آسية . فقد وضع وزراء خارجية دول الكومونويلث مشروع كولومبو (عاصمة سيلان) « للتعاون الاقتصادي لتنمية دول جنوب شرق آسية » (١٩٥٠) . وهدفه كما ينص عليه اسمه اقامة المشاريع للمساعدة على رفع مستوى المعيشة في تلك البقعة من الشرق ، درءًا للمد الشيوعي المتعاظم ضمن تلك الدول المتخلفة.

ولم تبال الولايات المتحدة بالخطر الشيوعي هناك ايمانًا منها بقدرة تشيانغ كاي شك على الصمود في وجه ماوتسي تونغ ومن ورائه كل الاتجاهات

اليسارية . لذلك احجمت عن مد يد المساعدة لفرنسا في حرب الهند الصينية . وابتداءً من عام ١٩٥١ حاولت ان تستدرك ما فاتها ، فعقدت سلسلة احلاف تعزز بها مركزها في الشرق الاقصى . وكان اولها حلفًا دفاعيًا مع استراليا وزيلندا الجديدة ، وثانيها حلفًا دفاعيًا مع الفيليبين يسمح لها باقامة قواعد عسكرية ، وثالثها مع اليابان بعد ان اضحت تعاملها كحليف . وتكشّف مؤتمر جنيف (١٩٥٤) لبحث قضية الهند الصينية عن ضعف الغرب عسكريًا في تلك المنطقة ؛ فسارعت الدول الغربية الكبرى (فرنسا انجلترا الولايات المتحدة) الى اقامة حلف في جنوب شرق آسية على غرار حلف شمال الاطلسي .

٢ – حلف «اوتاز» أو «سياتو»

ووقّعت الدول الكبرى الثلاث مع استراليا وزيلندا الجديدة والفيليبين والپاكستان وتايلاند على معاهدة مانيلا الدفاعية في ٢ ايلول ١٩٥٤ . ورفضت بورما والهند وسيلان الدعوة للتوقيع على هذه المعاهدة . وكانت تلك خطوة تمهيدية تمخضت عن قيام «منظمة معاهدة جنوب شرق آسية» او اوتاز (بالفرنسية) سياتو (بالانجليزية) . ويتولى الشؤون التنفيذية في هذه المنظمة مجلس دائم ، قوامه سفراء الدول الاعضاء في بانغكوك (عاصمة تايلاند) وممثل عن الحكومة التايلاندية . على ان يجتمع وزراء خارجية الدول الأعضاء مرة على الاقل في العام .

وتألفت لجان لتنسيق الجهود العسكرية والتبادل الاقتصادي بين الدول الموقعة . ورغم ذلك ظلت المنظمة تشكو من نقاط ضعف ابرزها : ضآلة فعاليتها العسكرية ، والنشاط الشيوعي في قلب الدول الاعضاء ، ورفض الدول الاسيوية الكبرى كالهند الانضمام الى هذه المنظمة .

٣ – حلف بغداد

خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ نشطت العلاقات بين المعسكر الشيوعي وبعض بلدان الشرق الاوسط ، واخصها مصر وسوريا . فلم يقف المعسكر الغربي مكتوف اليدين ، بل اوعزت بريطانيا الى تركيا بالسعي لتوقيع حلف دفاعي مع العراق (شباط ١٩٥٥) ، ترك مجال الانضمام اليه امام كل دولة (باستثناء اسرائيل) شرط ان يوافق على ذلك بقية الاعضاء . وبعد ثلاثة اشهر (نيسان ١٩٥٥) انضمت بريطانيا وتلتها الپاكستان فايران بالرغم من الصعوبات التي على ايران ان تواجهها مع الاتحاد السوڤياتي (معاهدة ١٩٢١ بين البلدين تسمح للسوڤيات بادخال جيوشهم الى ايران اذا شعروا ان امنهم

مهدد) . غير ان سياسة التعايش السلمي آنذاك لطّفت من لهجة الاتحاد السوڤياتي . وكان مركز الحلف بغداد ، ويضم لجاناً عسكرية واقتصادية شاركت فيها الولايات المتحدة دون ان تنضم رسمياً الى الحلف . فواجهتها مصر والسعودية باعتراضات عنيفة زاد في حدتها ان الولايات المتحدة قد عقـدت اتفاقات دفاعية ثنائية مع باكستان وتركيا وايران . غير ان ثورة العراق (١٤ تموز ١٩٥٨) ادت الى انسحاب العراق من الحلف فاضحى معروفاً باسم الحلف المركزي او السنتو (Cento) .

حلف وارسو
(١٤ ايار ١٩٤٥)
١ – المقدمات

مذ قامت الديمقراطيات الشعبية في اوروبا اشتدت اواصر التعاون بين دول المعسكر الشرقي . واتى الكوميكون (C.O.M.E.C.O.N.) ١٩٤٩ او « مجلس التعاون الاقتصادي » ينسق الانتاج لتحقيق التكامل الاقتصادي فيما بينها . وعمد الاتحاد السوڤياتي الى عقد احلاف ثنائية ربطته بكل من الديمقراطيات الشعبية اولًا ثم ربطت الديمقراطيات الشعبية مع بعضها البعض (بين ١٩٤٣ و ١٩٤٩) . ولما وقع الاتحاد السوڤياتي المعاهدة مع النمسا (١٩٥٥) سهل عليه ان يسحب قواته من اوروبا الشرقية . ورداً على اقامة الغرب لحلف شمال الاطلسي (نيسان ١٩٤٩) وحلف اوتاز (٢ ايلول ١٩٥٤) ، وجواباً على استمرار الولايات المتحدة في تطبيق سياسة الحصار (Containment) قرّر الاتحاد السوڤياتي ان يستبدل المعاهدات الثنائية بحلف دفاعي تشترك فيه كل دول المعسكر الشرقي .

٢ – حلف وارسو

وقعته الدول الاوروبية الشيوعية الثمانية ، واتخذ اسمه من عاصمة بولندا . ونصت بنوده على تعاون متبادل بين الدول الموقعة حول قضايا الدفاع والاقتصاد والسلم وعلى الامتناع عن النزاع المسلح بين الديمقراطيات الشعبية. ولم يكن حلف وارسو معقداً في تنظيمه كحلف شمال الاطلسي . بل هناك لجنة استشارية سياسية ، وقيادة عسكرية موحدة (تسلمها في البدء المارشال السوڤياتي كونييف) دونما حاجة الى المزيد من الايضاحات القانونية لما بين هذه الدول من تقارب عقائدي واتجاه موحد . غير ان هذا لم يحل دون تصدع العلاقات احياناً (ثورة المجر ١٩٥٦ وقمعها بالشدة ، ثورة تشيكوسلوڤاكيا وقمعها) فاضطر السوڤيات لاعتماد المرونة ، مع رومانيا مثلًا .

بعض مواد ميثاق الاطلسي
واشنطن في ٤ ابريل ١٩٤٩

المادة الاولى: تعهد اطراف المعاهدة بناء على ما ورد في ميثاق هيئة الأمم المتحدة بان يعملوا على تسوية جميع المنازعات الدولية التي يكونون مشتركين فيها، بطرق سلمية وبكيفية لا تؤدي الى تعكير صفو السلم والأمن الدولي ولا تناقض مبادئ العدالة، وان يمتنعوا في علاقاتهم الدولية عن التهديد او استعمال القوة باية كيفية لا تتفق مع اغراض الأمم المتحدة.

المادة الثالثة: لتحقيق اغراض هذه المعاهدة اتفق الاطراف على ان يعملوا على انفراد او جماعة، بكل وسيلة ممكنة من وسائل الاستعداد الخاص والتعاون المشترك على المحافظة على طاقة كل منهم وطاقتهم مشتركين على مقاومة اي هجوم مسلح وتعزيزها.

المادة السادسة: توضيحاً لما ورد في المادة الخامسة يكون الهجوم المسلح واقعاً على طرف واحد او اكثر متى وقع على الاراضي التابعة لاي طرف في اوروبا او امبركا الشمالية او على المستعمرات الفرنسية في شمال افريقيا او على قوات الاحتلال لاي طرف في اوروبا او في الجزر التابعة له في منطقة شمال المحيط الاطلنطي الواقعة في شمال مدار السرطان او على السفن والطائرات التابعة لاي طرف في هذه المنطقة.

المادة الثانية عشرة: يتشاور الاطراف متى طلب احدهم ذلك بعد مضي عشر سنوات او اكثر على تاريخ بدء تنفيذ المعاهدة للنظر في امر تعديلها مع مراعاة العوامل الخاصة بالسلم والأمن في منطقة شمال الاطلنطي في ذلك الحين ومنها اتخاذ تدابير عالمية او اقليمية بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة للمحافظة على السلم والأمن الدولي.

المادة الثالثة عشرة: يجوز لكل طرف، بعد انقضاء عشرين سنة على تاريخ البدء في تنفيذ المعاهدة ان يتحرر من احكامها بعد سنة واحدة من اخطاره لحكومة الولايات المتحدة الامبركية بعدم ارتباطه باحكام المعاهدة. وعلى هذه الحكومة ان تبلغ حكومات الاطراف الاخرى بنبأ ايداع كل اخطار لعدم الارتباط بتلك الاحكام.

١٩ الحُروبُ البَارِدَة

الحرب الباردة

هي كل نزاع لا يصل الى حد القتال ، يعبئ له المعسكران الشرقي والغربي كل اساليب الضغط ، بغية الحصول على مكاسب معنوية ومادية . ولا فرق في هذه الحرب بين مُمْسك بزمام المبادرة ومضطر للرد ؛ لان « توازن الرعب » الناتج عن سباق التسلح يحذر المعسكرين من تجاوز « شفير الهاوية » اي الانجراف الى مواجهة ذرية .

وقد كانت الحرب الاهلية اليونانية اول مواجهة غير مباشرة بين المعسكرين ، اقتنع الغرب بعدها بضرورة التصدي للمد الشيوعي المتقدم في كل اتجاه . واضحى النزاع بين خصم يعرف ماذا يريد هو الاتحاد السوڤياتي وآخر منساق للرد عليه بفعالية هو الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة . وما تأخُّر اقرار معاهدات الصلح بعد الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة لهذا الصراع وسببٌ لافتعال الازمات وبالتالي الحروب الباردة .

برلين

منذ توقيع الهدنة (٨ ايار ١٩٤٥) ، لم يعد ثمة دولة المانية بل شعب الماني . فتسلم الحلفاء السلطة واقتسموا البلاد فيما بينهم : منطقة سوڤياتية في الشرق من ضمنها برلين ، وثانية اميركية ، وثالثة بريطانية ، ورابعة تنازلت عنها لفرنسا حليفتاها الغربيتان . اما برلين العاصمة فقد جزّئت الى قطاعين وتسلم السلطة فيها مجلس رباعي . وسرعان ما ظهرت الخلافات داخل مجلس وزراء خارجية الدول الحليفة حول كل الموضوعات . واتضح تدريجيًا ان للاتحاد السوڤياتي مرامٍ خاصة باشر بتنفيذها عندما فرض تنظيمًا سوڤياتيًا على القطاع التابع له في المانيا الشرقية ؛ وهذا ما يفسّر عدم تعاونه مع الغرب . فافتعل الازمات داخل المجلس الرباعي المشرف على شؤون برلين ، متذرعًا بان تبديل النقد الالماني (المارك) قد خلق تضخمًا ماليًا في القطاع السوڤياتي . وكان آخر اجتماع لهذا المجلس في ٢٠ آذار ١٩٤٨ ، وفي ٣٠ منه بدأ حصار برلين وبالتالي ازمة حرب باردة .

مقاومة السوڤيات في برلين الشرقية.



جدار برلين.

حصار برلين

في ٣٠ آذار ١٩٤٨ قطع السوفيات الطريق بين برلين والمانيا الغربية. فتعيّن على الغرب ان يختار احد امرين: إما الاذعان لشروط السوفيات حول معاهدات الصلح، أو تموين برلين عن طريق الجو لابطال مفعول الحصار. فامر ترومان بتموين برلين وتأمين استمرار الاتصال بها عن طريق جسر جوي، وكانت طائرة تحط في مطارها كل ثلاث دقائق لمدة نيّفت على العام (حزيران ١٩٤٨ – ايار ١٩٤٩)، ونجح الاميركيون في رد التحدّي السوفياتي. وكانت تلك سابقة لم يعرف التاريخ نظيرًا لها، نجم عنها ان استمال الغرب الرأي العام الالماني وشحذه ضد الروس.

غير ان ازمة برلين عادت الى التفاعل مرارًا ابرزها عام ١٩٥٨ عندما هدّد خروتشوف بحصار برلين مرة اخرى اذا لم تنسحب منها القوات الاميركية. وفي عام ١٩٦١ اقيم الجدار الشهير بين القطاعين الشرقي والغربي. وحتى اليوم لا يزال السوفيات يعرقلون من وقت الى آخر طريق المرور بين المانيا الغربية وبرلين كلما ارادوا ان يحتجوا على قضية. (انظر ص ١٨٩)

انقسام المانيا

انتهت الحرب الباردة في برلين لصالح الولايات المتحدة، لكنها ادت الى انقسام المانيا. ففي تشرين اول من عام ١٩٤٩ قد تحوّل القطاع الشرقي الى منطقة تنظيم سوفياتي، ورأى ستالين ان الوقت قد حان لاقرار دستور على غرار الدستور السوفياتي. فقامت دولة المانيا الشرقية في ٦ آذار ١٩٥٤ واقر لها الروس بسيادتها الكاملة، شرط ان تسمح بابقاء القوات السوفياتية على اراضيها ريثما يتم اعداد جيشها الخاص.

اذّاك بدأ الغرب يفكر بخلق دولة المانية غربية، ساعد على قيامها ان الدول الغربية الحليفة كانت قد انسحبت من مناطق الاحتلال منذ حزيران ١٩٤٨. وهكذا قامت دولة المانيا الفدرالية، غير انها بقيت تحت اشراف الحلفاء سياسيًا حتى عام ١٩٥٥. وتحول الرأي العام الالماني من معاد للحلفاء الى صديق. وباتت المانيا الفدرالية مستقلة تمامًا في تسيير اقتصادها فانضمت الى المنظمات الاقتصادية الاوروبية، وفي عام ١٩٦١ اعطيت الحق باقامة حدود واضحة وفي ذلك اعتراف صريح لها بالسيادة.

ونتيجة لاقامة هاتين الدولتين، بدلًا من ان يتصادم السوفيات والاميركيون

حول الشؤون الالمانية، أصبح رئيسًا الدولتين الالمانيتين يقومان بهذه المهمة وهذا أمر يكرس الانقسام تكريسًا نهائيًا.

الشرق الاقصى

وكان الشرق الاقصى ايضًا ميدانًا للتناحر بين المعسكرين؛ اولًا في كوريا حيث بدأت الحرب الباردة بالخلاف حول استمزاج آراء الاحزاب الديمقراطية في البلاد، وادت الى انقسام كوريا وقيام عاصمتين احداهما في الشمال: بيونغ يانغ، والثانية في الجنوب: سيول. ولم يطل الامر حتى تحول النزاع الى حرب ساخنة جاءت مواجهة غير مباشرة بين الاتحاد السوڤياتي والولايات المتحدة الاميركية. (راجع الحرب الكورية).

اما في ڤيتنام، فكان مؤتمر جنيف (٢٠ تموز ١٩٥٤) ميدانًا للنزاع بين المعسكرين. ورفضت الولايات المتحدة التوقيع على وثيقة واحدة مع الصين الشعبية لعدم اعترافها بها، ثم اخذت تسعى للحؤول دون اجراء الانتخابات الڤيتنامية في موعدها المحدد، حتى وصل الامر الى حرب ساخنة لا تزال مندلعة. (راجع حروب الهند الصينية).

الشرق الأوسط

مذ زُرعت اسرائيل في الشرق الاوسط (ايار ١٩٤٨)، ارادها الغرب اداة طيعة لسياسته يمالئ بها العرب ومن ورائهم المعسكر الشرقي فيما بعد. ورفضت هذه الدولة ان تكون لها حدود واضحة، وغايتها من ذلك اغتصاب المزيد من الاراضي تشجعها الدول الرأسمالية حفاظًا على مصالحها البترولية وتتخذ منها قاعدة استراتيجية في منطقة اخذت تميل بمعظمها الى المعسكر الشرقي.

وفي الشرق الاوسط انطلق النزاع رسميًا عند اعلان حلف بغداد وانضمام بريطانيا اليه في نيسان ١٩٥٥ واشتراك الولايات المتحدة في اعماله. في وقت كانت فرنسا تخسر رصيدها العربي لقمعها ثورة الجزائر، واسرائيل تجاهر بميلها للغرب. فافاد الاتحاد السوڤياتي من هذا الظرف الممتاز وأعلن اتفاقه مع مصر على مقايضة السلاح الشرقي بالقطن المصري عن طريق تشيكوسلوڤاكيا (٦ ايلول ١٩٥٥). فانتبه الغرب ساعتئذٍ الى اي مدى قد وصل في استعداء العرب، فاتاح للاتحاد السوڤياتي فرصة ثمينة كان ينتظرها للتغلغل بذكاء في الشرق الاوسط.

ولما احجمت الولايات المتحدة عن مد مصر بقرض لاقامة السد العالي، أمّم الرئيس المصري قناة السويس (٢٦ تموز ١٩٥٦) واعلن عزمه على دفع تعويضات لحملة الاسهم. ولم تكن باريس ولندن مستعدتين لتقبل هذا الواقع، فتتالت المؤتمرات الغربية بغية ايجاد حل للموضوع. وهيّأ ايدن (Eden) وموليّ (Mollet) وبن غوريون لحملة ثلاثية ترد القناة عنوة. ونفذت اسرائيل ما طلب منها اي: توغل جيوشها في سيناء متذرعة بملاحقة بعض الفدائيين المصريين (٢٩ ت ١ ١٩٥٦). ثم تدخلت بريطانيا وفرنسا تفرض على الفريقين المصري والاسرائيلي البقاء على بعد عشرة اميال شرقي وغربي القناة وانطلقت طائراتهما من قبرص تقصف بورسعيد (آخر ت ١ ١٩٥٦). (انظر ص ١٩٥)

وتحركت هيئة الامم المتحدة لايجاد حل للقضية، غير ان الوقع الحاسم كان لتهديد اطلقه خروتشوف، فشعرت العاصمتان البريطانية والفرنسية بانهما مهددتان من قبل السوفيات، وشجبت الولايات المتحدة عمل حليفتيها الغربيتين. فكان ان خرجت مصر ومن ورائها الاتحاد السوفياتي بكسب معنوي ضخم. وشاء ايزنهاور ان يستدرك ما فات الولايات المتحدة من نفوذ في البلدان العربية فجاء يعرض مشروعًا عرف باسمه (مشروع ايزنهاور ١٩٥٧) يقدم بموجبه المساعدة الاقتصادية والدفاعية لمن يطلبها او لمن يهدده الخطر الشيوعي. فانشقّ العرب فئتين، احداهما قبلت به والثانية رفضته وهي سوريا ومصر. ومنذ أزمة السويس دخلت البلدان العربية نطاق الأزمات الدولية والحروب الباردة. ونجم عن تباين الآراء فيما بينها قيام وحدتين اولاهما بين مصر وسوريا واليمن انتهت عام ١٩٦١، والثانية بين الاردن والعراق انتهت مع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

الأزمة الكوبية

في جزيرة كوبا يعيش اكثر من ستة ملايين نسمة جلهم من المزارعين الفقراء، بينما مقاليد الامور في يد قلة من كبار الملاكين والصناعيين والشركات الاميركية. فتعذّر التفاهم بين هاتين الطبقتين، وازدادت النقمة الاجتماعية حدة يغذيها استبداد الرئيس باتيستا (Battista) (منذ ١٩٣٣). ونجح انقلاب هيّأه في الخفاء فيدل كاسترو واضطر باتيستا للهرب الى الولايات المتحدة (مطلع ١٩٥٩).

ونشأت الازمة عندما تنكر كاسترو لسياسة الولايات المتحدة وتهجم عليها في مختلف خطبه ، ثم عندما امّم انتاج السكر واقرّ الاصلاح الزراعي ، وبلغ التباعد اوجه بعدما رفضت محطات التكرير الاميركية (العائدة لشركات Texaco و Shell و Esso,) تكرير بترول مستورد من الاتحاد السوفياتي (١٩٦٠) فوضعت الحكومة الكوبية يدها عليها . وردت الولايات المتحدة على ذلك بتخفيف وارداتها من السكر الكوبي ؛ وفي هذا ضربة موجعة لكوبا لان السكر يمثل ثمانين بالمائة من صادراتها . اذاك اعلن الاتحاد السوفياتي عن استعداده لشراء كل ما تصدره اليه كوبا من سكر لا تجد له اسواقًا في القارة الاميركية . ولما حجبت « منظمة الدول الاميركية » سياسة كاسترو ، رد عليها بتأميم ما تبقى من شركات اميركية في كوبا . ولدى انعقاد دورة الامم المتحدة في تشرين اول من ١٩٦٠ رفض ايزنهاور استقبال كاسترو وبدا بعد ذاك ان الامور قد تجاوزت حدًا تستحيل العودة عنه .

وبدأت الذخيرة والصواريخ السوفياتية تتدفق على كوبا ، بقابلها تعزيز قاعدة غوانتانامو الأميركية في الجزيرة. وانقطعت العلاقات الديلوماسية . فتبنى كندي خطة لغزو كوبا بمساعدة اللاجئين الكوبيين في الولايات المتحدة (الخطة كان قد اعدّها ايزنهاور) . وفشل الغزو وفرض كاسترو مقابل اطلاق الاسرى عددًا من الجرارات الزراعية (نيسان ١٩٦١) . وكان الغزو نقطة حاسمة في سياسة كاسترو ، اختاز بعدها المبدأ الماركسي بصورة نهائية .

واستمرت الازمة متفاعلة خارج القارة الاميركية ايضًا . فاتصل كندي بحليفاته الاوروبيات لاقناعها بالكف عن الاستيراد من كوبا ، فاتجه كاسترو نحو الاسواق الاشتراكية . وتحول الامر مواجهة بين المعسكرين .

على « شفير الهاوية »

وفي ١٠ ت ١ ١٩٦٢ اظهرت صور التقطتها طائرات الاستكشاف الاميركية فوق كوبا ان قواعد صواريخ نووية قد اقيمت فيها . ومعنى ذلك ان مدن الشاطئ الاميركي هي تحت وطأة تهديد مباشر . وشعر سكان الولايات المتحدة لاول مرة في تاريخهم انهم مهددون في عقر دارهم ، وعلى الحكومة الاميركية ان ترفع هذا التهديد بسرعة ومهما كلّف الامر . وتتالت التقارير

عن ظهور سفن شحن سوفياتية في طريقها الى كوبا . واضطر كندي ان يتخذ قرارًا حاسمًا ، فاعلن الحصار البحري على الجزيرة وابدت البحرية الاميركية تصميمها على تفتيش كل سفينة متجهة الى كوبا **(٢٣ ت ٢ ١٩٦٢)** فحبس العالم انفاسه امام جدّية الموقف وظن الكثيرون ان الحرب لا بد واقعة ، وقال الفيلسوف برتراند رَسِّل « سنموت جميعًا خلال اسبوع » . واخيرًا غلبت الحكمة والتعقل ، فغيرت السفن السوفياتية اتجاهها ، وتم اتصال هاتفي بين الرئيسين ادى الى حل القضية وازالة القواعد الصاروخية يقابلها ضمان اميركي لسلامة الارض الكوبية .

وهكذا انقضت هذه الحرب الباردة دون صدام ، واعتبرها الطرفان نصرًا له ؛ كندي : لانه ازال تهديد الصواريخ النووية لبلاده ، وخروتشوف : لانه جعل الاميركيين يفقهون ما معنى ان تكون بلادهم مهددة مباشرة ، فيمتنعوا عن تهديد كوبا .

وبعد كوبا لا تزال الحروب الباردة مستمرة ، تفتر وتتأزم ، ويتسع نطاقها ليشمل كل انحاء العالم . وما ازمة الشرق الاوسط اليوم إلا حلقة اخرى من حلقاتها ، انما المهم الا يضطر احد المعسكرين الى تجاوز « حافة الهاوية » .



السويس عشية التأميم.



فيدل كاسترو

٢٠ التَفَكّك الاستِعماري

الذهنية الاستعمارية

لا نغالي اذا قلنا بان دول اوروپا الغربية قد ابتعدت في حكمها لمستعمراتها عن المبادئ الانسانية ، وعاملتها بذهنية الطامع بل المحتقر احيانًا . وثمة نقاط ثلاث يمكن ان نوجز بها كل السياسة الاستعمارية الاوروبية : اولها انفراد الدولة الاستعمارية بتقرير شؤون مستعمراتها بمعزل عن الرأي العام؛ وثانيها النظرة المتعالية الى شعوب المستعمرات كتابعين لا كمواطنين ؛ وثالثها الاستئثار بموارد المستعمرات لخدمة الوطن الأم . ويستدل مما تقدم ان المصالح الخاصة جعلتها ترى في المستعمرة خادمًا يدعم اقتصاد المستعمر وملكًا خاصًا لا شأن للمجتمع الدولي به وتابعًا لا يعامل معاملة الند .

لذلك كان الاستعمار حافزًا لوعي الشعوب المستضعفة واحساسها بهويتها الخاصة . فتعلقت بتراثها الماضي وبتقاليدها ، ولم تتح للمستعمر بان يمحوه عن طريق فرض لغته وثقافته ، وهبّت تنكر عليه ادعاءاته وتجاهر بحقها هي في التحرر منه .

وعندما توزع المبشرون خارج اوروپا يدعون للدين المسيحي ، كانوا اول من دعوا عن غير عمد للثورة على تجاوزات المستعمر . وهم حين قالوا بحقوق الانسان وحريته انما قالوا بالمساواة المطلقة دون تمييز في اللون والعرق . غير ان الشعوب المستضعفة ظلت ترى فيهم البيض المستعمرين ، لا سيما وان المناطق الاسلامية لم تكن بحاجة الى دين موحد يبشر بهذا بقدر ما كانت بحاجة الى الوعي . (انظر ص ١٩٩)

المعطيات بعد الحرب الثانية

وبعد الحرب العالمية الثانيـــة تبلورت معطيات جديدة لجمت المد الاستعماري . اولها ان اليابان بما احرزته من مكاسب (قبل هزيمتها) رسّخت الايمان بقدرة الشرق وامكاناته المستقبلة ، مما يسمح لها بمجاراة اوروپا نفسها؛ فقد فرضت هيبة الانسان الاسيوي وحررته من عقدة النقص حيال الغرب . وثانيها ان الاتحاد السوفياتي غدا قادرًا ، بعد الحرب ، ان يصدّر الى الخارج ما طبقه هو من مبادئ ماركسية لينينية الى « البروليتاريا الخارجية » داعيًا اياها للتحرر من ربقة الاستعمار . وثالثها ادّعاء الولايات

المتحدة باحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي حكمها الذاتي ؛ مذكّرة بانها هي نفسها قد ناضلت من اجل استقلالها ، وبانها خاضت الحرب ضد النازية انتصارًا للحرية والديمقراطية فلا يمكنها ان تنقلب دولة مستعمرة، وتتناسى عن عمد ان ما تسعى اليه هو الكسب المادي في المستعمرات بعد تحررها ، تلك المستعمرات التي اتخذت فيما بعد اسم « العالم الثالث » .
ورابعها تبلور الوعي القومي في المستعمرات نتيجة نهضتين : النهضة الثقافية التي اخذت عن الغرب افكاره التحررية واساليبه وبعض فلسفاته (مبادئ ١٧٨٩ مثلًا) ، والنهضة الادبية الوطنية بعد ان نفضت الغبار عن تراث الاقدمين وارشدت المعاصرين بان لهم جذورًا حضارية تستحق الغيرة عليها والتمسك بها كخطوة اساسية تسبق التطور السياسي ؛ تلك كانت حالة الدول العربية والهند مثلًا .

واخيرًا اقتضت ضرورات الأمن الدولي ان يزول كل سبب يؤدي الى تبلبل الوضع العالمي . وانتفاضة المستعمرات مهيّأة في كل آن لاثارة مثل هذا النزاع بين دول العالم . ولا بد اذًا للدول الموقعة على شرعة حقوق الانسان من ان ترضى برقابة تمارسها منظمة الامم المتحدة على طريقة حكم المستعمرات وتطالب بتحويلها الى وصايات . وهكذا صار الاستعمار وطرق ممارسته قضية تهم العالم اجمع . فالى اي حد وفقت الأمم المتحدة في التخفيف من وطأة الاستعمار .

دور الأمم المتحدة

اهتم المجتمع الدولي مرة بتحويل الاستعمار الى « وديعة مقدسة » تضطلع بها الدول التي تسمح له ظروفها الجغرافية والاقتصادية فكان ان نشأ الانتداب باشراف من المجلس الاعلى لعصبة الأمم . ولدى وضع شرعة الأمم المتحدة ارتفع صوت يقول بتحويل الانتداب الى وصاية . وانيط بمجلس الوصاية مراقبة الدول المشرفة على المستعمرات ، عن طريق تقارير سنوية وبعثات توفد لتقصّي الحقائق وعن طريق التفاهم مع الدولة الوصية على الخطوات الواجب اتخاذها (المادتان ٨٦ و ٨٧) .

وسرعان ما اثبت الواقع عدم تقيد الدول المستعمرة بموجبات شرعة الأمم المتحدة ، وقد ذهب بعضها الى حد التنكر لها كجنوب افريقيا التي رفضت

التخلّي عن انتدابها على « جنوب غرب افريقيا » متذرعةً بالقول « ان ابن الجميع ليس ابن احد » والمقصود بالجميع الأمم المتحدة بعد ان كانت عصبة الأمم هي التي انتدبتها على هذه المنطقة .

ولئن اضطرت بعض الدول الكبرى كبريطانيا وفرنسا ان تقر اصلاحات متقطعة انما تفعل ذلك لتحاشي انتقاد المجتمع الدولي لها .

المستعمرات البريطانية

عند نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت بريطانيا لا تزال صاحبة اكبر امبراطورية في العالم . وقد تضمنت دولًا من فئات مختلفة هي مستعمرات التاج والمحميات والانتدابات ودول الدومينيون .

أ) **مستعمرات التاج** : الهند ، سيلان ، ماليزيا ، شاطئ الذهب ، نيجيريا ، مالطة ، هندوراس ، برمودا ، بارباد ، باهاما ، بازوتولاند ، جزر الهند الغربية ، غامبيا ، كنيا ، سيراليوني ، بالاضافة الى جزر صغيرة منثورة في بحار العالم كقبرص وسواها .

ب) **المحميات** : روديسيا الشمالية ، نياسّالاند ، الصومال ، اوغندا ، الزنجبار ، بتشواناالاند ، سوازيلاند ، برونيي (في الملايو) .

ج) **الانتدابات** : كاميرون ، توغو ، تانجانيقا ، فلسطين ...

د — **دول الدمينيون** : استراليا ، زيلندا الجديدة ، كندا ، اتحاد جنوب افريقيا .

الدومينيون والكومونويلث

وداخل هذه البلدان يقتضي التميز بين سكان اصيلين ومهاجرين بريطانيين خاصة واوروبيين عامة. فحيث تكثر نسبة البريطانيين تختلف نظرة حكومة لندن الى البلاد فتسميها دول الدومينيون ؛ اي التي تعترف بسلطة التاج البريطاني عليها وتتقيد بالقوانين والتنظيمات والتقاليد البريطانية بحيث تختفي حيالها كل التأثيرات المحلية تقريبًا . بذلك تفسر نشأة الكومونويلث او رابطة الشعوب البريطانية التي تجمع بين بريطانيا ودول الدومينيون . ومنذ ١٩٣١ ، تضاءلت سلطة الوطن الأم على دول الدومينيون بموجب نظام

نكروما

الانحسار الاستعماري

« يجمع المؤرخون المعاصرون ، بـــلا استثناء ، على ان العقد الاخير من الزمان – وهو العقد الذي يبدأ بالنصف الثاني من الخمسينات ويمتد حتى وقتنا هذا – يُعتبر من اهم فترات التاريخ الحديث، باعتباره هو العقد الذي شهد فيه العالم قمة المـــد التحرري الجارف الذي انحسر امامه الحكم الاستعماري في عشرات من الدول الافريقية والاسيوية وفي اجزاء اخرى من العالم ، حتى حقت تسميته في الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنه « عقد تصفية الاستعمار . »

« واذا كان انحسار الحكم الاستعماري المباشر عن معظم اجزاء افريقيا هو من المعالم المميزة لهذا العقد ، فان ذلك لا يعني باي حال من الأحوال ان الدول الاستعمارية الاوروبية التي تدافعت بالمناكب وتنافست في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر على احتلال كافة اجزاء القارة الافريقية وفرض سيطرتها الاستعمارية على شعوبها من اجل استغلال ثرواتها وسلب خيراتها قد تخلّت نهائيًا عن اطماعهـــا الاستغلالية او انها كفّت عن محاولاتها اليائسة من اجل الحفاظ على مصالحها الاحتكارية في القارة والاستمرار في فرض سلطانها الاستعماري على شعوبها ، مستخدمة في ذلك اساليب مستحدثة ومختفية وراء اقنعة متعددة كلما اضطرت الى ذلك اضطرارًا ، بل وكاشفة عن حقيقة وجهها الاستعماري الاستغلالي ومتحدية كل القوى التحررية المناهضة لها اذا اعيتها الحيل والسبل واساليب الخداع . »

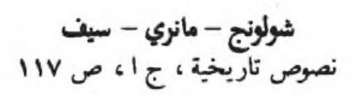
حمدي حافظ
المشكلات العالمية المعاصرة – ص ٥٦٣
الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة

بريطانيا تعالج تحرر مستعمراتها الافريقية

« وفي عام ١٩٥٣ ، عندما بدأت تتضح معالم الموجة التحررية التي اخذت تنمو في افريقيا ، حاولت بريطانيا خلق سد استعماري في وسط افريقيا يحول دون امتداد حركات التحرر الى اغنى المناطق التي تستغلهـــا الاحتكارات الرأسمالية ، فأنشأت اتحاد وسط افريقيا الذي يجمع بين روديسيا الجنوبية والشمالية ونياسّالاند ، ولكن هذا الاتحاد لم يكتب له البقاء اكثر من عشر سنوات حيث شعر الشعب الافريقي في كل من روديسيا الشمالية ونياسّالاند بان الغرض منه هو اخضاعهم لحكم الاقلية البيضاء العميلة في جنوب روديسيا ... وهكذا حل هذا الاتحاد في ٣١ ديسمبر من عام ١٩٦٣ ، وتمكنت روديسيا الشمالية من اعلان استقلالها تحت اسم جمهورية زامبيا في اوكتوبر عام ١٩٦٤ كما تمكنت نياسّالاند من الاستقلال ايضًا تحت اسم مالاوي في يوليو من نفس العام ... »

« ومنذ ذلك التاريخ بدأت الأقليـــة العنصرية البيضاء ، بزعامة ايان سميث – وبتشجيع خفي من بريطانيا – المطالبة باستقلال يتمتع فيه الرجل الابيض بالسيادة الكاملة على الملا يين الاربعة من السكان الوطنيين الاصليين ... »

« وعلى الرغم من الاستنكار الشديد الذي ووجهت به هذه الدعوة من جانب الشعوب الافريقية جمعاء ، ومن جانب جميـــع الشعوب المحبة للحرية في العالم ، فقد تمكن ايان سميث ، بعد ان حبك مؤامرته مع الحكومة البريطانية وعقد الاتفاقات السرية مع حكومة الدكتاتور البرتغالي سالازار ، وحكومة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا من ان يواجه العالم متحديًا باعلان استقلاله الزائف – من جانب واحد – في يوم ١١ نوفمبر عام ١٩٦٥ . »



شولونج – مانري – سيف
نصوص تاريخية ، ج ١ ، ص ١١٧



هوفويه بوانيي



باتريس لومومبا .

ويسمنستر . فجنحت هذه الدول الى الاستقلال الذاتي ، وما زالت الشقة تتسع حتى وصلت الى حد النفور السافر . كذلك شأن بريطانيا مع اتحاد جنوب افريقيا اولًا ثم مع روديسيا .

وبعد الحرب العالمية الثانية اتسع نطاق الكومونويلث ورضيت انجلترا ان تدخل فيه دول اسيوية وافريقية مثل الهند والباكستان وسيلان وغانا . وبرهنت بريطانيا عن مرونة – حتى لا نقول بانها برهنت عن تراجع – فابقت صلاتها مع هذه المستعمرات ضمن نطاق الكومونويلث رغم اختيارها الانظمة الجمهورية ورفضها الاعتراف ولو اسميًا بسلطة التاج البريطاني .

التحرر ضمن الكومونويلث

وغدا لكل دولة عضو في الكومونويلث ملء الحرية في عقد المعاهدات الدولية . فلم يعد الكومونويلث اذًا وحدة سياسية ، بل مجموعة دول تتفق من حيث المبدأ لا الارتباط حول القضايا الدولية العامة وفي ضوء المصلحة المشتركة . ولا مانع في ان تكون الدولة عضوًا في الكومونويلث والامم المتحدة او اي حلف دفاعي . ومن هنا نستنتج ان الصلات واهية ولا قيمة عملية لها ، ولا تخضع لتحديد معين لولا نظام النقد الذي يفرض على دول الكومونويلث ان تتقيد بنظام الاسترليني طالما هي عاجزة عن الارتباط باي نظام نقدي آخر . وضمن هذا المفهوم المرن والمتطور باستمرار حاول البريطانيون ان يبقوا علاقاتهم بمستعمراتهم السابقة بعد ان اضطروا الى الاعتراف باستقلالها .

ورغم ذلك استطاعت كندا ان تتحرر من منطقة الاسترليني لتدخل في منطقة الدولار وهذا ما ابعدها عن بريطانيا وقرّبها من الولايات المتحدة ، كما استطاع اتحاد جنوب افريقيا ان يتخلى عن الكومونويلث لينشئ جمهورية مستقلة منذ آذار ١٩٦١ تتبع سياسة التمييز العنصري وان يُعطي المثل لروديسيا من بعد .

وقد اظهر البريطانيون حكمة فائقة في الموافقة على تحرر مستعمراتهم تدريجيًا بحيث تسبق الاستقلال عادة مرحلة انتقالية . ولم يسعوا لايجاد الحل الشامل لشؤون المستعمرات كما فعل الفرنسيون من بعد ، بل كانوا يلجأون الى الحل الملائم لكل مستعمرة على حدة . غير ان المرونة البريطانية كانت في النهاية خضوعًا لمعطيات جديدة ، اذ الحرب العالمية الثانية قد

اقنعت البريطانيين بانهم لم يعودوا من القوة بحيث يمكنهم التشدد حيال الشعوب المستعمرة .

استقلال المستعمرات الأسيوية

١ - بورما

ظلت هذه المستعمرة ملحقة بالهند حتى عام ١٩٣٥ ، ثم عينت بريطانيا عليها حاكمًا خاصًا . ومع الاحتلال الياباني العابر وما بذره من وعود بالاستقلال ، وجدت حكومة العمال البريطانية ان الوعي الوطني في بورما سيناهضها لا محالة . ولما لم يكن لها فيها مصالح هامة ، منحتها الاستقلال في شباط ١٩٤٨ دون ان تسعى لربطها بالكومونويلث ، بـل اكتفت بالاحتفاظ ببعثة عسكرية فيها .

٢ - سيلان

منذ نهاية الحرب ، اعلنت سيلان دستورًا جديدًا مستوحى من النظم البريطانية . وكان ذلك بمثابة مرحلة انتقالية تخلصت خلالها من سلطة الحاكم البريطاني لتعلن الحكم الذاتي (١٩٤٨) مع البقاء في حظيرة الدومينيون . غير ان نجاح اليساريين في انتخابات ١٩٥٦ حمل الى رئاسة الحكومة السيدة باندارانيكي ، وفي ذلك ابتعاد مستمر عن الحظيرة البريطانية .

٣ - الهند وپاكستان

استتب حكم بريطانيا في الهند بموجب قانون صادر عــام ١٩١٩ . وقد نص على ان يعاد النظر فيه بعد عشر سنوات . ولم يأت التعديل الذي أقر عام ١٩٢٧ بالقدر الكافي من الحكم الذاتي . وقام غاندي ، ومن ورائه حزب المؤتمر (منذ ١٩٣٥) يهاجم تشابك الصلاحيات بين المجالس المحلية والحكام البريطانيين ، داعيًا الى الامتناع عن دفع الضرائب والعصيان المدني والاضراب عن الطعام حتى اضطرت بريطانيا عند نشوب الحرب العالمية ان تعد الهند (آب ١٩٤٠) بالاستقلال . وغاية بريطانيا من ذلك ان تدفع الهند الى المشاركة في مقاومة المد الياباني في جنوب شرقي آسية . وانتبه غاندي للامر فلم يله عن القضايا الوطنية بقتال اليابانيين كما شاء البريطانيون ، فلجأ هؤلاء الى تصديع الجبهة الداخلية باثارة النزاعات الطائفية . فهب محمد جناح رئيس حزب « الرابطة الاسلامية » يعارض غاندي ، ونشب قتال طائفي اخّر استقلال البلاد وادى الى تقسيمها . ولما انعقد مؤتمر دلهي بعد الحرب ، تمثل فيه الفريقان واسفر عن قيام دولتين : الهند وپاكستان (١٥ آب ١٩٤٧) . ودخلتا عضوين في الكومونويلث ، على ان تقررا في آذار ١٩٤٨ ما اذا كانتا تريدان

البقاء فيه . فكان ان بقيتا واصبحتا من دول الدومينيون دون ان تعترفا بسلطة التاج البريطاني عليهما .

وتوفي غاندي مقتولاً (١٩٤٧) ، فخلفه نهرو ، وفي عهده تجدد القتال مع باكستان حول كشمير (١٩٤٩) . وبعد نهرو تجدد القتال ثانية الى ان حلت القضية في مؤتمر طقشند بين شاستري وايوب خان . (انظر ص ٢١١)

٤ – الملايو

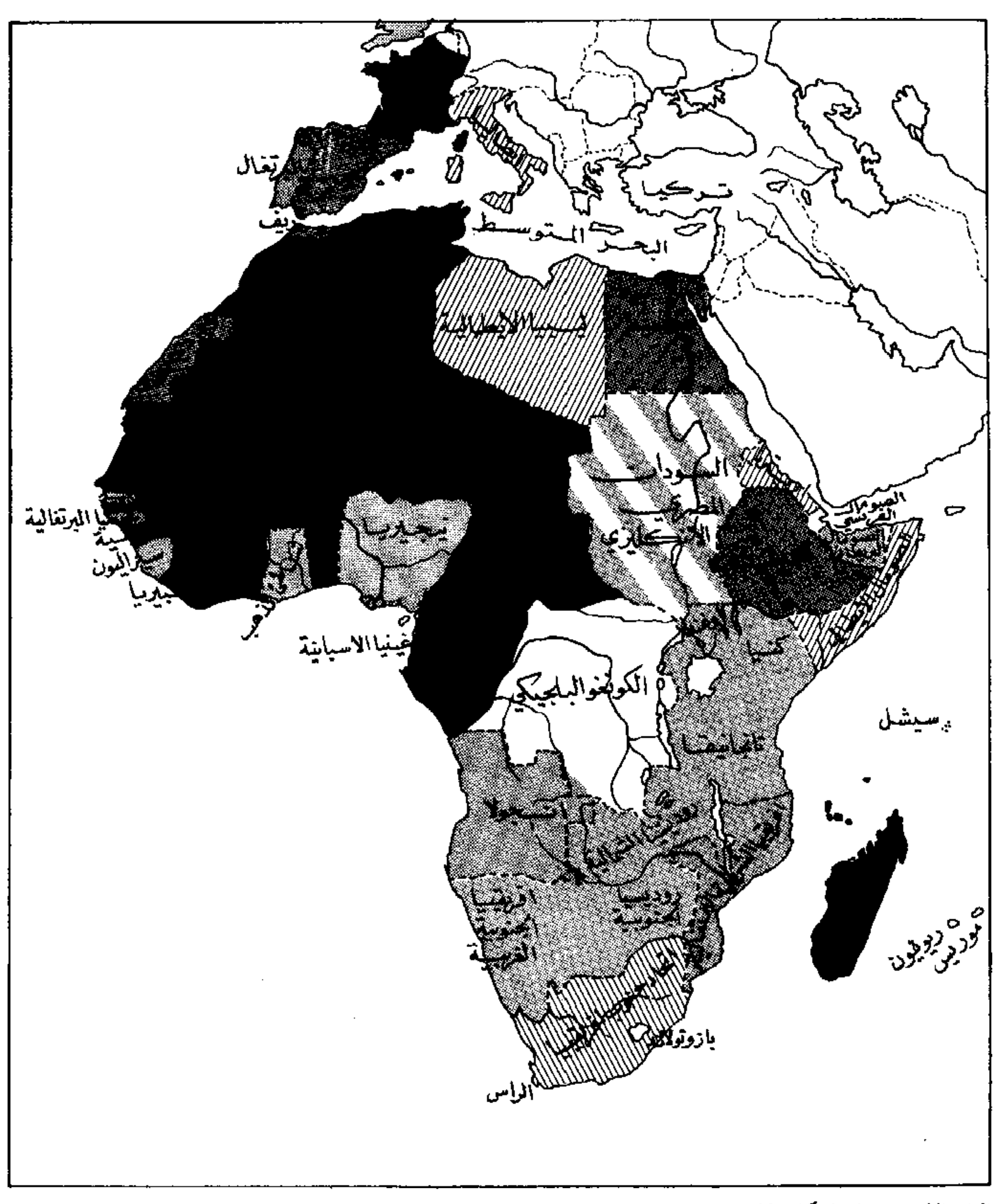
منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اقامت بريطانيا « اتحاد الملايو » وفصلت عنه سنغافوره . وساعدت الاكثرية الماليزية في الاتحاد على الاستئثار بامور البلاد دون المواطنين الصينيين . فما لبثت الحرب الاهلية ان اندلعت بين الطرفين . وامام المد الشيوعي المندفع باتجاه الجنوب تعين على بريطانيا ان تسترضيهم فمنحتهم الحكم الذاتي عام ١٩٥٥ وسمحت بدخول الملايو في الكومونويلث . واستمرت في مساعدتهم لتستطيع القيام بالتزاماتها لحلف اوتاز (حلف جنوب شرق آسية) فاعترفت باستقلال الملايو نهائيًا (١٩٥٧) .

اما سنغافورة فقد تشبث بها البريطانيون لغناها وموقعها التجاري والستراتيجي بين الملايو واندونيسيا . فلم تنل استقلالها قبل ١٩٥٧ وقبلت ضمن دول الدومينيون ، غير انها ما لبثت ان انضمت الى « اتحاد الملايو» عام ١٩٦٣ ليكوّنا معًا الملايو الكبرى .

تحرر المستعمرات الأفريقية

كان للاستعمار البريطاني في افريقيا مواقف مختلفة بل متناقضة : التساهل مع المستعمرات الفقيرة ، والسكوت عن السياسة العنصرية ، والتفريق بين القبائل والمناطق . ففي المستعمرات الفقيرة كان الزعماء المحلّيون يتمتعون بثقة شعبيتهم ؛ فدخلت معهم السلطات الاستعمارية في مباحثات مثمرة دون ان تضحي بنفوذها لديهم . وسهل مهمتها افتقار شعوب القارة السوداء الى حضارة عريقة تملأ الفراغ الذي يتركه المستعمر عادة ، فرأى الزعماء السود ان من الافضل لهم الابقاء على الصلات الاقتصادية والسياسية مع الدولة المستعمرة . وافضل الامثلة على ذلك تلك السهولة التي وصلت معها سيراليوني (نيسان ١٩٦١) وتانجنيقا (١٩٦١) واوغندا (١٩٦٢) الى الاستقلال .

غير ان السياسة البريطانية قد اختلفت باختلاف المناطق والمنـــاخ والامكانات . وما يصح في تانجنيقا يستحيل في كينيا وروديسيا الجنوبية



القارة الافريقية قبل التفكك الاستعماري

٢١ تحرر المستعمرات الفرنسية

بعد الحرب الثانية

توزعت مستعمرات فرنسا بين الاطلسي (مرتنيك، غوادلوب، غويانا، سان بيير – ميكلون) وافريقيا الوسطى، ومدغشقر، والريونيون، والصومال، وكوشنشين. يضاف اليها المحميات من مثل تونكين وأنّام ولاوس وكمبوديا ومراكش وتونس، والانتداب على سوريا ولبنان والكاميرون والتوغو، والامتيازات في بعض مدن الهند. أما الجزائر فقد كانت أكثر المستعمرات ارتباطا بفرنسا، ومن هنا الصعوبات التي لاقتها والحرب التي خاضتها للحصول على استقلالها.

وما انتهت الحرب حتى فقدت فرنسا انتدابها على لبنان وسوريا (١٩٤٣ و ١٩٤٥)، وتهددت مصالحها في سائر المستعمرات، فشعرت بالحاجة الى اجراء اصلاحات في أوضاع المستعمرات. وترأس الجنرال ديغول مؤتمرًا في برازافيل (الكونغو الفرنسي) ١٩٤٤ لايجاد حل ملائم. لكن الجو لم يكن مهيأ بعد نظرًا لتضارب اتجاهين، احدهما ينادي بضم المستعمرات في افريقيا الوسطى والغربية الى الوطن الأم، والآخر ينادي بمنحها الاستقلال الذاتي.

محاولة الحل الشامل

وحاولت فرنسا ان تضع حلًا شاملًا ونهائيًا لمستعمراتها. فاصطدمت بعراقيل نابعة من اختلاف طبيعة شعوب المستعمرات وتشعب القضايا واختلاف طرق ادارة هذه المستعمرات وميل فرنسا لاستعمال أساليب العنف في شمال افريقيا وبنوع أخص في الجزائر. وكانت اولى محاولات الحل الشامل اقامة «الاتحاد الفرنسي» (Union française) بموجب دستور صادر في آواخر تشرين اول من سنة ١٩٤٦.

أ) **الاتحاد الفرنسي**: صنف الاتحاد الفرنسي المستعمرات في ثلاث فئات، اولاها الجمهورية الفرنسية ومعها الجزائر كبلد متحد بها، وتتبعها «مقاطعات» (Departements) ما وراء البحار (غويانا، ريونيون، غوادلوب، المارتنيك) «وأراضي» (Territoires) ما وراء البحار. والفئة الثانية تشمل «الدول الشريكة» أي محميات فيتنام ولاوس وكمبوديا ومراكش

وتونس. والفئة الثالثة هي «المناطق الشريكة» وقوامها التوغو والكاميرون اللتان كانتا تحت الانتداب ثم اضحتا تحت الوصاية بعد قيام الامم المتحدة (انظر مجلس الوصاية).

وباستثناء الدول الشريكة، كان لمعظم مستعمرات الفئتين الأولى والثانية ان توفد نوابًا عنها الى الجمعية الوطنية الفرنسية. وكان رئيس الجمهورية الفرنسية على رأس الاتحاد، يساعده مجلس أعلى ثم جمعية عمومية يحتل نصف مقاعدها ممثلو الوطن الأم. وهدف فرنسا من هذا التنظيم تحقيق دمج هذه المستعمرات بها.

ب – فشل الاتحاد الفرنسي: اصطدمت هذه المحاولة لايجاد حل شامل بعراقيل جمة، أبرزها رفض تونس ومراكش الانضمام للاتحاد كدول شريكة، ثم «حرب الهند الصينية»، وفقد الامتيازات في مدن الهند؛ فاضطرت فرنسا ان تعيد النظر في تنظيماتها الاستعمارية ضمن ما عرف برابطة الشعوب الفرنسية.

رابطة الشعوب الفرنسية

بموجب القانون الصادر في حزيران ١٩٥٨ خُولت آخر حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية اجراء استفتاء حول دستور جديد ينص على انشاء «رابطة الشعوب الفرنسية» ومهد الجنرال ديغول لهذه الخطوة بخطاب ألقاه في برازافيل (آب ١٩٥٨) جاء فيه: «ان كل بلد مصمم على الاستقلال يناله بمجرد ان يصوت بلا، وكل بلد يشعر مع الأيام بقدرته على تسلم مقاليد اموره، له وحده ان يتخذ هذا القرار ...» وجرى الاستفتاء في ايلول فتمخض عن انتظام ما تبقى من مستعمرات فرنسية ضمن ما سمي «رابطة الشعوب الفرنسية» (Communauté française).

وكانت غينيا بزعامة سيكوتوري أول من اختار الانفصال. وكدولة مستقلة عقدت مع فرنسا (في مطلع ١٩٥٩) اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والتقني والثقافي. وفضلت دول أخرى الابقاء على علاقات فدرالية مع الوطن الأم شأن شاطئ العاج بزعامة هوفوي بوانيي، بينما رئيس السنغال ليوبولد سنغور كان يلمح الى القبول برابطة الشعوب الفرنسية شرط ان يتبعها ضمن مهلة قصيرة استقلال تام وناجز.

هكذا اضحت كل المستعمرات الفرنسية دولا أعضاء في الرابطة. فتساوت في الحقوق مع الجمهورية الفرنسية نفسها، وحق لكل منها ان تقيم مع بلدان أخرى اتفاقات فدرالية أو جمركية كما فعلت دول افريقيا الوسطى ودول افريقيا الغربية.

الوعي الافريقي والاتجاهات المختلفة

وحق لدول رابطة الشعوب الفرنسية ان تتكيف دستوريا بما يلائم وضعها الجديد. وعلى هذا الاساس انشأت السنغال والسودان الفرنسي «اتحاد مالي» (الذي عاد فتفكك في آب ١٩٦٠)، بينما شاطئ العاج والداهومي والنيجر والفولتا أقامت فيما بينها «مجلس التفاهم». وانبثقت هذه التحولات عن مواقف الزعماء الافريقيين وعن الاتجاهات السياسية والقومية التي عصفت بشعوب هذه الدويلات، كأن نرى سنغور داعية «الزنوجة» (Négritude) وموديبوكيتا يناديان بالفكرة الاتحادية بينما يعارضهما هوفوي بوانيي ليبشر بالاعتدال. ولعل شخصية نكروما وأطماعه كما كانتا تتعديان حدود بلاده لتستقطبا انحاء افريقيا السوداء كافة، فلاقت كلماته أذنا صاغية في مالي ومدغشقر اضطر معها ديغول ان يعدل في تنظيم رابطة الشعوب الفرنسية، فجعلها قريبة في مفهومها ومرونتها من الكومونويلث البريطاني. لذلك لم يحرج فرنسا ان تستقل مدغشقر (آواخر حزيران ١٩٦٠) ثم التشاد (١٩٦٠) فجمهورية أفريقيا الوسطى والكونغو والغابون وموريتانيا. وكذلك سهل على الدول التي ألفت «مجلس التفاهم» (داهومي، نيجر، فولتا، شاطئ العاج) ان تستقل في مطلع آب ١٩٦٠ دون أن تبقى ضمن رابطة الشعوب الفرنسية شأنها في ذلك شأن التوغو والكاميرون.

المغرب العربي

لا مجال لاعادة ما استعرضناه في العام الماضي عن استقلال بلدان شمال افريقيا. فنكتفي بعرض النقاط البارزة دون سواها.

أ – **تونس**: كانت تونس قد رفضت في السابق عضوية الاتحاد الفرنسي. وتأزمت علاقاتها بفرنسا مرارًا، أبرزها عند ارغام طائرة تحمل الزعيم الجزائري بن بللا على النزول (ت ١ ١٩٥٦) والقبض عليه، وثانيها عندما سمحت تونس لقوات جيش التحرير الوطني الجزائري باللجوء الى أراضيها، فلاحقتهم

القوات الفرنسية وقصفت قرى تونسية (مطلع ١٩٥٨ قصف قرية ساقية سيدي يوسف)، ثم عندما حاصرت قوات تونسية القاعدة الفرنسية في بيزرتا فرفعت القضية الى هيئة الأمم المتحدة. ولم يَزُل الفتور الا عندما حُلت القضية الجزائرية، فوافق ديغول بعدها على مغادرة القوات الفرنسية لقاعدة بيزرتا قبل نهاية سنة ١٩٦٣.

ب – مراكش، وقد كان عليها ان تتحرر من فرنسا واسبانيا معا.

ج – الجزائر: بموجب اتفاقيات ايفيان، رضيت الحكومة الفرنسية بتسلم الجزائريين مقاليد الأمور في بلادهم، فتمرد المستعمرون الفرنسيون على ديغول ونادوا للثورة عليه في فرنسا نفسها وانشأوا منظمة الجيش السرية، غير أنهم منوا بالفشل واستقلت الجزائر.

تحرر المستعمرات الهولندية

قبيل الحرب العالمية الثانية، كانت جزر اندونيسيا (سومطره جاوا بورنيو ايريان (غينيا الجديدة) ...) تحت سلطة هولندا المباشرة، فلجمت فيها كل الانتفاضات الوطنية. ولما احتلت اليابان اندونيسيا خلال الحرب (١٩٤٢) وعدت الوطنيين بالاستقلال، ولما اضطرت للانسحاب اعلنت استقلال اندونيسيا كما فعلت في ڤيتنام. إلا ان سقوط البلاد بيد البريطانيين اعادها للهولنديين مجددًا.

ومذ احتلت اليابان اندونيسيا، خافت هولندا على مصالحها فيها، فوجهت الملكة ويلهلمين نداء الى الاندونيسيين تعدهم فيه باقامة مجلس تمثيلي في البلاد. ولما استعادت سلطتها وجدت الشعور الوطني مشحذاً لا يرضى بأقل من الاستقلال التام. فحاولت تطويق هذا التيار باقامة حكم اتحادي مع هولندا تستثنى منه غينيا الجديدة (ايريان) ١٩٤٩. واصرّ احمد سوكارنو اكبر زعماء اندونيسيا آنذاك على التمسك بايريان فتأزم الموقف مجددًا، واضطر الهولنديون الى الاعتراف باستقلال البلاد (آب ١٩٦٢).

تحرر المستعمرات البلجيكية

اضطرت بلجكا ان تتخلى عن رواندا وعن بوروندي، ولكنها تشبثت بالكونغو ظنًا منها بانها لن تخسره في وقت قريب على الاقل. وفجأة تحت وطأة اليقظة الافريقية التي بثها نكروما وكنياتا وجدت نفسها مضطرة ان

تفكر بالجلاء عن الكونغو منذ ١٩٥٠. غير ان استعجال الأمور سيخلف نزاعات دامية بعد الاستقلال لأن بلجكا لم تهيّئ الكونغو اداريًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا للحكم الذاتي. فبرز الصراع بين اتجاه قبلي وما يفرضه من بقاء البلاد موزعة بين زعامات متعددة ومختلفة؛ واتجاه وحدوي يتزعمه لومومبا ويريد البلاد كتلة واحدة، محاولًا التوفيق بين الانفتاح الذي ينادي به نكروما والحفاظ على التقاليد والروح الافريقية التي ينادي بها كنياتا.

ومنذ مؤتمر أكرًا الافريقي (عاصمة غانا) اشتدت لهجة الوطنيين مطالبة بالاستقلال، فتخلت لهم بلجكا عن بعض المهمات الادارية ومنحت المدن الكبرى امتيازات خاصة. غير ان الموقف ما لبث ان تأزم في مطلع ١٩٥٩ فوعد ملك بلجكا باعطاء الكونغو استقلاله، وزار البلاد وعقد مؤتمر «الطاولة المستديرة» في مطلع ١٩٦٠ حيث اصرّ لومومبا على الاستقلال مباشرة. فاستقر الرأي على اعلان الاستقلال في ٣٠ حزيران ١٩٦٠، وسرعان ما غرقت البلاد في حرب أهلية استمرت حتى ١٩٦٢ وكان أحد أبرز ضحاياها لومومبا بالذات.

هل انتهى الاستعمار؟

ورغم كل هذه الانتفاضات، لا يزال الاستعمار قائما حتى اليوم فالبرتغال ما برح متشبثا بمستعمراته، يلجأ الى القمع والعنف لتثبيت أقدامه في غينيا وأنغولا والموزامبيق ... لا يعبأ بالرأي العام الدولي ويتجاهل نداء لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيئة الأمم المتحدة. وكذلك جمهورية جنوب افريقيا تنكر حق الأمم المتحدة في شجب سياسة التمييز العنصري كما تنكر عليها حقها في التدخل بشؤون جنوب غربي افريقيا وروديسيا الجنوبية التي أعلنت الاستقلال ثم الجمهورية من جانب واحد، تمارس بعناد السياسة العرقية، متكلة على ما تقدمه لها من عون حكومتا افريقيا والبرتغال، الأمر الذي أفقد الحصار الاقتصادي المفروض عليها كل أهميته.

وللاستعمار اليوم وجه آخر، من مظاهره الاستغلال والضغط يمارسهما المعسكران الشرقي والغربي على الدول النامية. فاضطرت هذه الأخيرة ان تحزم أمرها لتؤلف قوة محايدة بين المعسكرين عرفت باسم «العالم الثالث».



غاندي ونهرو

المستعمرات في القارة الاميركية

٢٢ مُؤتَمَرُ بَاندُونغ

« العالم الثالث »

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بدأت الامبراطوريات الاستعمارية تتفكك تدريجيًا ، وقامت على انقاضها دول نامية راحت تفتش عن مركزها بين دول العالم ، محاولة التفلت من قبضة الدول الكبرى واحلافها ، متحاشية الانزلاق الى الحرب الباردة ومخاطرها . تقاربت فيما بينها رغم توزعها بين القارتين الافريقية والاسيوية ، وانتهجت خطا سياسيا مميزا فشكّلت بين المعسكرين الشرقي والغربي كتلة عرفت فيما بعد باسم « العالم الثالث » .

وشدّت اواصر التفاهم بين هذه الدول مشاكلها المشتركة بل الواحدة . فكلها تكافح من اجل سيادتها التامة ، وتسعى للتحرر الاقتصادي والسياسي ، وتفتش عن العون غير المشروط تحقق به نموها وتتغلّب على تخلفها الصناعي . غير ان التخمة السكانية (الانفجار السكاني كما يقال حاليا) التي تعاني منها هي في الوقت نفسه احد عناصر قوتها لانها تتيح لها التحدث باسم اكثرية سكان الارض دون تمييز في اللون والعرق .

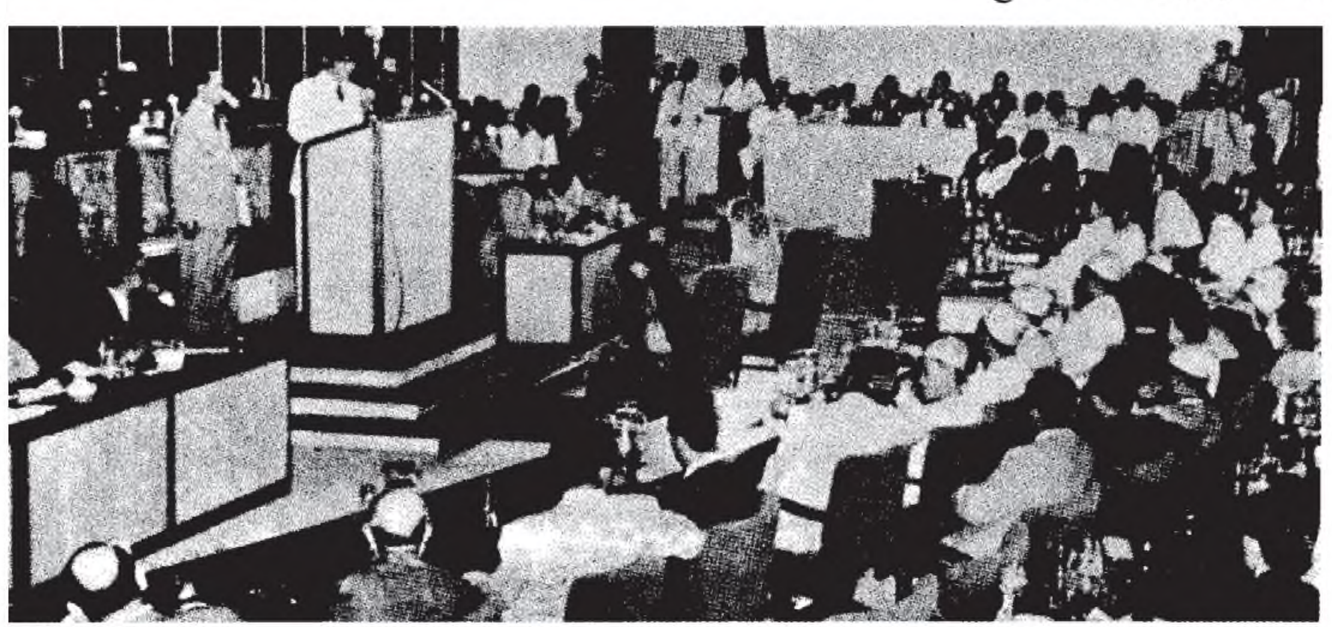
واستطاعت هذه الدول بما مثلته من سياسة حيادية ان تقوم بدور ايجابي في سياسة العالم . ومارست رغم ضعفها ضغطا دوليا زاد في فعاليته عقدها المؤتمرات المتكررة لتقرير سياسة موحدة وتزايدها عدديا في منظمة الامم المتحدة .

الحياد الايجابي

اجتمعت الدول الافرو اسيوية حول سياسة حياد ينبثق عنها تعايش سلمي . والداعية الاول لهذه الفكرة هو رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو ، طبقها للمرة الاولى في معاهدة عقدها مع جارته الصين بشأن التيبت (١٩٥٤) وتعهد الطرفان بموجبها باحترام سيادة الدولة المجاورة وبعدم الاعتداء عليها او التدخل بشؤونها . فلاقت خطوته تلك ارتياحا كبيراً .

ولما دعا الرئيس الهندي الدول الافرو اسيوية للالتزام بسياسة حياد وعدم انحياز بين المعسكرين كخطوة اساسية نحو التعايش السلمي ، لاقت دعوته تلك ترحيبًا لديها لانها الضمانة الكبرى لتوطيد استقلالها الحديث وتأمين سلامة اراضيها وتخليصها من الشروط التي يغريها بها احد المعسكرين الكبيرين

عبد الناصر ونهرو يصلان الى باندونغ .



ساعة افتتاح مؤتمر باندونغ .

لقاء كل مساعدة يقدمها لها . وفي يقين نهرو ان نزعته تلك ، عدا كونها تكرس للهند كلمة مسموعة بين الدول النامية تؤدي كذلك الى سلم عالمي اكيد يهدده باستمرار الحرب الباردة والتسابق المحموم على تطوير الاسلحة النووية .

والشرط في التزام هذه السياسة الا تكون الدولة سلبية في حيادها ، لا دور لها في تقرير سياسة العالم كحياد سويسرا مثلا . بل عليها ان تتبّع «حيادا ايجابيا» ، فتهتم لكل المشاكل الدولية ، وتقدم على كل عمل يخدم السلام العالمي مهيئة بذلك لتعايش سلمي بين جميع شعوب الارض .

مؤتمر باندونغ (نيسان ١٩٥٥) –

أ – دول المؤتمر : بعد ان تبلورت التكتلات الغربية الرئيسية في احلاف الاطلسي وأوتاز (Otase) وبغداد ، وقبل ان يولد حلف وارسو بشهر واحد تقريبًا ، انعقد مؤتمر للدول الافرو اسيوية في باندونغ (الوسط الغربي من جزيرة جاوا في اندونيسيا) . ولبت الدعوة سبع وعشرون دولة (هي : بورما ، سيلان ، باكستان ، افغانستان ، كمبوديا ، الصين ، مصر ، الحبشة ، غانا ، ايران ، العراق ، اليابان ، الاردن ، لاوس ، لبنان ، ليبيريا ، ليبيا ، نيبال ، الفيليبين ، السعودية ، السودان ، سوريا ، سيام ، تركيا ، فيتنام الشمالية ، فيتنام الجنوبية ، بالاضافة الى الدولة المضيفة اندونيسيا) . وما اشتراك دولة مقيدة بحلف بغداد كتركيا او العراق ، واخرى متطورة صناعيًا كاليابان ، وغيرها منحازة كفيتنام الا الدليل على سعيها جميعًا للحفاظ على حيادها ، فلا تريد ان تنقاد في سياستها الخارجية اكثر مما انقادت . (انظر ص ٢١٣)

ب – مقررات المؤتمر : يمكن تصنيف القضايا التي بحثها المؤتمر في ثلاث : سيادة الدول ، التنمية ، والسلم العالمي .

أ – سيادة الدول

ففي نطاق سيادة الدول تناول البحث قضايا شعوب المستعمرات وحقوقها البديهية في تقرير قضاياها بنفسها ، ومحاربة التمييز العنصري لتحقيق المساواة بين جميع الاجناس والقوميات ، واحترام سيادة كل دولة والاعتراف لها بحقها في الدفاع عن نفسها مع تقديم الحلول السلمية على سواها في فض النزاعات وانطلاقًا من هذه المبادئ ساند المؤتمرون حقوق العرب في فلسطين وشجبوا الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي . (انظر ص ٢١٧)

٢ – التنمية ولمست دول المؤتمر انها جميعًا بحاجة الى التنمية . فعمدت الى تنسيق تعاون اقتصادي وثقافي مثمر فيما بينها . واذا كان لا بد من مساعدات خارجية فلتكن في هدف التنمية فقط . وافضل هذه المساعدات ما يأتي عن طريق المصرف الدولي للتعمير والانماء لانه لا يربط المساعدات بشروط سياسية او عسكرية تفقد معها الدول النامية حريتها في الرأي والمبادرة .

٣ – السلم العالمي وتناول البحث كذلك قضايا نزع السلاح ، والحد من تطوير الاسلحة النووية والتقيد بشرعة الامم المتحدة فيما تنص عليه من احترام لحقوق الانسان ، ومحاربة للتمييز العنصري ، واعتراف بسيادة الدول ، والاعتراف بحقها في الدفاع عن نفسها منفردة أو بالتعاون مع دول اخرى ضمن ما تقره شرعة الامم المتحدة ، وعدم مساندة اي دولة لتنفيذ مآربها ، واللجوء الى التسوية السلمية والتقيد بالالتزامات الدولية ، والمحافظة على روح العدالة . والى جانب حرصها على تدعيم منظمة الامم المتحدة اصرت الدول النامية على الا يكون هذا التدعيم بمنأى عنها ، لذلك قامت تطالب باشراكها في عضوية مجلس الامن .

بعد باندونغ كان مؤتمر باندونغ مناسبة لتبادل الاراء وبلورتها . ولا قيمة لتلك الاراء ما لم تقترن بخطوة عملية تضع سياسة الحياد الايجابي موضع التنفيذ . وتعين على المؤتمرين ان يبرهنوا عن ايمانهم بما يدعون ، لا ان يتكلموا محايدين ثم يتصرفوا منحازين ، لا سيما وان المعسكرين الشرقي والغربي يتربصان بهم .

ومر عبد الناصر ، احد اقطاب باندونغ ومن ورائه دول الحياد الايجابي ، باول تجربة عندما عجز عن الحصول على قرض لاقامة السد العالي ، فامم القناة وتعرض لعدوان ثلاثي . حتى اذا انجلت ازمة السويس وقف يخاطب العالم بوحي من مبادئ باندونغ قائلا: «اليوم من بور سعيد نتجه الى العالم ونطالبه بتثبيت قواعد العدالة وحق تقرير المصير ، نتجه الى العالم كله ونطالب بان تعطى كل دولة مستعمرة استقلالها لتحكم نفسها بنفسها... وانني باسم الجمهورية العربية المتحدة (الكلام بعد الوحدة مع سوريا) اوجه من بور سعيد دعوة الى العالم كله من اجل السلام ومن اجل نبذ الحروب ومن اجل ازالة التوتر ومن اجل القضاء على الحرب الباردة... ونحن باعتبارنا جزءا من

الانسانية ابتلي بالعدوان من الدول الاستعمارية نطالب بمنع التجارب الذرية ونطالب بتحريم الاسلحة الذرية، ونطالب بنزع السلاح والعمل من أجل السلام.»

وبعد قيام السوق الاوروبية المشتركة (١٩٥٧) من دول كلها متطورة صناعيًا، خافت الدول النامية ان يؤخر ذلك تنميتها ونشاطها الصناعي والتجاري، فتداعت لعقد مؤتمر في القاهرة (مطلع ١٩٥٨) خصصته لبحث شؤون التنمية، وآخر في نهاية ١٩٥٨ لبحث التنسيق الاقتصادي بين دول عدم الانحياز. وتميز المؤتمر الاخير بدعوة الاتحاد السوفياتي للمشاركة فيه، وهو دولة لا افريقية ولا اسيوية في المعنى المقصود، مما سبب حرجا ولو مكتوما للكثير من الوفود. واستغلها السوفيات فرصة لتشجيع الدول النامية على تأميم المنشآت الاجنبية كمبدأ للسيادة الذاتية، وهذا معناه ايضا التصدي للمعسكر الغربي صاحب هذه المؤسسات موضوع التأميم. وابرز ما نجم عن هذا المؤتمر دعوة لانشاء «منظمة التعاون الاقتصادي للدول الافريقية والاسيوية» مركزه القاهرة.

وتلا مؤتمري القاهرة مؤتمر عقد في كوناكري (عاصمة غينيا) في نيسان ١٩٦٠، شجب التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية، وشدّد مرة اخرى على المبادئ المعلنة في باندونغ.

مؤتمرات عدم الانحياز

ومهدت مؤتمرات القاهرة وكوناكري لآخر اهم عقد في العاصمة اليوغوسلافية بلغراد في ايلول ١٩٦١. وعرف بمؤتمر عدم الانحياز الاول. وقبل الكلام عنه لا بد من لفت الانتباه الى ناحيتين: اولاهما ان الدول الحديثة الاستقلال ازدادت عدديًا (٢٠ دولة خلال ١٩٦٠) والدول الافرو اسيوية اضحت مغالية في يساريتها بحيث تحاول المزايدة على الاتحاد السوفياتي نفسه، وثانيهما ان يوغوسلافيا وما يمثله نظامها الاشتراكي من مفارقات مع نظام الاتحاد السوفياتي انما يعني شيئا خاصا بالنسبة لهذه الدول. ومن هنا التقارب في السعي بين عبد الناصر وسوكارنو وتيتو ونهرو لجعل مسرح دول الحياد الايجابي يتجاوز قارتي آسية وافريقية الى اوروبا نفسها.

تيتو.

من مقررات مؤتمر عدم الانحياز الاول

بلغراد ٦ ايلول ١٩٦١

بناء على اقتراح الرئيس جمال عبد الناصر وجه اعضاء المؤتمر رسالة الى كل من كنيدي وخروشوف يحثونهما فيها على التفاوض من اجل السلام . وهذا ما جاء في الرسالة :

يا صاحب الفخامة ...

« اسمحوا لنا نحن رؤساء دول وحكومات البلدان التي حضرت مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في بلجراد من اول ديسمبر الى السادس منه ان نخاطب فخامتكم بشأن موضوع له اهمية حيوية وعاجلة بالنسبة لنا جميعًا وبالنسبة للعالم بأسره . »

« ونحن نفعل هذا ليس باسمنا وحدنا فحسب بل وكذلك بناء على الرغبة الجماعية من جانب المؤتمر وشعوبنا واننا لنشعر بالاسى كما يستبد بنا قلق شديد ازاء تدهور الموقف الدولي وخطر الحرب الذي يتهدد الانسانية الآن . »

« وكثيرًا ما اشرتم فخامتكم الى الطبيعة المروعة للحرب الحديثة واستخدام الاسلحة النووية التي قد تمحي الانسانية معها كما ناديتم بالمحافظة على السلام العالمي ... ولكننا مع ذلك ، على شفا هذا الخطر نفسه الذي يتهدد الانسانية . »

« وان العالم يدرك ان فخامتكم حريصون مثلنا على تفادي هذا التطور المفزع الذي لن يقتصر على القضاء على الآمال التي تراودنا جميعًا بالنسبة لتقدم شعوبنا بل ويعتبر ايضًا تحديًا لبقاء الانسانية نفسها على قيد الحياة . »

« ونحن على يقين من انكم يا صاحب الفخامة ستفعلون كل ما في استطاعتكم لتفادي مثل هذه الكارثة .. ومهما يكن من امر فاننا نظرًا لخطورة الازمة التي تهدد العالم والحاجة الملحة لتفادي التطورات التي قد تنجم عنها نبيح لانفسنا ان نحث الدول الكبرى صاحبة الشأن على استئناف المفاوضات ومواصلتها حتى يمكن ازالة خطر الحرب من هذا العالم وتتمكن البشرية من سلوك سبل السلام . كما اننا نطلب منكم مخلصين بوجه خاص ان تقوموا باجراء مفاوضات مباشرة بين فخامتكما باعتباركما تمثلان اقوى دولتين اليوم في ايديهما مفتاح الحرب والسلام . »

« ونحن نؤمن ان كلًا منكما يؤمن بالسلام العالمي ... ومن ثم فنحن نؤمن كذلك بان مفاوضاتكما الدائبة ستؤدي الى مخرج من المأزق الحالي وتمكن العالم والانسانية من ان تعمل وتحيا من اجل الرخاء والسلام . ونحن على يقين يا صاحب الفخامة انكم ستقدرون ان الباعث على كتابة هذه الرسالة هو حبنا للسلام وجزعنا من الحرب ورغبتنا الملحة في ضرورة ايجاد مخرج قبل ان تواجه البشرية كارثة مروعة . »

ويلي تواقيع رؤساء الوفود الخمسة والعشرين المشتركة في المؤتمر

أ – مؤتمر عدم الانحياز الاول: انعقد في اوائل ايلول ١٩٦١ في بلغراد ، وتمثلت فيه خمس وعشرون دولة بينها يوغوسلافيا الاوروبية وكوبا الاميركية (الدول الافريقية: احدى عشرة هي: الجمهورية العربية المتحدة ، الجزائر ، تونس ، مراكش ، غينيا ، مالي ، غانا ، السودان ، الكونغو ، الصومال ، الحبشة ، والدول الآسيوية اثنتا عشرة هي: الهند ، سيلان ، اندونيسيا ، افغانستان ، نيبال ، كمبوديا ، بورما ، لبنان ، السعودية ، العراق ، اليمن ، قبرص). وشدد تيتو في خطابه الافتتاحي على ضرورة اسهام الدول الصغرى في حل مشاكل العالم . فبدأ مذّاك الكلام عن قيام «العالم الثالث» وعن سعيه لتحقيق التعايش السلمي بين مختلف الانظمة والدول ، وازالة التكتلات واحترام دور الامم المتحدة ، وتحقيق العدالة وازالة التمييز العنصري. وبعبارة اخرى شدد المؤتمرون على المبادئ نفسها التي اقرها باندونغ والمؤتمرات الاخرى ، مع فارق اساسي هو الانتقال من القول الى العمل الايجابي.

وابرز ما تمخض عنه هذا المؤتمر فكرة عرضها عبدالناصر وتبناها المؤتمرون ، الا وهي توجيه رسالة موقعة من كل أعضاء المؤتمر الى الرئيسين خروتشوف وكنيدي يحثونهما فيها على التفاوض من اجل صون السلام. وقد حمل الرسالة الى واشنطن احمد سوكارنو وموديبو كيتا (مالي) ، والى موسكو نهرو ونكروما. وجاء في رد كنيدي السريع على هذه الرسالة: «ان حكومة اميركا تدرك ان دول عدم الانحياز التي اجتمعت في بلغراد تمثّل قطاعا هاما في الرأي العام العالمي ... ونحن نحترم رغبة الشعوب الاخرى في ان تبقى غير منحازة ، ونحن نفهم رغبتها في السلام ونشاطرها هذه الرغبة». (انظر ص ٢١٧)

ب – مؤتمر عدم الانحياز الثاني: استهوت مقررات المؤتمر الاول الكثير من الدول المستقلة حديثا ، فاعلنت رغبتها في المشاركة والقيام بالدور الايجابي الذي نادى به مؤتمر بلغراد. ولما انعقد مؤتمر عدم الانحياز الثاني في القاهرة (ت١ ١٩٦٤) ، شاركت فيه وفود عن تسعة وخمسين دولة بينها عدد من المشتركين بصفة مراقب.

وقد انعقد هذا المؤتمر في وقت كانت ازمات الحرب الباردة قد انفرجت ولو مؤقتًا ، خاصة بعد قضية كوبا . مما جعل الكثيرين يعتقدون بتضاؤل دور العالم الثالث ، وهذا ما عبر عنه عبد الناصر في افتتاحه للمؤتمر بقوله: «نسمع

الان من انحاء كثيرة من يقولون لنا ان سياسة عدم الانحياز قد استنفدت دورها بالتغييرات التي طرأت على الموقف الدولي وخاصة فيما يتعلق بالحرب الباردة وبسياسة الكتل». وتحاشيا لما قد ينجم عن ذلك من اساءة تفسير لدور دول عدم الانحياز شدد المؤتمرون على مفهومين: اولهما ان سياسة عدم الانحياز ليست تجارة بين المعسكرين بدليل ما بذلته من مساع لازالة التوتر بين الشرق والغرب ، وثانيهما الابتعاد عن السلبية بدليل الاهتمام بكل مشاكل العصر ، وهي بذلك «تعبر عن ضمير الانسانية الملتزم بميثاق الامم المتحدة» اما فيما يختص بالمقررات المتخذة في المؤتمر فهي التشديد مجددا على ما اقر في المؤتمرات السابقة.

ج – **مؤتمر عدم الانحياز الثالث**: في دار السلام عاصمة تانزانيا ، انعقد مؤتمر تمهيدي (نيسان ١٩٧٠) لاقرار جدول بالقضايا المنوي بحثها في مؤتمر عدم الانحياز الثالث. ولما انعقد هذا الاخير في لوساكا عاصمة زامبيا (ايلول ١٩٧٠) استأثرت قضية التمييز العنصري بالقسط الاوفر من المباحثات. ولا يجوز الحكم بعد على الدور النهائي لدول العالم الثالث ، غير ان احداثاً دولية قد اضعفت من قدرته على العمل ، فلنحاول ان نقيم دور هذا العالم الثالث.

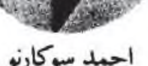
تقييم لدور العالم الثالث

استطاع دعاة عدم الانحياز ان يؤثروا في سير الاحداث الدولية، ولكن الى حين: ويرى الساسة ان ضغط العالم الثالث ، وما يمثله من حياد ، قد حمل وزير خارجية بورما يوثانت الى منصب الامين العام للامم المتحدة. وبتأثير من هذا الضغط ارتفع عدد اعضاء مجلس الامن الدولي والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ليوفر عدالة اكبر في توزيع المقاعد في هيئة الامم المتحدة. وقد استطاع بعض الاقطاب بما يمثلونه من سياسة متوازنة بين المعسكرين ان يحصلوا على المساعدات من الطرفين ، لذلك نسمع عبد الناصر يشدد على النفي بان «سياسة عدم الانحياز ليست تجارة بين المعسكرين». غير ان معظم اقطاب العالم الثالث قد اختفوا اليوم عن مسرح الاحداث الدولية (عبد الناصر ، نهرو ، سوكارنو ، نكروما...) ، والعدوان الاسرائيلي على مصر وجه ضربة موجعة لسياسة عدم الانحياز ، والدول الافرو اسيوية معظمها عاجز عن الاستمرار

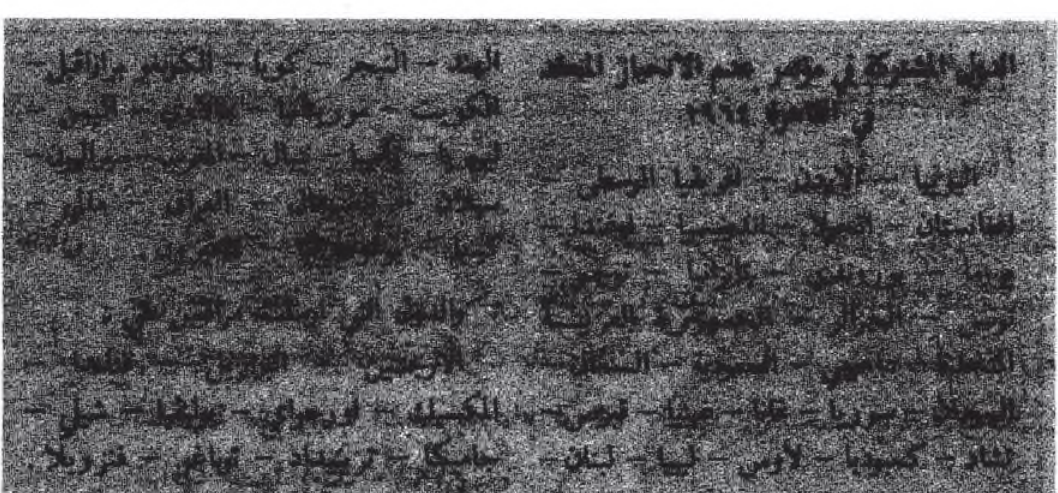
في حياده فاضحى يتكلم محايدًا ويتصرف منحازًا ، وكل المساعدات التي نالتها الدول النامية لم تمكنها من تطوير صناعتها في حين سكانها بازدياد . وبعد ذلك يمكن التساؤل اي دور يمكن ان يستمر في ممارسته هذا العالم الضعيف ماديا؟

انما فرنسا، في موقفها المستقل، تظل تعني شيئًا هامًا بالنسبة لهذا العالم الثالث .





احمد سوكارنو



الدول المشتركة في مؤتمر عدم الانحياز المنعقد في القاهرة ١٩٦٤

[illegible]

الهند – النيجر – كوبا – الكونغو برازافيل –
الكويت – موريتانيا – [illegible] – اليمن –
[illegible]
[illegible] – سوريا – غانا – غينيا – تونس – المكسيك – ارجواي – بوليفيا – شيلي –
تشاد – كمبوديا – لاوس – ليبيا – لبنان – جامايكا – ترينيداد – توباغو – فنزويلا .

من التصريح النهائي لمؤتمر التنمية الاقتصادية – ١٨ يوليو ١٩٦٢

« ان المؤتمر ينظر بعين القلق الى التفاوت المتزايد في مستويات المعيشة السائدة في مختلف اجزاء العالم . ويلاحظ انه على الرغم من الاعتراف العام بضرورة تعجيل خطة التنمية في البلاد النامية لم تتبع حتى الآن وسائل وافية ذات طابع ايجابي محدد تمكنها من بلوغ معدل مناسب من النمو . كما يلاحظ ان نسب التبادل في التجارة الدولية قد ظلّت سائرة في غير صالح البلاد النامية . »

« ويرى المؤتمر كي يتحقق للعالم التقدم والسلام لا بد ان تتاح للبلاد النامية اقصى الفرص والتسهيلات لتفيد من مواردها أتم فائدة . ولقد احرزت البلاد النامية تقدمًا في تنميتها الاقتصادية على الرغم من وجود عوامل في غير صالحها موروثة اساسًا من ماضٍ استعماري وهي تعتمد في ذلك اساسًا على مواردها وتستخدم الى اقصى حد المعونة الخارجية التي قدمت اليها وهي معونة لا بد أن تزيد زيادة كبرى . »

« ويدرك المؤتمر انه نتيجة للتقدم الذي احرزته الدول النامية توجد الآن فرص جديدة للتعاون الدولي بين الدول النامية ويجب الافادة من هذه الفرص الى اقصى حد ممكن . »

« ويؤكد المؤتمر ان العمل المشترك الذي تقوم به الدول النامية نفسها في وسعه ان يحل كثيرًا من مشاكلها وان يزيد من سرعة تقدمها على اساس دولي اوسع كما يدرك اهمية التعبئة القصوى للموارد الداخلية للدول النامية . وان التنمية الاقتصادية للدول النامية تجابه صعوبات متزايدة ترجع جزئيًا الى بعض عوامل دولية لا تتحكم فيها الدول النامية والى اتجاهات قد تؤدي الى استمرار قيـــام الكيـــان القديم للعلاقات الاقتصادية الدولية . »

« واذ يذكر المؤتمر تصريح الامم المتحدة بشأن منح الاستقلال للبلاد التابعة يحث على التخلص من الاستعمار تخلصًا تامًا كضرورة للتنمية الاقتصادية للشعوب التابعة ولكي تمارس حقوق سيادتها على مواردها الوطنية . »

حمدي حافظ
المشكلات العالمية المعاصرة ص ٥٦٦
الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة

٢٣ الحَرْبُ الكُوريّة

كوريا واليابان

لكوريا موقع استراتيجي هام ، فهي شبه جزيرة تمتد جنوبي منشوريا وتقع على بعد واحد تقريبا بين بكين وطوكيو. وعندما كانت الصين مستضعفة ، فرضت عليها اليابان ان تعترف باستقلال شبه جزيرة كوريا (١٨٩٥). وبعد انتصارها على روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ حولتها الى محمية يابانية واحكمت اشرافها عليها (منذ ١٩١٠).

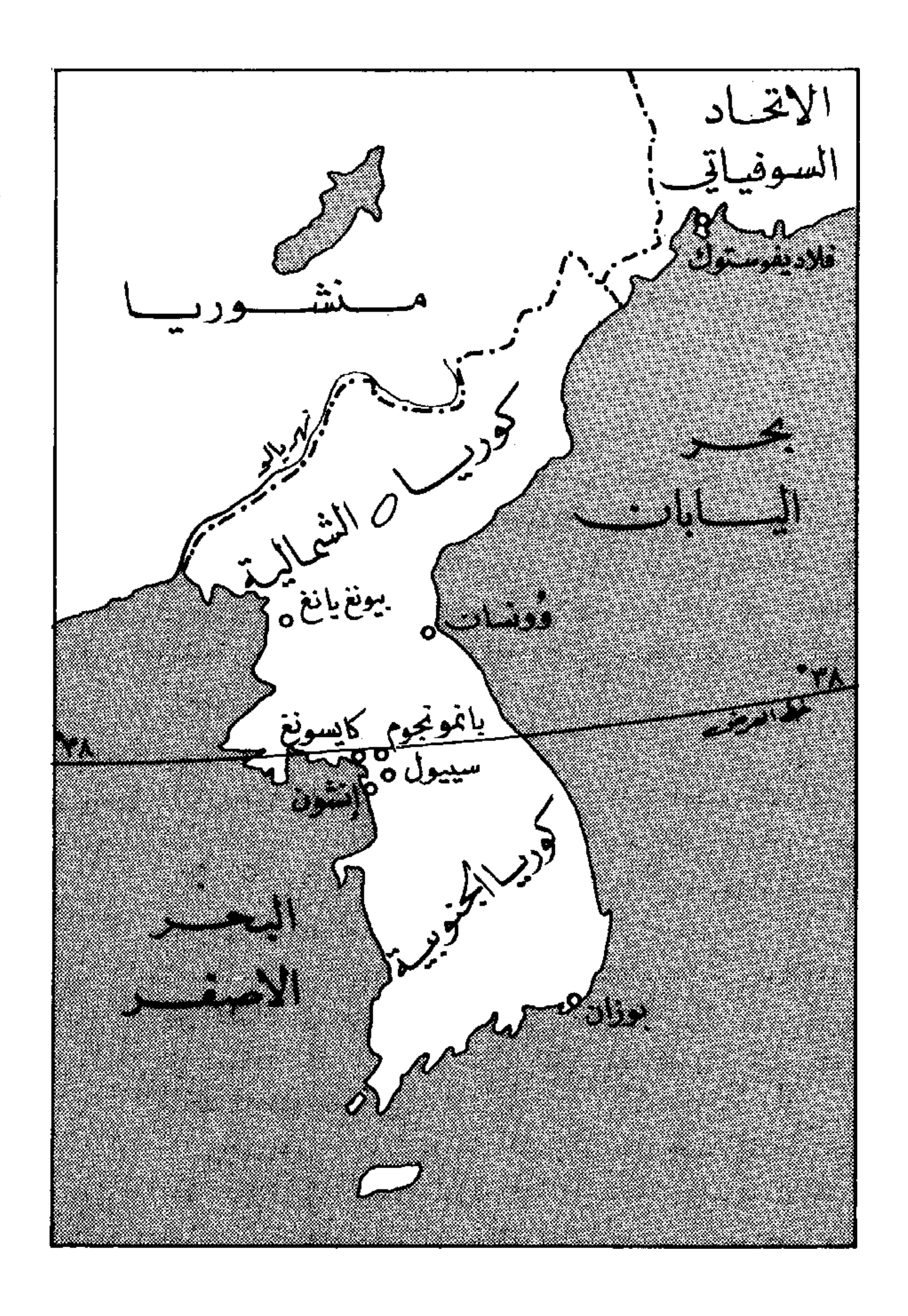
ولم يسلس الكوريون القياد، بل اثاروا ردود فعل مختلفة ابرزها الاغتيالات السياسية. وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى تعين على اليابان ان تحكم قبضتها عليها ، فيما رأى الكوريون ان الحرب فرصة لاطراح النير الياباني مستفيدين من مناصرة الحلفاء لهم ؛ فلم يفلحوا. وظلوا مرتبطين بسياسة اليابان العامة في الصين حتى نشوب الحرب العالمية الثانية.

موقف الحلفاء من كوريا

في مؤتمر عقد بالقاهرة (ت ٢ ١٩٤٣) اقرّ ممثلو الولايات المتحدة وانجلترا والصين ضرورة استقلال كوريا حال زوال النفوذ الياباني عنها. وفي مؤتمري يالطا وبوتسدام استقر الرأي على ان تتولى القوات السوفياتية طرد اليابانيين من شمالي كوريا والقوات الاميركية طردهم من جنوبيها ، على ان تكون الحدود الفاصلة بين الجنوب والشمال خط العرض الثامن والثلاثين.

وبعد يومين فقط من استسلام اليابان (٤ ايلول ١٩٤٥) دخلت القوات السوفياتية الى كوريا الشمالية، فاستقبلت بحفاوة. وتأخر الاميركيون في الوصول نظرا لوجودهم في اوكيناوا.

وفي مؤتمر انعقد بموسكو (ك١ ١٩٤٥) تم الاتفاق على اقامة دولة كورية ديمقراطية مستقلة. وتمهيدا لهذه الخطوة يؤلف الحلفاء بعثة مشتركة ، تتمثل فيها الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين ، مهمتها الاشراف على اوضاع كوريا الداخلية واستفتاء الاحزاب الديمقراطية المختلفة حول هوية الحكومة المؤقتة التي ستضع بالاتفاق مع الحلفاء اسس حكم دائم يلي فترة الاحتلال الاميركي السوفياتي.



الاتحاد السوفياتي
فلاديفوستوك
منشوريا
نهر يالو
كوريا الشمالية
بحر اليابان
بيونغ يانغ
وونسان
٣٨°
بانمونجوم
كايسونغ
٣٨
سيئول
إنشون
كوريا الجنوبية
البحر الأصفر
بوزان

الحرب الباردة في كوريا

وكانت الخطوة الاولى اذاً اجراء انتخابات تنبثق عنها حكومة مركزية مشتركة بين الجنوب والشمال. فبدأت البعثة الاميركية السوفياتية باستمزاج آراء الاحزاب الديمقراطية المحلية، وما اكثرها في الجنوب. ولم يطل الامر حتى انفجر النزاع بين المندوبين الاميركيين والسوفيات حول الاحزاب الممكن استمزاجها رأيها في الانتخابات. وتعثرت المحادثات حتى توقفت في ٨ ايار ١٩٤٦. واهتم الجانبان بتدعيم الاوضاع كل في منطقة نفوذه. وازدادت الشقة بعدا بين القطاعين حتى غدا الامر مواجهة غير مباشرة أو فصلا من فصول الحرب الباردة بين المعسكرين. وتبلور الانقسام الكوري عند اعلان عاصمتين احداهما في الشمال (بيونغ يانغ)، والثانية في الجنوب (سيول). وتألفت في عاصمة الشمال «لجنة شعبية»، وفي عاصمة الجنوب قامت لجنة عيّن بعض اعضائها الاميركيون والبعض الاخر انتخبه الشعب. واجتمعت اللجنتان الشمالية والجنوبية للتفاوض دون جدوى، بل ازداد الخلاف حدة حول الصبغة الديمقراطية المعترف بها للاحزاب. وبقيت نقطة الخلاف الرئيسة: طريقة اجراء الانتخابات العامة والاشراف عليها في جميع الانحاء الكورية.

تدخّل الأمم المتحدة

وعرضت الولايات المتحدة قضية كوريا امام الامم المتحدة، فانتدبت هذه «بعثة الامم المتحدة الى كوريا» لتهتم بالاشراف على الانتخابات فيها (١٤ ت٢ ١٩٤٧)؛ فرفض السوفيات السماح للبعثة بدخول كوريا الشمالية، وذريعتهم ان القضية هي من اختصاص الكوريين وحدهم.

اما في الجنوب فقد اشرفت البعثة على الانتخابات (٢٥ حزيران ١٩٤٨)، وفاز سنغمان ري زعيم «الاتحاد الوطني لاستقلال كوريا» باغلبية ساحقة بل مصطنعة. وكان عليه ان يواجه معارضة شديدة، قمعها باساليب بوليسية مستندا الى الحماية الاميركية.

وردت كوريا الشمالية على هذه الخطوة بانتخاب جمعية وطنية، انبثقت عنها حكومة مؤقتة برئاسة الجنرال كيم ايل سونغ، وتشبهت في نظامها السياسي بالاتحاد السوفياتي. فاعترفت بحزب واحد، واقامت جيشا وطنيا اتاح التعجيل في انسحاب القوات السوفياتية منها (حزيران ١٩٤٨). اما

القوات الاميركية فقد تأخر انسحابها من كوريا الجنوبية عن هذا الموعد، الا انه انسحاب فتح الطريق امام كيم ايل سونغ لغزو الجنوب.

الحرب الكورية

لم يتحسب الاميركيون لخطر غزو شمالي، بل اعتبروا كوريا الجنوبية نفسها «خارج نطاق قاعدة الدفاع الاميركي» في الشرق الاقصى. فيما اعتبر الشيوعيون بان كوريا الجنوبية منطقة فراغ عسكري يمكنهم ملؤها. فافتعل الشماليون بعض الحوادث على الحدود، اي على خط العرض ٣٨، ليجتاح جيشهم الشعبي مناطق الجنوب (٢٥ حزيران ١٩٥٠).

وصمم ترومان على الرد فوراً، معتبراً الغزو الشيوعي تحدياً سافراً للولايات المتحدة نفسها. وادخل الجانبان، الشيوعي والاميركي، في حسابهما ان لا مجال للجوء الى القوة الذرية في حرب محدودة كحرب كوريا. لذا فان تدخل الولايات المتحدة سيبقى ضمن الحرب التقليدية.

تدخّل مجلس الأمن

ودعا ترومان مجلس الأمن الدولي الى جلسة طارئة، فانعقد بعد اثنتي عشرة ساعة من بدء العدوان بغياب مندوب الاتحاد السوفياتي. فهذا الاخير كان يقاطع جلسات المجلس منذ مطلع السنة احتجاجا على عدم الاعتراف للصين الشعبية (لا للصين الوطنية) بحقها في عضوية الامم المتحدة. فقرر المجلس ضرورة انسحاب القوات المهاجمة الى ما وراء خط العرض ٣٨، وطلب الى الدول الاعضاء في هيئة الامم تقديم العون لصد العدوان. فمن سيتولى تنفيذ هذا القرار؟

موقف الولايات المتحدة

ولم ينتظر الرئيس الاميركي صدور هذا القرار عن مجلس الامن ليأمر الجنرال ماك ارثر بتقديم الاعتدة العسكرية والعون لكوريا الجنوبية. فتوالت النجدات لقمع «غارات العصابات» على حد قول ترومان. وفي السابع من تموز ١٩٥٠ انيطت بالولايات المتحدة الاميركية قيادة قوات هيئة الامم المولجة تنفيذ القرار «كاجراء بوليسي تحت اشراف الامم المتحدة»، وكانت تلك اول مرة تتدخل فيها الهيئة الدولية عسكريا. واشتركت بالحملة قوات بريطانية واسترالية ونيوزيلندية وفرنسية وبلجيكية وهولندية وكولومبية وحبشية وسيامية وتركية ويونانية. أما في الواقع فقد بدت حرب الاميركيين لا سواهم، اذ هم الذين

تولوا تمويلها وقيادتها. واضحت الحرب الكورية مظهرا وميدانا للتطاحن بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي. (انظر ص ٢٢٩)

مراحل الحرب

بعد الهجوم الشمالي المفاجئ، كاد الشيوعيون يسيطرون على الجنوب. ولم ينقذ الموقف غير تدخل الغرب السريع. ومرت الحرب بعد ذلك بمراحل ثلاث.

١ – المرحلة الأولى

بعد ان نجح الشماليون في غزو الجنوب، انزل ماك ارثور قواته وراءهم عند انشون، وعلى بعد ثلاثين كيلو مترا شمالي سيول (١٥ ايلول). فانسحبت القوات الشمالية على غير هدى، واستعادت قوات الامم المتحدة عاصمة الجنوب، وما انتهى شهر ايلول حتى تمركزت عند خط العرض ٣٨. واستؤنفت المباحثات في محاولة جديدة لتوحيد كوريا (٧ ت١) ولما فشلت المباحثات امر ماك ارثور قواته بعبور الحدود الى الشمال. فاستولى على بيونغ يانغ نفسها. وبوصول قواته الى نهر يالو، على حدود منشوريا، انقض عليها المتطوعون الصينيون (١٦ ت١) فتراجعت، ودخلت الحرب مرحلة جديدة.

٢ – المرحلة الثانية

انكفأت قوات الامم المتحدة امام زحف المتطوعين، وعدتهم ثلاثمائة الف. وتكبدت خسائر فادحة. واستمرت تتراجع على غير هدى حتى فقدت سيول، وغدت شبه الجزيرة مهددة مرة اخرى.

واحتجت الولايات المتحدة لدى مجلس الامن. وطالب ماك أرثور بمهاجمة الصين نفسها بانيا آراءه على ما يلي: اذا كان المقصود توحيد كوريا فيقتضي التغلب على نصيرتها الصين. فلا بد اذا من فرض حصار اقتصادي حولها، ودعم قوات تشيانغ كاي شك لتتمكن من شن هجوم على البر الصيني. اذاك يتبدل ميزان القوى في كافة انحاء الشرق الاقصى لصالح الولايات المتحدة. (انظر ص ٢٢٩)

ورفض ترومان هذه الاقتراحات لانها تتجاهل امكانية دعم الاتحاد السافياتي للشيوعيين كما تتجاهل الاحتياط العسكري الصيني الضخم مما يضطر الولايات المتحدة الى سحب قواتها من اوروبا، فتترك القارة الاوروبية لقمة مستساغة للاتحاد السوفياتي. يضاف الى ذلك ان هذه «الحرب الجديدة»

اذا اندلعت ، تعيّن على الولايات المتحدة ان تخوضها منفردة لا تحت اشراف الامم المتحدة.

وادى تباين الرأي بين ماك ارثور وترومان الى خلاف علني. فانتقد ماك ارثور سياسة حكومته ، وازدادت لهجته حدة بعد ان استطاع صد العدوان الصيني عن الجنوب (آذار ١٩٥١) ، فانفرد باصدار انذار اقترح فيه الهدنة على كوريا الشمالية والا هاجم الصين نفسها. ولم يمهله ترومان لتنفيذ انذاره ، فاقاله في ١١ نيسان ١٩٥١ واستبدله بالجنرال ريدجواي.

٣ – المرحلة الثالثة

بعد صد العدوان الصيني وعبور القوات الاميركية لخط العرض ٣٨ ، تجمدت العمليات العسكرية الى ان بادر الشيوعيون بهجوم مفاجئ ، فاسفر عن فشل كبير. ومع صيف ١٩٥١ (٢٣ حزيران) اقترح مندوب الاتحاد السوفياتي (جاكوب ماليك) وضع حد للقتال في كوريا. فوافقت الولايات المتحدة ، وبدأت مرحلة مفاوضات عقيمة قطعها الصينيون في ت١ ١٩٥٢ باستئناف الهجوم باتجاه سيول. ولم تخف وطاة الحرب الا بعد موت ستالين (٥ آذار ١٩٥٣) ، فتم الاتفاق على تبادل الاسرى والجرحى. وكانت الخطوة النهائية في ٧ تموز ١٩٥٣ حيث وقعت الهدنة في بانمو نجوم ، واقيمت بموجبها منطقة منزوعة السلاح ، عرضها كيلومتران ، تفصل كوريا الشمالية عن كوريا الجنوبية عند خط العرض ٣٨. ثم تتولى حل القضية الكورية لجنة خاصة تجتمع في وقت لاحق.

جدوى الحرب الكورية

وفي ٢٨ آب ١٩٥٣ ، اوصت هيئة الامم المتحدة بعقد مؤتمر دولي ينظر في حل سلمي للقضية الكورية. وتشترك فيه الدول المعنية بالحرب. فاعترضت كل من الصين وكوريا الشمالية على استبعاد الدول المحايدة عن المؤتمر. ورغم الاعتراض انعقد المؤتمر في جنيف (٢٦ نيسان ١٩٥٤) دون ان تنجم عنه نتيجة عملية. ولا تزال المشكلة معلقة حتى اليوم لا يذكّر بها الا بعض المناوشات.

ويجدر بنا ان نتساءل: من كان المنتصر في الحرب الكورية؟ لم يكن هناك منتصر ، لان الحدود التي نصت عليها الهدنة قد بقيت خط العرض ٣٨.

وبعد قتال دام ثلاث سنوات ، بلغ عدد ضحايا قوات الامم المتحدة تسعمائة الفا بين قتيل وجريح ومفقود. ونيّف عدد ضحايا الشيوعيين على ثمانمائة الف. وكان من ابرز نتائج هذه الحرب ظهور قوة جديدة على مسرح الاحداث الدولية هي الصين الشعبية ، وازدياد النفور السوفياتي الاميركي ، وبلوغه ابعادا جديدة في الحرب الفيتنامية.





ماك ارثور

سنغمان ري وماك ارثور.



قادة قوات الامم المتحدة في كوريا.

٢٤ حُروبُ الهِنْدِ الصِّينيَّة

فرنسا وڤيتنام

الهند الصينية شبه جزيرة تتقدم في بحر الصين بين خليج تونكين وخليج سيام ، وتشمل دول ڤيتنام ولاوس وكمبوديا وتايلاند وملايو وبورما .

وخلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر سيطرت فرنسا – بموجب معاهدة هُوَيْ ١٨٧٤ – على سياسة أنّام الداخلية والخارجية ، ونالت امتيازات في هانوي وهايفونغ وتوران (دانانغ حاليًا) ، ووضعت تونكين تحت حمايتها ، واستعمرت كوشنشين (جنوبي ڤيتنام اليوم) .

واجتمعت كل المحميات الفرنسية في الهند الصينية في اتحاد فدرالي يرئسه حاكم فرنسي ، ويضم تونكين وأنام وكمبوديا ثم لاوس فيما بعد ، ودعي « اتحاد الهند الصينية الفرنسية » .

يقظة التيّار الوطني

وقاسى « اتحاد الهند الصينية » من استغلال استعماري جشع . فقد فُرضت الضرائب على السكان دون شفقة ، وتعذر على الفلاحين أداؤها احيانًا . وأرهقتهم الديون حتى فقد الكثيرون ممتلكاتهم . ومنذ عام ١٩١١ بدأت بوادر وعي وطني يطالب بتوحيد واستقلال امبراطورية ڤيتنام السابقة (تونكين وأنام وكوشنشين) . ولمّا اندلعت الحرب العالمية الأولى ، انخرط الوف الڤيتناميين في الجيش الفرنسي معلّلين النفس بوعد بالاستقلال . غير انه وعد لم يتحقق ، فخلّف نقمة وطنية عارمة .

وخلق الفقر والاستغلال الاستعماري ميدانًا خصبًا لتغلغل الافكار الشيوعية الصينية . وتألّف حزب ڤيت منه (جبهة استقلال ڤيتنام) فاضطهد الفرنسيون اعضاءه ، ونفوا زعماءهم ، ومن بينهم نغويان آي كيوك الملقّب فيما بعد « هوشي منه » .

وخلال انعقاد مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩) حاول هوشي منه ورفاقه المنفيون الى فرنسا طرح قضية بلادهم امام المؤتمر ، فلم يفلحوا . غير انهم كسبوا شهرةً ولاقوا عطفًا وبلغت نقمة الوطنيين ذروتها عام ١٩٣٠ ، وانفجرت

الحركة الوطنية فقابلها الفرنسيون بقمع شديد ، واستمروا في سياسة القمع حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا أمام النازيين .

الاحتلال الياباني

سمحت حكومة ڤيشي لليابان بارسال جيوشها الى تونكين ومراقبة المطارات فيها (اواخر آب ١٩٤٠) ، فسهل عليها مهاجمة تونكين والتحريض ضد الاستعمار الفرنسي تحت شعار « آسيا للاسيويين » . وما انقضى عام (اواخر تموز ١٩٤١) حتى عُقد اتفاق آخر بين طوكيو وڤيشي للدفاع معًا عن الهند الصينية . وعلى هذا الأساس احتلّت اليابان كوشنشين (جنوب ڤيتنام) .

وبعد هزيمة المانيا (صيف ١٩٤٤) وزوال حكومة ڤيشي ، انقلبت التحالفات ، وبادرت اليابان الى مهاجمة الحاميات الفرنسية في الهند الصينية . حتى اذا مالت كفة الحرب ، واضطر اليابانيون للتراجع ، اعلنوا استقلال ڤيتنام (تونكين وأنام) ، واعادوا اليها امبراطورها السابق باو داي .

فرنسا وهوشي منه

وفي المرحلة النهائية من الحرب ، احتلت الجيوش الصينية ، بمساعدة الولايات المتحدة ، تونكين ولاوس ، فيما احتلت القوات البريطانية جنوبي الهند الصينية . وسارع حزب ڤيت منه الى اعلان حكومة وطنية في هانوي ، وعلى رأسها هوشي منه (٧ ايلول ١٩٤٥) ، ومن اعضائها باو داي .

واصرّت فرنسا على استعادة مستعمراتها في الهند الصينيّة . فتخلّى لها البريطانيون عن الجنوب بعد مباحثات صعبة . وفرض الصينيون مقابل تخلّيهم عن تونكين ولاوس ، ان تتنازل فرنسا عن كل الامتيازات التي نالتها في الصين بموجب « المعاهدات المجحفة » . وانما كان على فرنسا ان تتفق ايضاً مع هوشي منه الذي اعلن استقلال بلاده .

المفاوضات : فونتنبلو

ودخلت فرنسا في مفاوضات مع سيّد ڤيتنام الجديد . وتم الاتفاق (٦ آذار ١٩٤٦) على اعتبار ڤيتنام (تونكين وانام فقط دون الجنوب) دولة ضمن « اتحاد الهند الصينية » وعلى ان يكون كل الاتحاد الفدرالي هذا عضوًا في « الاتحاد الفرنسي » . اما في الجنوب (كوشنشين) ، فيجرى استفتاء يتقرر بنتيجته ما اذا كانت هذه المستعمرة ستتبع فيتنام أم لا . ونظرًا لغموض هذا

الشرط تقررت اعادة النظر فيه خلال اجتماعات لاحقة ابرزها اجتماع فونتينبلو.

في هذا الاجتماع تجدد الخلاف حول نقاط اربع: اولها الحاح فرنسا على اقامة اتحاد فدرالي يجمع دول الهند الصينية (ڤيتنام لاوس كمبوديا) ويكون لها فيه (اي لفرنسا) ممثلون يتساوون عدديًا مع ممثلي دول الاتحاد. وان يكون على رأسه حاكم فرنسي يتمتع بسلطات فعلية. فرفض هوشي منه مطالبًا باستقلال تام لڤيتنام ضمن الاتحاد. وثانيها: اشتراط فرنسا ان تحصل وحدها على امتيازات ثقافية واقتصادية مقابل اعترافها لڤيتنام بحق تمثيل خارجي في الدول المجاورة. وثالثها: اصرار هوشي منه على ان يسبق الاستفتاء في كوشنشين قيام حكومة من الڤيت منه تحل محل الحكومة الموقتة التي عينتها فرنسا. ورابعها: حول تمثيل دول الهند الصينية في المجلس الفدرالي؛ فهوشي منه يريد مراعاة النسبة العددية بين بلدان الاتحاد كما يصر على اقامة مؤتمر للحكومات على غرار مؤتمر رؤساء وزارات دول الكومونويلث. فقابلته فرنسا بالاصرار على ان يكون لممثلها الدور الاول، لتحافظ بذلك على مبادئ دستور «الاتحاد الفرنسي» (١٩٤٦)، الذي يضم فرنسا والدول المتحدة معها وكانت من قبل مستعمرات لها. (ص ٢٣٥)

«حرب الهند الصينيّة»

بعد ان انتهت مفاوضات فونتينبلو الى خلاف مستعصٍ، تصدّت قوات ڤيت منه للجاليات الفرنسية في هانوي (١٩ ك١ ١٩٤٦). فردّ الفرنسيون بقسوة اجبرت هوشي منه على الاعتصام بالجبال لتنظيم مقاومة بل حرب دامت ثماني سنوات وعرفت «بحرب الهند الصينية».

وفتشت فرنسا عن حليف لها ضد هوشي منه، فاذا هو الجنرال يوان، ثم حلّ محلّه الامبراطور السابق باو داي بعد تخلّيه عن عضوية الڤيت منه. واعترفت له فرنسا باستقلال ڤيتنام على ان تنضم للاتحاد الفرنسي كدولة شريكة فيه (٩ آذار ١٩٤٩)؛ ومعنى ذلك ان بامكانها تنظيم شؤونها الادارية والعدلية والدبلوماسية. فارسلت البعثات الى الصين وسيام والڤاتيكان، وتعهدت مقابل ذلك باحترام المصالح الاقتصادية الفرنسية، وبالسماح بانشاء جيش فرنسي الى جانب الجيش الفيتنامي.

دي لاتر دي تاسيني في ڤيتنام.



في مستنقعات ڤيتنام.

اما الجنوب (كوشنشين) ، فقد تولّت شؤونه جمعية محلية (٤٨ عضوًا بينهم ١٦ فرنسيًا) ، صوتت بعد فترة على انضمامه الى ڤيتنام . وبذلك تم اجتماع المقاطعات الثلاث : تونكين ، انّام ، كوشنشين ضمن دولة موحدة هي ڤيتنام . وفي الوقت نفسه عقدت فرنسا مع لاوس وكمبوديا معاهدات ثنائية اعترفت بموجبها باستقلال هذين البلدين ، وبانضمامهما الى « الاتحاد الفرنسي » (١٩٤٩) ، بعد ان كانت قد اعلنتهما تحت حمايتها منذ ١٩٤٦ .

مقاومة هوشي منه

في مطلع سنة ١٩٥٠ ، اعترف الاتحاد السوڤياتي والصين بحكومة هوشي منه . فردت الولايات المتحدة وبريطانيا ثم استراليا وزيلندا الجديدة على ذلك بالاعتراف بحكومة باو داي . فدعم ذلك موقف فرنسا دون ان يؤمّن لها استرجاع مركزها السابق في الهند الصينية ؛ لان دول لاوس وكمبوديا وڤيتنام كانت مستميتة في الحفاظ على ما نالته حتى الآن . وزاد في حراجة موقف الفرنسيين ان هوشي منه بدأ يكبدّها الخسائر في الأرواح والمعدات ، حتى استطاع ان يُنزل بها هزيمة فعلية في تشرين اول من سنة ١٩٥٠ .

وشاءت الولايات المتحدة ان تدعم موقف فرنسا العسكري فقدمت لها المساعدات المختلفة ؛ والواقع انها أرادت ان تهيّئ لنفسها موطئ قدم في ڤيتنام . واستمرّت الحرب بعد ذلك سجالًا الى ان اعلن حلف شمالي الاطلسي تضامنه مع فرنسا (١٧ ك ١ ١٩٥٢) مخافة ان يؤدي سقوط ڤيتنام الى ضياع بورما وتايلاند واندونيسيا . وكانت هجمات الشيوعيين عنيفة بحيث رضي الفرنسيون ان يعقدوا مفاوضات في جنيف . وارادوا ان يدعموا موقفهم بنصر عسكري فحشدوا قوات ضخمة في ديان بيان فو بلاوس (قرب الحدود الصينية) ، لكنهم منوا بهزيمة منكرة امام قوات الجنرال غياپ (٧ ايار ١٩٥٤) .

مؤتمر جنيڤ

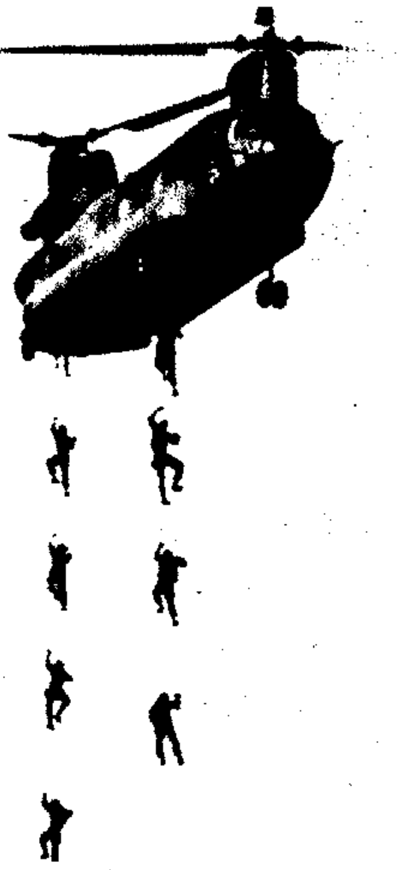
قبل ان ينتهي الفرنسيون الى هزيمة ديان بيان فو ، كانت الازمات الوزارية تعصف بفرنسا . واقتضى على باريس ان تداري في الوقت نفسه الرأي العام الفرنسي المعارض لحرب الهند الصينية والرأي العام الوطني المعارض في فيتنام ، لا سيما ان هجمات الفيتناميين قد بدأت تضعف من مركزهم في جنوب شرق آسيا . ثم حلّت هزيمة ديان بيان فو فاضطر رئيس الوزارة (منديس فرانس) أن يوقع اتفاقية جنيف (٢٠ تموز ١٩٥٤) .



هوشي منه مع الجنرال ليكليرك الفرنسي.



ديم محاطًا ببعض افراد اسرته.



انزال قوات اميركية فوق مستنقعات ڤيتنام.

وأُدرجت قرارات اتفاقية جنيف في وثيقتين ؛ أُولاهما هدنة بين الفرنسيين والڤيت منه – ضمنتها الولايات المتحدة – وتنص على اعتماد خط العرض ١٧ حدودًا مؤقتة بين ڤيتنام الجنوبية وڤيتنام الشمالية ، الى ان يتم توحيد البلاد بعد اجراء انتخابات عامة خلال عامين ، كما تنص على امتناع الطرفين عن الحصول على امدادات عسكرية من الخارج أو السماح بإقامة قواعد عسكرية اجنبية في ڤيتنام . اما الوثيقة الثانية فكانت بمثابة تصريح ختامي رفضت الولايات المتحدة ان تشترك في توقيعه مع الصين الشعبية . ثم تلت اتفاقية جنيڤ اتفاقيات اخرى عُقدت في باريس في نهاية عام ١٩٥٤ ، واقرت استقلال كل دول الهند الصينية .

الأميركيّون بدورهم

مذ كانت القوات الفرنسية مطوّقة في ديان بيان فو ، صمّم الاميركيون على القاء ثقلهم في المعركة . وذلك للحؤول دون هزيمة الفرنسيين ، وبالتالي دون وصول المد الشيوعي الى كل بلدان الشرق الاقصى . وفي مؤتمر جنيف وُفّق الاميركيون في ابقاء ڤيتنام قسمين : شمالي وجنوبي . ثم هيّأوا مرشّحهم لحكم ڤيتنام الجنوبية فاذا هو نصير سابق لفرنسا نغو دنه دييم . فحل محل باو داي واستبد بحكمه (منذ اواخر ١٩٥٥) ، وحال بوصوله دون اجراء الانتخابات المنصوص عنها في اتفاقية جنيف ، بحجة ان فرنسا هي التي وقعتها ، وڤيتنام الجنوبية غير ملزمة بها . ولم يكن هوشي منه بدوره متحمسًا لفكرة اجراء الانتخابات قبل ان يتأكد من قوة قاعدته الشعبية في ڤيتنام الجنوبية ، غير انه افاد من اخطاء دييم ليكسب المحبذين باستمرار.

الحرب

حيال تعسف دييم وتردّي الاوضاع الاقتصادية رصّت المعارضة صفوفها ضمن « جبهة التحرير الوطني » او الڤيتكونغ (آخر ١٩٦٠) . ورحّب بها الفلاحون والعمال ، فانتشر نفوذها بسرعة . وبدأت حرب عصابات هدّدت حكم دييم ، وجعلت نفوذه مقتصرًا على المدن الكبرى وبحاجة دائمة لمساندة عسكرية بل لوجود اميركي مستمر في ڤيتنام . (انظر.ص ٢٣٦)

وازداد كره الفئات الشعبية لما يمثله حكم دييم من وصاية اميركية ونفوذ للارستقراطية المحلية . وغدا تدخل الولايات المتحدة سافرًا ، خاصة عندما وصل الخبراء العسكريون الاميركيون لتعزيز مركز الجيش الڤيتنامي الجنوبي

(صيف ١٩٦١) . فاحيطت القرى باسلاك شائكة لعزلها عن نفوذ الڤيتكونغ ومنع لجوئهم اليها . وما لبثت البلاد ان اضحت حقلًا للتجارب الحربية الاميركية . ورغم كل ذلك لم يستطع دييم ان يعزز موقفه ، فتخلّى عنه الاميركيون . وتبلبل الوضع الداخلي ولم يستقر نسبيًا إلا بعد وصول ڤان ثيو ورئيس وزرائه كاو كي الى الحكم . فالتزما بسياسة اصلاح اقتصادي واجتماعي قد يقضي على اسباب النفور الداخلي .

تصعيد الحرب

وتورط الاميركيون عسكريًا حتى غدت المعركة تعنيهم بالدرجة الاولى . وتعيّن عليهم أحد أمرين : اما الانسحاب ومعناه الهزيمة واما مواصلة الحرب ومعناه الزيادة في التورّط والتصعيد . وكانت خطوتهم الأولى في تصعيد الحرب قصفهم ڤيتنام الشمالية نفسها (١٩٦٥) ، لمنع وصول امداداتها الى الڤيتكونغ وحمل هانوي على التفاوض . وازداد حرجهم امام الرأي العام الدولي لان القصف لم يعط النتيجة المرجوة فتوقفوا عنه . وقابلهم الڤيتناميون الشماليون بالقبول بالمفاوضات (١٩٦٨) في باريس . لكنها مفاوضات لم تسفر عن اي نتيجة حتى الآن .

وكانت الخطوة الثانية في تصعيد الحرب توسيع نطاقها بحيث تشمل مناطق اخرى في الهند الصينية ؛ وبوجه التحديد في كمبوديا حيث مال رئيسها الامير سيهانوك الى الشيوعيين وغض النظر عن نشاط الڤيتكونغ في كمبوديا ، وفي آخر نيسان ١٩٧٠ بدأ زحف اميركي ڤيتنامي جنوبي ضد كمبوديا ، سبقه انقلاب اطاح بسيهانوك . وبرّر الرئيس الاميركي نيكسون عمله هذا بضرورة حماية المقاتلين الاميركيين واتاحة الفرصة لنجاح سياسة اميركا الجديدة المعروفة باسم « ڤيتنمة » الحرب . غير انه سرعان ما ظهر للاميركيين انهم بحاجة الى تدبير مماثل آخر ، فدفعوا بالجيش الجنوبي الڤيتنامي لمهاجمة لاوس (في مطلع ١٩٧١) فعادوا القهقرى .

صدى حرب ڤيتنام

خلقت حرب ڤيتنام انقسامًا في الرأي العام الاميركي بل العالمي . فالبعض يرى فيها حربًا ثورية لا تستحق هذا الرد من قبل الاميركيين ، والبعض الآخر يراها ضرورية لمنع امتداد الافكار الشيوعية . ومع ذلك لم يتورّع بعض الساسة والقادة الاميركيين عن لوم حكومتهم على سياستها في ڤيتنام .

وعلى الصعيد الدولي ، كسبت قضية ڤيتنام عطف معظم الدول المحايدة . وكانت فرنسا – المهزومة في ڤيتنام سابقًا – في طليعة المعترضين على طريقة معالجتها . والمظاهرات التي تنطلق باستمرار ، سواء في المدن الاميركية او في العواصم الاوروبية وسواها لهي الدليل الساطع على العطف الذي كسبته ڤيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطني . اما كيف ستنتهي هذه الحرب ؟ فبالامكان الاجابة بان لا مندوحة عن اللجوء الى المفاوضات .



راهب بوذي يحرق نفسه على مرأى من رفاقه احتجاجًا على حرب ڤيتنام.

٢٥ التعايش السلمي[١]

تبدّل الزعامة السوفياتية

توفي ستالين في مطلع آذار ١٩٥٣ ، فتولّى رئاسة الوزارة من بعده مالنكوف ، يعاونه في الحكم نوابه الاربعة : مولوتوف وبولغانين وبيريا وكاغانوفيتش . وبخلافته لستالين جمع مالنكوف بين رئاسة السلطة التنفيذية والامانة العامة للحزب الشيوعي . واقتضت أهمية الحدث دعوة مجلس السوفيات الاعلى لإقرار هذه التبدلات . وأمام هذا المجلس المنعقد في ١٥ آذار ١٩٥٣ اعلن مالنكوف تخلّيه عن منصب الامين العام للحزب الشيوعي حتى يتسنى له التفرغ لشؤون الحكم . وانتهى الامر بان توزع مالنكوف السلطة مع الثلاثي (ترويكا) : مولوتوف للشؤون الخارجية ، وبولغانين للشؤون الحربية ، وبيريا للشؤون الداخلية . ودارت الشكوك حول هذا الموقف الجديد بعد ان اصبحت امانة سر الحزب بين يدي رجل ثانوي آنذاك هو خروتشيف ورئاسة الوزارة بين يدي رجل ضعيف هو مالنكوف ، وكان ستالين قد جمع بين المنصبين منذ ١٩٢٢ . اما بيريا ، اقوى اعضاء اللجنة التنفيذية ، فقد سكت على مضض ورضي بمنصب النائب الاول لرئيس الوزارة كخطوة اكيدة تحمله الى الحكم بعد مالنكوف ، إلا انها كانت خطوته نحو النهاية . ففي العاشر من تموز ١٩٥٣ اوقف بيريا واحيل امام المحكمة العليا بتهمة « العمل لتهديم اسس الدولة السوفياتية لصالح الرأسمالية الأجنبية ولطمعه في جعل وزارة الداخلية مهيمنة على الحكومة والحزب » . فحكم عليه بالاعدام وصفي خفية . (انظر ص ٢٤٧)

وتنفس الشعب السوفياتي الصعداء ، وهلل لازالة الاحكام التعسفية ، واتجه الاقتصاد نحو انتاج السلع الاستهلاكية وتنشيط الزراعة كخطوة اولى لرفع مستوى المعيشة . وما هي إلا فترة حتى عجز مالنكوف عن مواجهة المتصلبين من عسكريين وعقائديين ؛ فقد عابوا عليه هذا التبدل الذي لم تتهيأ الدولة لتقبله بعد . فاستقال في شباط ١٩٥٥ ، وخلفه المارشال بولغانين ، فاستعاد الاقتصاد خطه الاوّل .

الانفتاح على الخارج

في اول كلمة القاها مالنكوف بعد تسلمه السلطة رَسَمَ خط السياسة الخارجية الجديدة فقال : « ان الحكومة السوفياتية ستستمر على طريق تدعيم السلم ، وليس ثمة خلاف لا يمكن ان يحل بالطرق السلمية وعلى اساس من الاتفاق الحر ؛ وهذا يطبق على علاقاتنا مع كل الدول بما فيها الولايات المتحدة الاميركية . » وتلت ذلك سلسلة من التدابير ابرزها حل المسألة الكورية ، ثم اعلان الدولة التركية بان الكرملين قد كف عن المطالبة باراضٍ ارمنية متاخمة ، وبعدها اعادة العلاقات مع يوغوسلافيا وتل ابيب بعد ان انقطعت بسبب محاولة اغتيال جرت في السفارة السوفياتية هناك. وظل الاتحاد السوفياتي مترددًا في سياسته الخارجية بين اللين والصلابة الى ان استأثر خروتشيف بمقدرات الحكم (١٩٥٨) فرفع لواء التعايش السلمي مع سائر الدول وخاصة مع المعسكر الغربي .

ونتيجة لهذا التقارب اعلن السوفيات عزمهم على عقد معاهدات صلح مع النمسا واليابان (راجع معاهدات الصلح) ، واضحى بولغانين وخروتشيف وأحيانًا ميكويان في تجوال مستمر ، فزاروا مختلف العواصم من شرقيـة وغربية داعين للتعاون والسعي لاقرار التعايش السلمي كمبدإ اساسي في السياسة الدولية . وبلغ التبدل في خط السياسة السوفياتية ذروته عند انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي حيث تهجّم خروتشيف على عهد ستالين ونبذ « عبادة الشخصية » وحيث أقر بجرأة ، غير مألوفة في السابق ، بتعدد طرق تطبيق الاشتراكية . وفي ذلك انكار صريح للكومينفورم أو « شيوعية البلد الواحد » (١٩٥٦) .

ومنذ مؤتمر الذروة الذي انعقد في جنيف (١٩٥٥) ظهرت قابلية المعسكرين للتفاوض ، وتأكدت هذه الرغبة عن طريق تبادل الزيارات في العام التالي (١٩٥٦) . إلّا ان الغرب قد لزم جانب الحذر والحيطة في البدء اذ كان التساؤل السائد آنذاك: أهي ردة فعل ضد العهد الستاليني أم انها فعلًا استعدادات للانفتاح على العالم الخارجي ؟ وستبرهن الأحداث فيما بعد بان كلا الافتراضين صحيح .

الاتصالات الأولى

برزت محاولات التقارب بين المعسكرين في مناسبات ثلاث هي: مؤتمر جنيف (صيف ١٩٥٥)، وعروض السلام السوفياتية، والزيارات الرسمية.

١ – مؤتمر جنيف

انعقد هذا المؤتمر كمسعى لتفاهم دولي يخفف من حدة الحرب الباردة. واظهر الاتحاد السوفياتي استعداده للاعتراف بوضع دولي في برلين. فردّت دول الغرب الثلاث بعرض صيغة اتفاق دولي على غرار لوكارنو. وانتهى الأمر بان عرض بولغانين صيغة اتفاق بين الدول الكبرى ينوب عن حِلْفَيْ وارسو وشمال الاطلسي، فلم يحظ بتأييد الطرف الآخر. وخرج المؤتمرون من جنيف بانطباع واحد هو الرغبة الصادقة في المهادنة بل التقارب. (ص ٢٤٣)

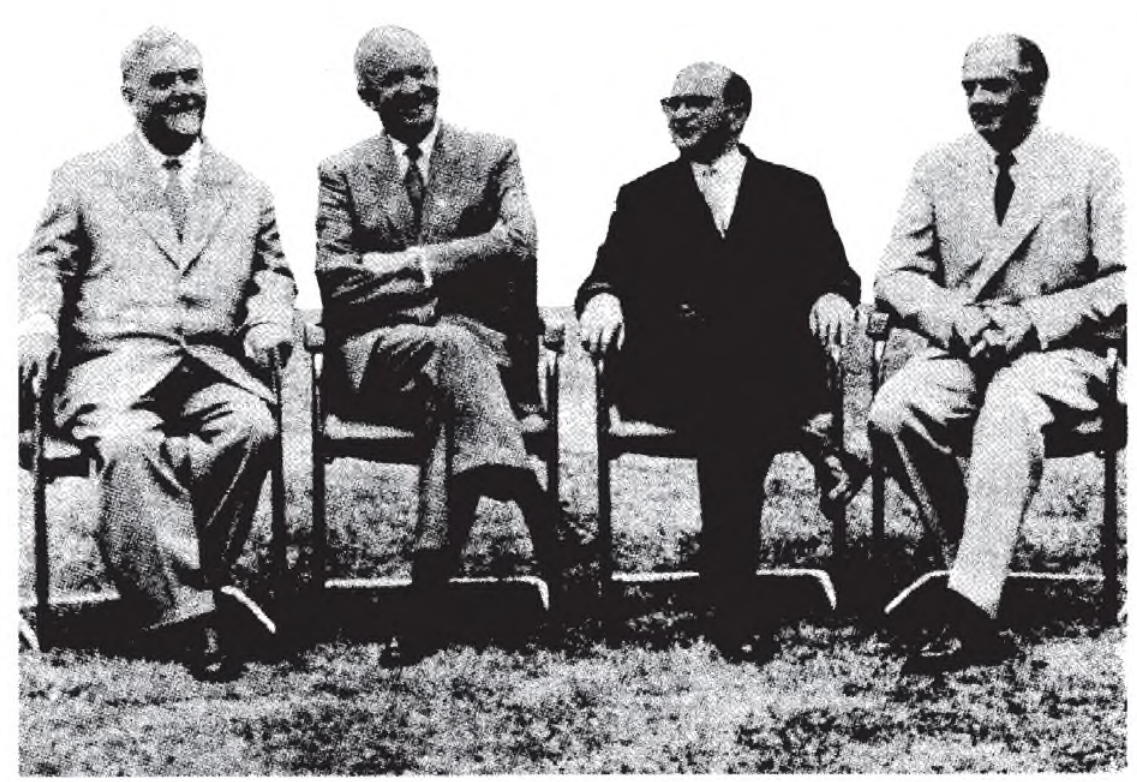
٢ – العروض السوفياتية

وفي العام التالي، وجه بولغانين رسالتين الى الرئيس الاميركي ايزنهاور؛ اولاهما تتضمن اسفًا لتدهور العلاقات بين الدولتَيْن، والثانية تعرض معاهدة تعاون اقتصادي وثقافي وعلمي. واتى الجواب كالعادة مشوبًا بالتحفظ دون الوصول الى خطوات عملية، باعتبار ان ما يطلبه الرئيس السوفياتي متوفر ضمن نطاق الأمم المتحدة، ولا مجال لعقد اتفاقات ثنائية بشأنه.

وزاد الاتحاد السوفياتي من خطواته المطمئنة بان حل الكومينفورم رسميًا في نيسان ١٩٥٦، ليقنع العالم بتخلّي موسكو عن الوصاية على الاحزاب الشيوعية في الخارج، وتبع هذه الخطوة اعلان خروتشيف في تشرين الاول من العام نفسه عن تعدد طرق ممارسة الاشتراكية.

٣ – الزيارات الرسمية

وفي محاولة للتقرب من سائر دول المعسكر الغربي، قام بولغانين وخروتشيف مع وفد رسمي* بزيارة لانجلترا (نيسان ١٩٥٦) نتج عنها زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين. وفي الشهر التالي (ايار ١٩٥٦) استقبلت موسكو رئيس وزارة فرنسا (مولّي) ووزير خارجيتها (بينو Pineau) دون ان تسفر عن زيارتهما اي نتيجة عملية. وما لبث الرأي العام الغربي ان تحزب لبودابست الثائرة على السوفيات (٤ ت ٢ ١٩٥٦) وساند في اليوم نفسه العدوان الثلاثي على السويس. وساد الاعتقاد بعد ذاك بان مساعي التقارب هذه ليست إلا مرحلة تنفس بل تهيؤ لمبادرات عدائية من قبل الجانبين.



مؤتمر جنيڤ ١٩٥٥. ايدن ، فور ، ايزنهاور ، بولغانين.



ميكويان



في ڤيينا حزيران ١٩٦١
الرئيسان كندي وخروتشيف وعقيلتاهما
وفي الوسط الرئيس النمساوي .

الاهتمام بالعالم الثالث

أَوْلَى الاتحاد السوڤياتي ، خلال مهادنته للغرب ، الدول الافرو – اسيوية كل انتباه ؛ يقينًا منه بان لا مجال لكسب اي جولة اخرى في اوروبا . بينما الدول المستقلة حديثًا هي ميدان خصب لتقبل الافكار اليسارية ؛ وشعوبها التي رزحت تحت الاستعمار فترة ، تحاول التفلت بشتى الطرق وتشعر بحاجة الى دعم يزيل عنها ضغط المعسكر الغربي . فبامكان الاتحاد السوڤياتي ، ان هو ساندها ، ان يفوز بثقتها ان لم يكن بميلها اليه .

وزاد نجاح اطلاق اول سپوتنيك (ت ١ ١٩٥٧) ثم الثاني (ت ٢ ١٩٥٧) من ثقة الاتحاد السوڤياتي بقوته . وظهر بمظهر الدولة المرهوبة الجانب ، فعاد الى سياسة التصلب دون ان يتخلّى عن سياسة التعايش السلمي . واقام يدعو الغرب الى توقيع معاهدة عدم اعتداء بين دول حلفي وارسو وشمال الاطلسي . واستمر ينادي بضرورة عقد مؤتمر قمة ، دون ان يتكلل سعيه بالنجاح لان احداث الشرقين : الادنى والاقصى (في لبنان ولاوس) وبرلين عادت الى البروز مجددًا عام ١٩٥٨ .

عود الى التقارب

وخمدت الازمة تدريجيًا ، فأُتيحَ لنائب الرئيس الاميركي (نيكسون) زيارة موسكو في صيف ١٩٥٩ . ورد خروتشيف الزيارة في ايلول ، واختلى بايزنهاور في كمب دايڤيد (Camp David) ، ونجم عن هذا اللقاء نتيجتان ملموستان : توجيه دعوة لايزنهاور لزيارة موسكو والاتفاق على عقد مؤتمر حول برلين .

وجرت الرياح بما لا يشتهي السوفيات ؛ ففي اول ايار ١٩٦٠ اسقطت صواريخهم طائرة تجسس اميركية (من نوع U2) كانت تطير فوق بلادهم من الجنوب الى الشمال . وقضي بذلك على مؤتمر القمة بعد ان حدد له موعد بباريس في شهر ايار نفسه . ولم يأسف خروتشيف لذلك ؛ فمن جهة كانت ولاية ايزنهاور مشرفة على نهايتها ، ومن جهة ثانية كانت مناسبة لاسكات برلين المعترضة على هذا التقارب . وفي الدورة التالية لهيئة الامم المتحدة عبّر خروتشيف بطريقة مستهجنة عن احتجاجه على اقوال اطلقها احد رؤساء الوفود ضد الاتحاد السوڤياتي .

بين كندي وخروتشيف

اسفرت انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة عن فوز كندي منافس نيكسون (ت ٢ ١٩٦٠) ، فوجّه اليه خروتشيف الدعوة لمؤتمر قمة . وهيّأ لنجاح الاجتماع بامتناعه عن اثارة كل موضوع قد يؤدي الى الغاء المؤتمر : كأن أحجم عن التدخل في الحرب الاهلية الكونغولية ، واكتفى بالاحتجاج ضد غزو كوبا الفاشل من قبل خصوم كاسترو واللاجئين الى الولايات المتحدة؛ وكل ذلك لاظهار صدق نواياه حول المؤتمر المقرر .

وفي الثالث والرابع من شهر حزيران ١٩٦١ اجتمع خروتشيف وكندي في جنيڤ . وتناول البحث القضية الالمانية . وساد جو من التودّد دون ان يسفر عن نتيجة عملية ؛ وكيف التوصل الى تفاهم تام في هذا الوقت الذي سيشهد اقامة جدار برلين ، او « جدار العار » كما سماه الغربيون ، لمنع التسلل من القطاع الشرقي الى القطاع الغربي ؛ مع ما رافق بناءه من عرض عضلات المعسكرين . وبدا إذاك ان سياسة التعايش السلمي ، وان اكتفت بهذا المقدار ، هي ضرورية لتحاشي الوصول الى « حافة الهاوية » اي الى مواجهة نووية . وزاد اقتناع المعسكرَيْن بهذا الأمر بعد ازمة الصواريخ السوڤياتية في كوبا وما تلاها من دعوة وجّهها كندي (حزيران ١٩٦٣) هذه المرة للتفاوض حول نزع السلاح النووي ، فتجاوب معه الاتحاد السوڤياتي لخوفه من تزايد قوّة الصين . وتوصل الطرفان الى توقيع اتفاقية تحرّم اجراء التجارب النووية فوق سطح الارض درءًا لخطر انتشار الاشعاع الذري في الاجواء .

التعايش السلمي : ضرورة عالمية

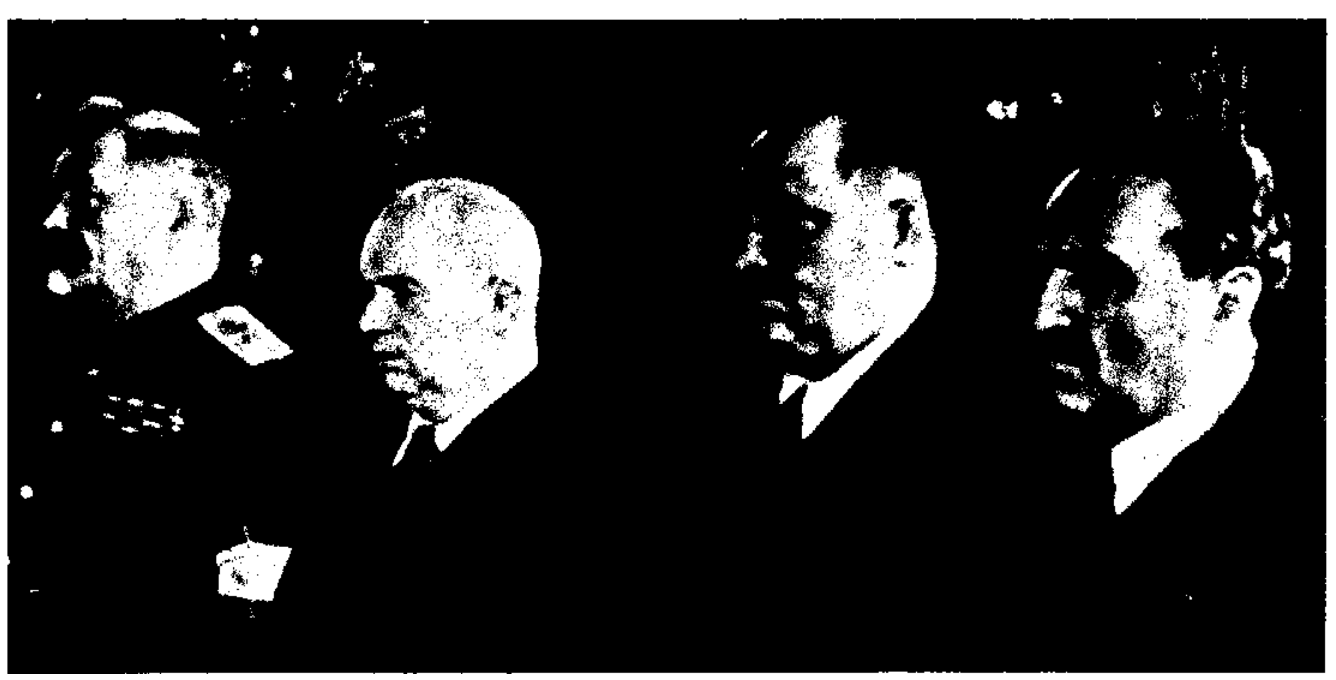
اذا كان الاتحاد السوڤياتي قد بذل محاولات جدية ومتكررة للوصول الى تفاهم مع الغرب ، فمعنى ذلك انه مقتنع بضرورة التعايش السلمي مع سائر النظم السياسية والاقتصادية ريثما يتمكن احد المعسكرين من التغلب على الآخر دون اللجوء الى الحرب . وفي يقين السوڤيات ان النظام الرأسمالي يحمل في طياته بذور دماره ؛ بينما الاشتراكية هي النظام الذي سيفرض نفسه في النهاية . وهذا ما ألمح اليه خروتشيف بعبارات قاسية وغير مباشرة حين قال مخاطبًا الرأسماليين الاميركيين : « سندفنكم جميعًا » .

وبعد ان صرّح خروتشيف نفسه بتعدد طرق ممارسة الاشتراكية لم يعد جائزًا الكلام عن غرب متفكك وموزع بين العالم القديم والعالم الجديد ،

بل اضحى صحيحًا ايضًا الكلام عن شرق متفكك موزع الكلمة بابتعاد يكين عن موسكو . وليس من مصلحة العملاقين : واشنطـن وموسكـو إلا ان يتهادنا عن طريق سياسة التعايش السلمي . ولو نظرنا الى التنافس العلمي بينهما وما خلقه تكديس الاسلحة النووية من « توازن رعب » فهل يجوز التقدير بان الحرب اذا اندلعت سيكون بعدها معسكر غالب وآخر مغلوب ، او ان هنالك من بامكانه ان يأمن شر المخاطرة ؟ ونظرًا لما لدى الطرفين من مخزون اسلحة ذرية فالكمية ستفرض نفسها على النوعية والبادئ سيكون في وضعية المنتحر ولن يتمتع بنشوة انتصاره . حتى لو انطلقت الحرب بالاساليب العادية فيقتضي ان نضع بالحسبان ان المغلوب سيلجأ للثأر عن طريق اسلحته الذرية .

لم يعد في العالم اليوم قضايا نزاع « جانبية » ، فأقل القضايا قد تؤدي الى مواجهة مباشرة سواء انطلقت من كوبا او من ڤيتنام او من الشرق الأوسط . والعالم منذ ١٩٤٥ « بات يعيش تاريخًا واحدًا » . ولذلك نرى ان التعايش السلمي ليس مجرد مبادرات دبلوماسية او مناورات سياسية ، وانما هو ضرورة عالمية بل هو « السياسة الحكيمة الوحيدة » طالما ان العالم بأسره سيدفع ثمن كل حرب ذرية متى اندلعت . وما يراه البعض ضعفًا لدى الاتحاد السوڤياتي يراه البعض الآخر « سياسة صبر بعيدة المدى » .





اثناء تشييع ستالين فوق من الشمال : مولوتوف، فورو شيلوف ، بيريا ، مالنكوف.
تحت من اليسار : بولغانين ، خروتشيف ، كاغونوفيتش ، ميكويان .

٢٦ التنافس العلمي[1]

العلم في حياة الدول

قدرة كل دولة على التنافس والصمود رهن بتطويرها لامكاناتها العلمية ؛ فان هي احجمت عن الاهتمام بالعلوم كأساس لتقدمها وازدهارها تعرضت ولا شك للانتكاس والتخلّف ، وفقدت طاقاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية . لذلك لا يمكن اعتبار التنافس العلمي قائمًا بين العلماء وحسب ، بل هو تنافس بين الدول بواسطة علمائها ، تنافس غايته الصمود بل التسلط ماديًا ومعنويًا .

ولم يعد « فضول العلماء » وحده سببًا كافيًا لاطّراد نمو العلوم ، بل هي متطلبات الحياة تجعل الانسان يفتش باستمرار عن الحل الملائم لمعضلاته . فنرى الحكومات تخصص في ميزانياتها العامة مبالغ ضخمة ترصدها للبحوث العلمية باشراف وزارات او وكالات مختصة ؛ لان الدولة التي تسخو على الابحاث هي وحدها القادرة على خوض ميدان التنافس ، بينما الفقيرة بين الدول مضطرة للتخلي عن دورها العالمي إلا فيما يهيّئه لها المنبر الدولي لمنظمة الامم المتحدة .

ظروف البحث العلمي

ويبقى الأمر مقتصرًا على كل دولة كبيرة قادرة على انشاء المختبرات وتأمين التجهيزات وتوفير التقنيين واعداد العلماء واستقطابهم . ولا نكون مغالين اذا اعتبرنا التنافس العلمي في شكله البارز محصورًا في دولتين هما: الاتحاد السوڤياتي والولايات المتحدة الاميركية ؛ اما الدول الاخرى – رغم تطورها – فهي تكافح من اجل الابقاء على علمائها بمقاومة كل اغراء تقدمه لهم الولايات المتحدة الاميركية او سواها ، حتى بات الامر عملية استنزاف علماء .

وقد ولّى عهد المنجزات العلمية الفردية ، لان تشعب المعارف قد ادى إلى نشوء اختصاصات متعددة ومتكاملة فيما بينها ، تتوزع بينها النشاطات او هي تتكل على علوم اخرى للوصول الى نتيجة هامة واكيدة ، ويكفينا للدلالة على ذلك مَثَلُ انشتاين الذي اضطر في اثبات صواب نظريته الشهيرة :

« النسبية » ، ان يستعين بالعلوم الفلكية وباعمال الفيزيائي الاميركي ميكلسون (Michelson) وبمعادلات الفيزيائي الهولندي لورنتز (Lorentz) وبمساعدة عالم الرياضيات مينكوفسكي . فقد بات العمل العلمي ضمن مجموعات دون ان تطغى شهرة عالم فيها على شهرة عالم آخر ، واكبر الادمغة اليوم عاجز عن الخلق ما لم تتوفر له المختبرات والاموال والمساعدون والاجهزة . وكل هذه الامكانات لا يؤمنها الافراد والمؤسسات بل الحكومات .

تطوّر العلوم

ومنذ الربع الثاني من هذا القرن ، تطورت العلوم بصورة مدهشة ، مستفيدة من سياسة الدول في تغذيتها . فتتالت الاكتشافات وطالعتنا باختصاصات جديدة . وادت بعض النظريات الى زعزعة الايمان بالمبادئ والقوانين الثابتة ففقدت طابعها المطلق ، خاصة في حقل الفيزياء بعد ظهور نظرية « الجزيئات » (Quanta) ثم نظرية « النسبية » . فالنظرية الاولى قال بها ماكس بلانك (Planck) في مطلع القرن وحقق صوابها الدنمركي بوهر (Bohr) في حقل « ميكانيك الذرة » (ثم الالماني هاينزنبرغ (Heinsenberg) عام ١٩٢٤) . اما نظرية « النسبية » فقد نقضت الطابع المطلق الذي اعطي للوقت وبدأت تطبق على الاجسام ذات « الحركة المتسارعة » (mouvements accélérés) . واستطاعت النظريتان معًا ان تقلبا كل المبادئ التي ظُنت من قبل ثابتة ، وفتحتا امام العلوم مجالات ضخمة للتجدد والخلق ، وبدأ الكلام معهما حول « ازمة العلم » .

وادّت الاكتشافات العلمية الى نتائج باهرة ، ففي حقل **الفيزياء** بدأ تطبيق فيزياء « الكم » (Quanta) او الجزيئات في عالم الذرة . وتوصل العلماء في مجالات اخرى الى كشف اصوات لا تسمع واضواء لا ترى ، كما توصلوا الى اكتشاف المواد المشعة اي المواد الاولية اللازمة للانجازات الذرية . ووصل الامر بعلماء « الكوانتا » الى ايجاد مواد مشعة صناعية (مثل التريتيوم tritium اللازم في صناعة القنبلة الهيدروجينية وقد اختفى عن سطح الارض منذ آلاف السنين) .

وفي حقل **الكيمياء** اكتشف العالم الهندي رامان الاشعاعات الخاصة بكل جسم سائل سُلّط عليه الضوء . فتمكن العلماء من جراء ذلك ان يدرسوا

خصائص كل جسم دراسة دقيقة مهدت فيما بعد لاختصاصات عديدة منها الفوتو كيمياء (Photochimie) والالكترو كيمياء والجيو كيمياء (لدراسة تطور القشرة الارضية) . ومكّن تطور كيمياء الجزيئي (molécule) من اكتشاف اجسام صناعية جديدة اتاحت تقدم صناعة الاصبغة واللدائن والافلام والادوية والاسمدة والغازات السامة ، عدا ما استعمل فيما بعد في حقل الالكترون .

وفي حقل **البيولوجيا** (علم الاحياء) توصل الباحثون الى معرفة الهورمونات واهميتها في جسم الانسان ، وتعيين دور الوراثة في حياة الانسان من خلال دراسة الخلايا الحيّة ومن ثم تطبيقها في الميدان النباتي . وباتت كل وسائل العناية الصحية ممكنة وسهلة للقضاء على الآفات والامراض وتخفيف نسبة الوفيات بين الاطفال خاصة . وانتشر استعمال اللقاح ، ثم الفيتامينات للتغلب على الضعف الجسماني ، كما أدّى اكتشاف الانسولين الى التغلب على داء السكري المتفشي بكثرة (منذ ١٩٢٤) . واستفاد الناس من ارشادات الاخصائيين حول المواد الغذائية بعد تبيان دور الحليب والخضار الطازجة والفاكهة «كمواد غذائية واقية» الى جانب المواد الغذائية الاخرى كالحبوب والسكّر .

وبفضل اكتشاف مركبات السولفاميد (sulfamides) والمواد المضادة للحيويات (antibiotiques) ، استطاع **الطب** ان يشفي من كثير من الامراض والحمّيات ، واختفى خطر فقر الدم الابيض والاحمر على السواء (anémie, leucémie) ، كما اسهم نقل الدم واستعمال البنج في انجاح العمليات الجراحية ، على ان العالم كان لا يزال بعيدًا عن المنجزات الحاضرة في ميدان زرع القلوب والعيون وغيرها من اعضاء الجسم البشري .

وفي ميدان **النقل** خطا العالم خطوات واسعة لان وسائل النقل تلبي حاجات مدنية وعسكرية في آن واحد . واستفاد الطيران حتى غدا نفاثًا خارقًا لجدار الصوت . وتقدمت صناعة السيارات بعد تعميم « نظام التجميع » لانتاج العدد الاكبر بالكلفة الأقل . وكان للراديو والاتصالات اللاسلكية ثم للتلفزيون شأن كبير ، وما بعض الاقمار الصناعية في الوقت الحاضر إلا مكمّل لهذا الدور . ثم ان البدء بتعميم استعمال الطاقة الذرية في وسائل

تجربة القنبلة الهيدروجينية الاميركية .



اوبنهيمر .



اينشتاين

النقل كالغواصات والسفن جاء يقلب الاعتبارات الماضية ويعد لتخطيط مستقبلي .

انطلاق التنافس ومجالاته

ليس هناك زمن محدّد بدأ عنده التنافس ، بل ظروف فرضت نفسها عند نشأة المعسكرين . فكلاهما قد التزم بموقف يستحيل الرجوع عنه ، وهذا يعني ان التنافس قد استحال تسابقًا في سبيل انتاج آلات تدمير ترهب الجانب الآخر . وازداد الامر حدّةً مع الحرب الباردة وما فرضته من محاولات لكسب الانصار في الخارج ، لان الدول الصغيرة لا تميل لدولة كبرى إلّا طلبًا للحماية والمساعدة .

وانطلق التنافس العسكري من ميدانين ، اولهما انتاج الاسلحة العادية والثاني انتاج الاسلحة الذرية . ففيما يتعلق بالاسلحة العادية كان السعي حثيثًا لايجاد السلاح الافتك . فانصبت الجهود على تطوير الطائرات النفاثة وقذائفها الدقيقة التصويب ، وزيادة فعالية الدروع والسيارات المصفحة والقنابل (كانت القنبلة تزن من ٢٥ الى ٥٠ كغ ثم اضحت فعاليتها تقابل عشرة اطنان من المواد الشديدة الانفجار .T.N.T) . وبرهن الرادار ودقته في تحديد الاهداف عن ضرورة اعادة النظر في تصميم محركات الغواصات وجعلها تقيم مدة اطول في الاعماق . وبازدياد الاكتشافات كانت تظهر امام الباحثين حلول جديدة ومجالات ارحب تزيد في حمى التنافس وتفيد المجالات العلمية الاخرى عدا كونها تجعل الدولة مرهوبة الجانب .

اما على صعيد الاسلحة النووية ، فقد نشط التسابق لانتاج القنبلة الذرية منذ ما قبل الحرب . ويمكن القول بان السنين العشر التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية قد تميزت بسعي حثيث لانتاج وتطوير الاسلحة الذرية ؛ وما ان اطل العام ١٩٥٧ حتى تركز التنافس حول انتاج الصواريخ العابرة للقارات وادى بالتالي الى سباق الفضاء الحالي . وهكذا تحول النزاع من حرب ميدان الى حرب تنافس علمي يهدد السلام العالمي باستمرار ويجعل اقتصاد الحكومات ينوء باعباء هذا السباق .

العلم للعلم أم العلم للحرب ؟

نجحت محاولة فلق ذرة اليورانيوم لاول مرة عام ١٩٣٨ . ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية بدأ التفكير جديًا باستعمال هذا النجاح في الاغراض

العسكرية الى ان كانت القنبلة الذرية وضحيتاها هيروشيما وناغازاكي . وفي ١٢ آب ١٩٤٥ اصدرت حكومة الولايات المتحدة « تقريرًا الى الامة » توضح فيه حقيقة السلاح الذري ومراحل تنفيذه ، ولم تلاق حرجًا في ذلك لان سر القنبلة الذرية يكمن في طريقة صنعها لا في المبدأ الذي انطلقت منه ؛ وساد الاعتقاد بان السوفيات ، فيما لو قيض لهم ان يصنعوا قنبلة ذرية ، فلن يتسنى لهم ذلك قبل انقضاء مهلة خمس سنوات على اقرب تقدير ؛ وفي ظن مارشال صاحب المشروع الشهير انهم لن يصنعوها ابدًا .

ولم يلبث العلماء الاميركيون انفسهم ان اثاروا قضية السلاح الذري والمعلومات التي توصلوا اليها ؛ فهم قد حثوا العمل في هذا السلاح لاستعماله ضد هتلر لا ضد اليابان وبدأوا يتساءلون – كما نتساءل نحن اليوم حول جدوى سباق الفضاء – ماذا سيكون شأن هذا السلاح في ايام السلم ؟ وطرحوا الموضوع من زاويته العلمية البحتة ، فنسمع احدهم يتساءل (وهو البروفسور صموئيل آليسون Samuel K. Allison) : « اذا كانت حكومتنا لا تسمح بنشر المعلومات العلمية ، فالعلماء الاميركيون سيتوقفون عن انتزاع اسرار جديدة من المادة وسينصرفون الى دراسة الفراش » ، وازاء فشل رجال السياسة الذي ادى الى الحروب وويلاتها على رجال العلم ان يقودوا البشرية نحو السلام . اذاك بدأت حملة جدية هدفها وضع الاسلحة الذرية واسرارها في عهدة الأمم المتحدة والاتجاه بتطوير الابحاث الذرية نحو الاغراض السلمية ، فتصبح الاكتشافات ساعتئذ ملكًا للعلم في اطاره المطلق لا ملكًا للحكومات والعسكريين. ولم تنجح هذه الحملة لسببين اولهما ان الولايات المتحدة قد اصدرت قـــانون مكماهون (شيخ ولاية كونيكتيكوت) الذي يحظر نشر الاسرار الذرية . وثانيًا ان الولايات المتحدة عندما عرضت مشروع تدويل الاسرار الذرية من اجل السلم وباشراف الأمم المتحدة اصطدمت بسلبية اندريه غروميكو ممثل الاتحاد السوفياتي في هيئة الأمم اذ تضمن جوابه طلبًا بتدمير جميع الاسلحة الذرية (وكلها اميركية) وبالكف عن صناعة اسلحة جديدة . وهذا الجواب السلبي كان يعني ان الاتحاد السوفياتي يسعى لانتاج قنبلته الذرية وبالتالي قد دخل ميدان المنافسة مع الاميركيين ، والسرية التامة التي احاط بها اعماله جعلت العالم لا يشك في هذه السلبية .

القنبلة الذرّية السوڤياتية

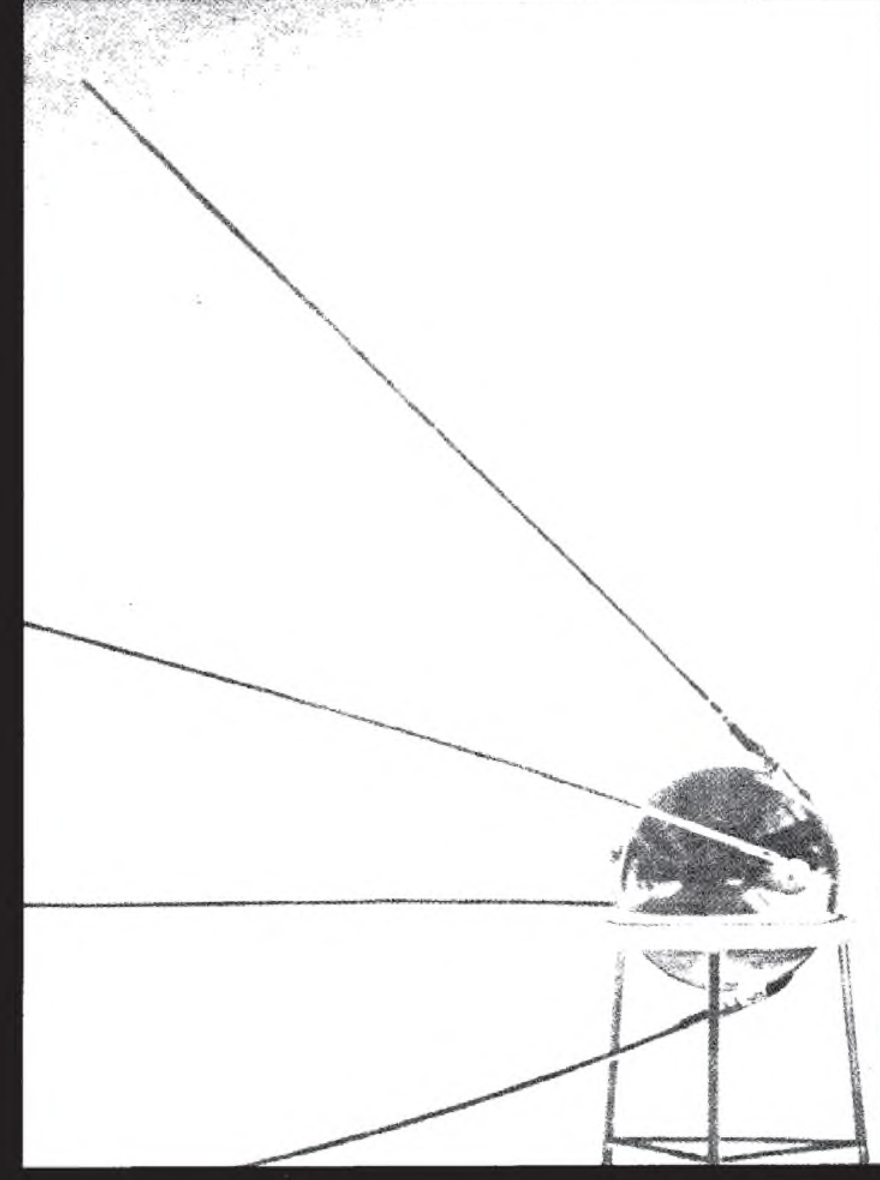
واصرّت الفئات العسكرية الاميركية على الاستمرار في التفجير النووي بعد الحرب كوسيلة « لارهاب السوڤيات » . ففي آخر حزيران ١٩٤٦ القيت قنبلة فوق جزيرة بكيني (Bikini) (من جزر مارشال) ولم تعط نتيجتها المنتظرة فقابلها السوڤيات باستهزاء وطالب الجميع باعادة النظر في السلاح الذري ، غير ان تفجير قنبلة ثانية (٢٤ تموز ١٩٤٦) تحت مياه جزيرة بكيني اكد بما لا يقبل الشك فعالية هذا السلاح .

وحث السوڤيات سعيهم لانتاج قنبلتهم الذرية وكانوا قد اهتموا بهذا العمل عندما اقنعوا العالم الانجليزي كاپيتسا (Pierre L. Kapitsa) وهو روسي الأصل بان يبقى في الاتحاد السوڤياتي (١٩٣٥) واستطاعوا ان يحصلوا على المواد المشعّة من اميركا بحجة انهم بحاجة اليها لتلبية ضرورات الطب العسكري ابان الحرب . واثناء العمل في انتاج القنبلة الذرية الاميركية، كان بين العلماء البريطانيين المشاركين في هذا العمل عالم الماني الأصل هو فوكس (Klaus Fuchs) ، منتسب الى الحزب الشيوعي . واستطاع بسكوته ونبوغه ان يطلع على اسرار انتاج القنبلة الذرية والاعداد لقنبلة هيدروجينية ونقل ما لديه من المعلومات الى الشرق (بواسطة روزنبرغ وزوجته) . وبعد مغادرته الولايات المتحدة في نيسان ١٩٤٦ استمر في خدمة المعسكر الشيوعي الى ان اكتشفت امره السلطات البريطانية . وعندما صدرت عن مولوتوف (٦ ت ٢ ١٩٤٧) تصريحات بان الاتحاد السوفياتي قد بات مالكاً اسرار صنع القنبلة الذرية ظن الغرب ذلك من قبيل حرب الاعصاب ولم يهتموا للامر كثيراً . وبعد ذلك بعامين تأكد الاميركيون (٢٣ ايلول ١٩٤٩) بان انفجاراً ذرياً ضخماً قد اجري في منطقة التايغا من الاتحاد السوڤياتي . وبدا للاميركيين انهم كانوا مخطئين في كل تقديراتهم واتت عملية اكتشاف العالم فوكس تؤكد ان خصومهم قد طوروا سلاحهم الذري واضحى باب المنافسة مشرعًا ، فماذا سيفعل الاميركيون ؟

القنبلة الهيدروجينية

وكانت ردة فعل ترومان ان امر « بالعودة الى المختبرات » لانتاج القنبلة الهيدروجينية . وشاطره العلماء رأيه بان « هذا النبأ الذي اتى من روسيا يعني وجوب تطوير سلاحنا الامضى الى آخر حدود » (في ريمون كارتيه – ما بعد

استعراض الصواريخ الروسية
في الساحة الحمراء.



سبوتنيك الاول.

الحرب ، ج ٢ – ص ٣٠٤) ، وارتفع صوت الشيخ مكماهون نفسه : « انه من غير الجائز ان تسبقنا روسيا في المجال الذري » ، لكن موقف اوبنهيمر (Oppenheimer) – العالم الذي اشرف على انتاج القنبلة الذرية والمشتبه بميوله اليسارية – كاد يعرقل المسعى . ولما ظهر ان العالم فوكس قد نقل بعض الاسرار عن السعي لانتاج القنبلة الهيدروجينية بات المسؤولون الاميركيون في عجلة من أمرهم وتأسفوا لتوقفهم عن العمل بهذا المشروع مدة ثلاث سنوات بعد نهاية الحرب . وبعد ثمانية اشهر فقط من « العودة الى المختبرات » اعلن ترومان رسميًا بان العمل في انتاج القنبلة الهيدروجينية قد انتهى (ك ٢ ١٩٥٣) ، وفي ٥ آب من السنة نفسها رد مالنكوف بالعبارات التالية : « تعتبر حكومة الاتحاد السوفياتي لزامًا عليها اعلام الولايات المتحدة بانها لا تحتكر بمفردها القنبلة الهيدروجينية » .

وتبيّن فيما بعد ان القنبلة الهيدروجينية السوفياتية اعطت نتائج افضل من صنوتها الاميركية وبتكاليف أقل ، الامر الذي شحذ همة الاميركيين على الاستمرار في التجارب حتى وصلوا الى نتيجة مرضية للعسكريين ومؤلمة للانسانيين ، فقامت الاعتراضات الدولية بعد ان تأكدت عدم قدرة منتجي هذه القنبلة على تقدير فعاليتها الحقيقية وخطرها على العالم . وذهب احد البريطانيين البارزين (الفيلسوف مانفورد Munford) الى القول على صفحات التايمس : « بان من الافضل الخضوع للحكم الشمولي السوفياتي على ان نموت » . (انظر ص ٢٥١)

في حقل الصواريخ

وبات كلا المعسكرين في سباق مع نفسه ، لا يرضى بما وصل اليه من نتائج بل يسعى لتطوير اسلحته عن طريق اكتشافات علمية جديدة . وغدا التنافس علميًا وعسكريًا في آن معًا ، تسخر له كل الامكانات التقنية ، ولم يعد السباق مركزًا حول انتاج المزيد من السلاح بل حول تطوير السلاح . وبعد ان بات لدى الطرفين سلاح نووي وهيدروجيني ، برزت مشكلة جديدة هي مشكلة ايجاد اسرع وسيلة لنقل هذا السلاح . فتطورت قاذفات القنابل ، وبعد ان كانت تعمل على مدى ٢٥٠٠ كم فقط صار بامكانها ان تعمل على مدى تسعة آلاف كيلومتر في نهاية الحرب العالمية الثانية . وفي

ايلول ١٩٥٤ انزلت الولايات المتحدة الى البحر اول غواصة ذرية (نوتيلوس) ، فيما كان الاتحاد السوفياتي يتجاوزها في انتاج قاذفات القنابل البعيدة المدى . وهكذا وجدت الدولتان نفسيهما « وقد ركبتا ظهر نمر مخيف ، فاذا وقعت احداهما من فوقه افترسها » .

وفي ٢٠ آب ١٩٥٧ اعلن السوفيات انهم نجحوا في اطلاق صاروخ عابر للقارات ، واستغلها المارشال جوكوف فرصة لاطلاق التهديدات ، فنسمعه يصرّح : « يجب ان يقلع الامبرياليون الاميركيون عن تلك الفكرة الساذجة بانهم في حال نشوب الحرب في اوروپا او آسية سيبقون آمنين وراء المحيطات؛ فليس في العالم اليوم زاوية او شق يمكن ان يلجأ اليهما المعتدي » . وكان لذلك وقع شديد في الولايات المتحدة ، لان هذه الاخيرة كانت قد فشلت قبل شهر في اطلاق صاروخها العابر للقارات .

سباق الفضاء
١ – السبق الروسي

وبعد اقل من خمسة اشهر (اي في ٥ ت ١ ١٩٥٧) اطلق السوفيات اول قمر صناعي هو سپوتنيك الاول (والكلمة تعني رفيق السفر) ؛ ومعنى ذلك ان الصاروخ الذي حمله الى مداره حول الارض قد غدا سلاحًا متطورًا في يدهم ، عدا كونه الدليل على تفوق تكنولوجي سوفياتي ، « فكأن صوت بيپ بيپ الذي يطلقه هو صرخة استهزاء » تدوّي في اذن الاميركيين .

ودار التساؤل الاميركي حول قضيتين هما : إمّا ان يكون الروس قد بنوا صاروخًا ضخمًا جدًا وإما ان يكونوا قد طوروا نوع الوقود المستعمل . وازداد هلع الاميركيين عند اطلاق سپوتنيك الثاني بعد اقل من شهر (٣ ت ٢ ١٩٥٧) وهو قمر صناعي بلغ وزنه نصف طن تقريبًا ، دار حول الارض ١٦٢ يومًا وحمل معدات الكترونية مختلفة لاختبار الفضاء الخارجي وما فيه من اشعة كونية وبنفسجية وحرارة وضغط يستفيد منها العلماء في اعداد الرحلات المقبلة ، كما حمل هذا الصاروخ كلبة (لايكا Laïka) ماتت في الكبسولة بعد ان برهنت عن قدرة المخلوقات الحية على تحمل الرحلات الفضائية . (انظر ص ٢٥٥)

٢ – الأميركيون بدورهم

تأخر الاميركيون في مجاراة السوفيات . والواقع انهم قاموا بمحاولات كثيرة كانت العقبة امام نجاحها الصاروخ الذي عليه ان يحمل القمر

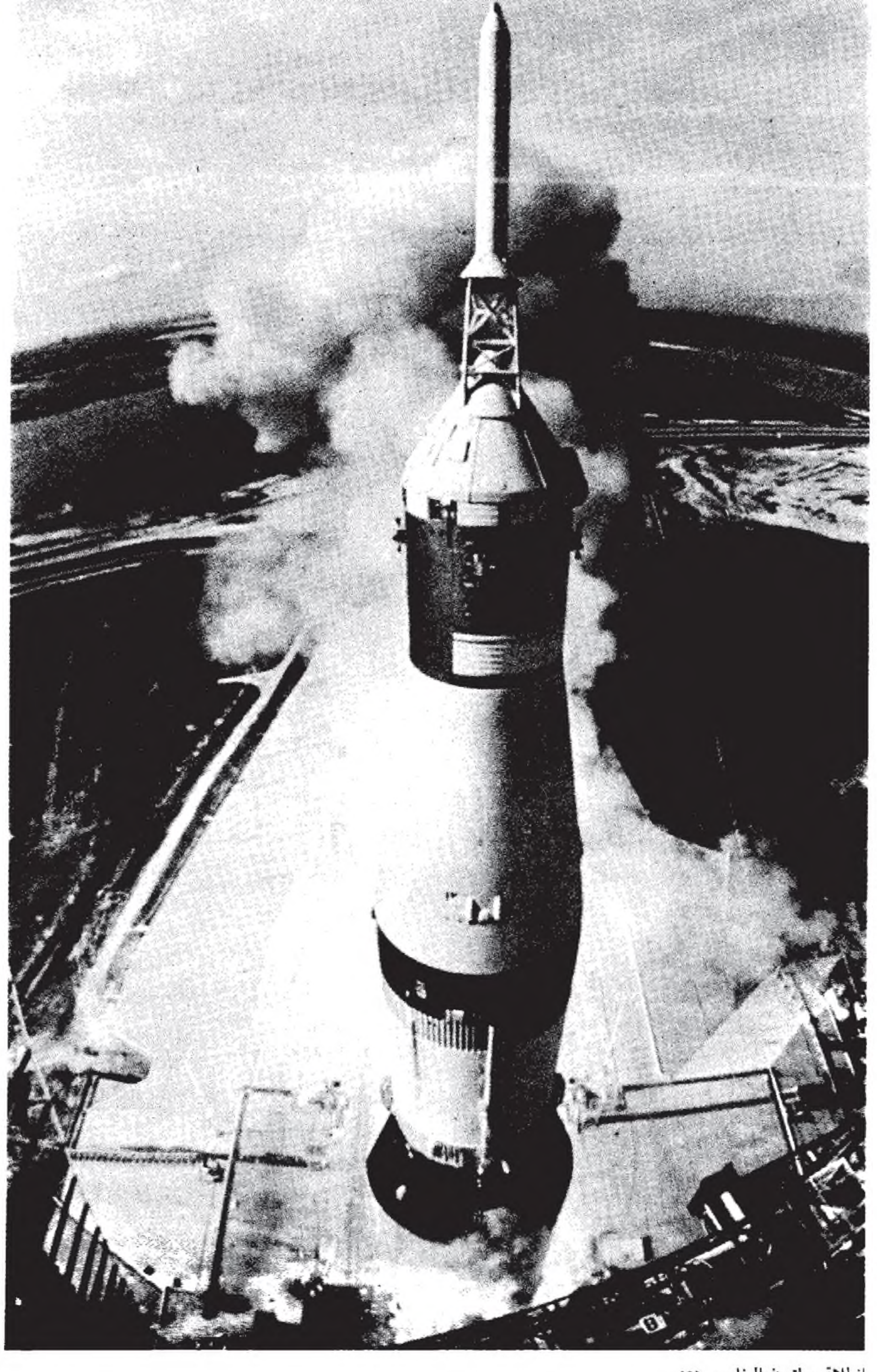
الصناعي . وبفضل جهود ڤون براون (Von Braun) الالماني الاصل وصاحب فكرة القنبلة (v²) تمكن الاميركيون اخيرًا من اطلاق صاروخ جوپيتر ، فحمل القمر الصناعي اكسپلورير الاول (ت ٢ ١٩٥٧) ثم اكسپلورير الثاني (آذار ١٩٥٨) الذي برهن ان شكل الارض هو كالاجاصة .

وبقي هذا الفوز الاميركي مقصّرًا عن مثيله السوڤياتي ، وهذا ما اقر به آنذاك ڤون براون نفسه رئيس المشروع الاميركي . وظل خروتشوف يستخف بتلك « البرتقالة » التي اطلقها الاميركيون الى الفضاء اذا ما قيست بضخامة سپوتنيك الثاني . ثم استمر الطرفان في اطلاق الاقمار الصناعية ، ووضعوا بعضها في مدار حول الشمس . وتعين على الاميركيين خلال هذه المرحلة ان يفكروا باستمرار بان نقطة ضعفهم تكمن في صواريخهم . وخافوا ان يسبقهم الروس الى القمر ، فنسمع ڤون براون مرة اخرى يقول : « عندما سيصل ملاحونا الى القمر سيلاقيهم هناك رجال جمارك » . وغدا الامر باختصار كما يلي : الاميركيون قد اطلقوا عددًا اكبر من الاقمار الصناعية ، بينما الاتحاد السوڤياتي يملك الصواريخ الاقدر . (انظر ص ٢٥٩)

الانسان في الفضاء

بعد نجاح الاجرام الصناعية في جمع المعلومات الاكيدة عن الفضاء الخارجي ، تجرأ العلماء على التخطيط لارسال انسان الى الفضاء . وفي ١٢ نيسان ١٩٦١ اطلق الاتحاد السوڤياتي الجرم الفضائي ڤوستوك الاول وعلى متنه رائد الفضاء الاول يوري غاغارين (Yuri Gagarin) ، فاقام في الفضاء الخارجي ضمن كبسولته مائة وثماني دقائق لم يفقد خلالها اتصاله بالمحطات الارضية . وقدّم هذا الفتح في ريادة الفضاء اجوبة هامة للعلماء ، ابرزها ان لا خوف من الاشعة الكونية والاجرام السماوية على ارسال انسان الى الفضاء .

وبعد أقلّ من شهر (٥ ايار ١٩٦١) اطلق الاميركيون رائد الفضاء شيپارد ؛ غير ان رحلته كانت اقل اهمية من رحلة غاغارين لانها لم تستمر اكثر من خمس عشرة دقيقة . ثم تتالت رحلات « الملاح الواحد » ، فكان دور الاميركي غريسّوم (١٦ دقيقة) ثم السوڤياتي تيتوف (آب ١٩٦١) وقد استمرت رحلته خمسًا وعشرين ساعة ، ثم ڤالنتينا تيرشكوڤا وقد دامت رحلتها



انطلاق ساتورن الخامس (٥)

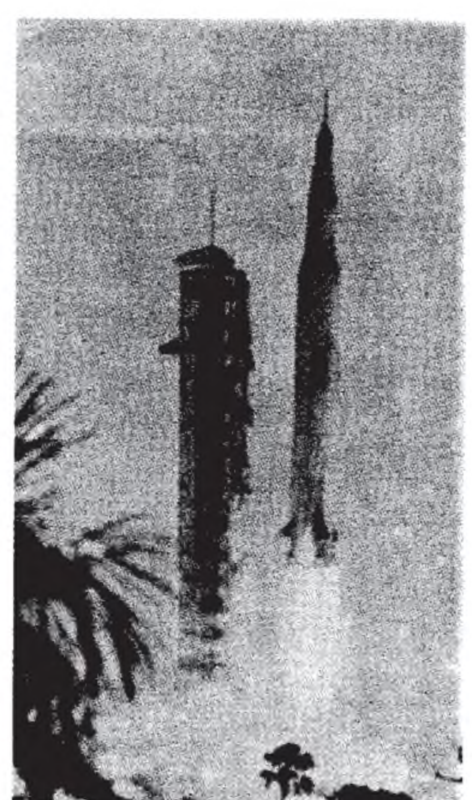
سبعين ساعة وخمسين دقيقة. وهيأ هذا النجاح لرحلات اهم واجرام اكبر تتسع لاكثر من ملاح دعيت بالمركبات الفضائية. وحملت اولاها ثلاثة رواد ، استطاع احدهم ليونوف ان يحقق اول مشية في الفضاء لمدة خمس دقائق والواقع انه سبح ولم يمش. ومثله فعل الاميركي هوايت فاستطاع ان يبقى خارج المركبة مدة احدى وعشرين دقيقة. واحكم السوفيات عمليات الالتصاق بين مركبتين فضائيتين بحيث اتيح للرواد ان ينتقلوا من احداهما الى الاخرى.

نحو القمر

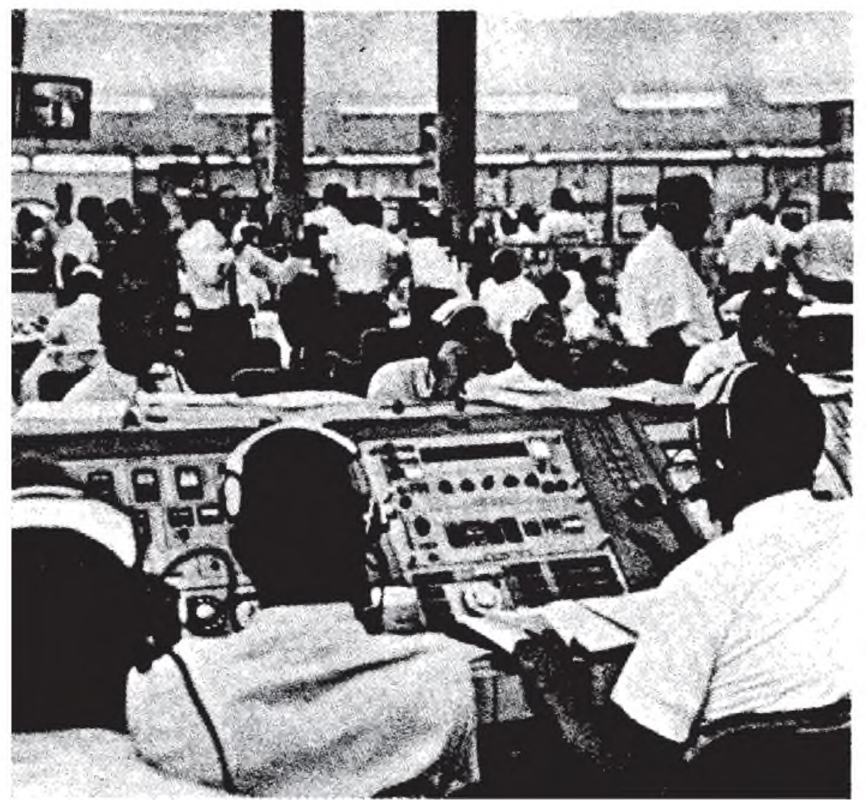
وكان الاهتمام بالقمر على اشده ، فمنذ عام ١٩٥٩ استطاعت المركبة الفضائية السوفياتية « لونا ٣ » ان ترسل الى الارض صوراً تلفزيونية عن الجانب غير المرئي من القمر. ثم تمكنت « لونا ٩ » ان تهبط برفق على سطحه (شباط ١٩٦٦) ، مما ادى الدليل القاطع على امكانية انزال الانسان عليه. وتحولت « لونا ١٠ » الى تابع للقمر يدور حوله باستمرار ، كما اجرت « لونا ١٣ » فحوصاً لخصائص تربة القمر وارسلت النتائج الى الارض.

وفي آخر عام ١٩٦٨ استطاع ثلاثة من رواد الفضاء الاميركيين (بورمان – لوفيل – انديرز) ان يدوروا حول القمر تمهيداً للهبوط على سطحه. وفي تموز من العام التالي (١٩٦٩) انطلقت المركبة الفضائية « ابولو ١١ » وعلى متنها ثلاثة رواد هم كولينز وآلدرين وارمسترونغ ، وفي ٢٠ منه كان ارمسترونغ اول انسان يطأ سطح القمر ، ثم تبعه زميله آلدرين بينما استمر كولينز يدور حول القمر في المركبة الام بانتظار عودة رفيقيه. وتمت هذه الرحلة بنجاح كلي وتلتها رحلة ثانية (ابولو ١٢) في ت ٢ ١٩٦٩ وهبط الرائدان كونراد وبن على سطح القمر وانتظرهما رفيقهما غوردن في المركبة الأم. غير ان « ابولو ١٣ » لم تستطع تحقيق رحلتها لخلل طرأ عليها. (انظر ص ٢٦٣)

ونظراً لسكوت الروس عن التصريح باي شيء حول مشاريعهم الفضائية، لا يمكن الجزم ما اذا كانوا سيكتفون بانشاء المحطات الفضائية ام انهم يخططون للنزول بدورهم على سطح القمر. وقد اطلقوا في نهاية عام ١٩٧٠ مركبة قمرية هي « لونوخرد » تستطيع ان تعبّئ بطارياتها تلقائياً من اشعة الشمس. ونجحت في التجول على سطح القمر تستكشف وترسل المعلومات الى الارض.



صاروخ ساتورن (٥) يحمل ابولو ١١



هيوستون – مركز مراقبة الرحلات الفضائية.



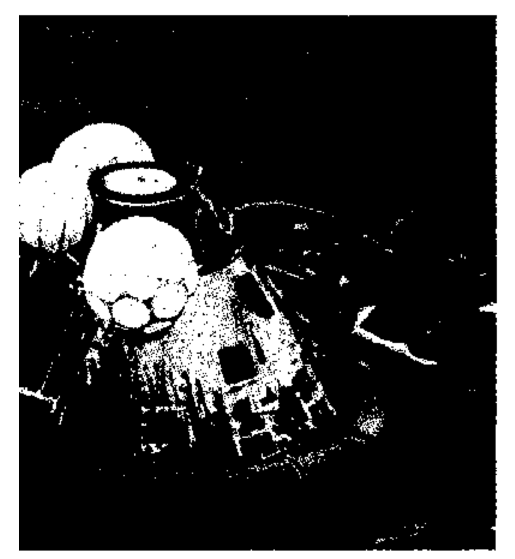
الارض من القمر.

ومع اهتمام الدولتين بالقمر لم تغفلا المريخ ، بل الزهرة ايضاً . وقد ارسلتا الى الاول اجرامًا مستكشفة دارت حوله واعطت معلومات تنقصها الدقة ، لذلك عاد الاهتمام حاليًا برحلات جديدة اليه ، لا سيما ان القمر لم يعد يثير اهتمام العلماء كما في السابق .

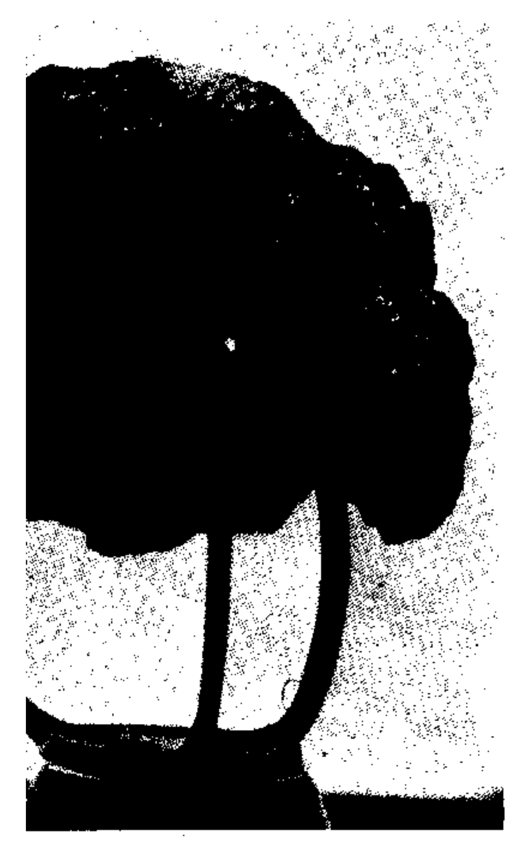
والدول الاخرى

وقصرت سائر الدول عن اللحاق بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واذا كان بعضها قد نجح في تحقيق منجزات محترمة في الحقل الذري او الفضائي ، فذلك من قبيل اثبات الوجود لا من قبيل المنافسة . والدول الاعضاء في « النادي الذري » اليوم خمس هي : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين ، وكلها لا ترحب باي عضو جديد آخر . كما ان تطوير الصواريخ العابرة للقارات في الصين يقلق « العملاقين » معًا فحوّلا اقمارهما الصناعية الى آلات تجسس وتصوير تجعلهما على بينة من الامر ، مما حدا بالصين ان تحث الخطى في ميداني الذرة والفضاء لاستدراك ما فاتها من تأخر . وفرنسا واليابان بدورهما يواصلان تجاربهما الفضائية ، على ان مأثرة اليابان في هذا المجال هي نجاحها في اطلاق قمر صناعي بكلفة زهيدة لا تجعلها تتأثر اقتصاديًا بطبيعة هذه المنجزات العلمية (خمسة ملايين دولار بما فيها نفقات الصاروخ والقمر الصناعي معًا) .

والعالم بمعظمه اليوم يستفيد من بعض الاقمار الصناعية في التقاط المخابرات اللاسلكية والبرامج التلفزيونية ، فهذا الكشف العلمي يمكنه ان يؤدي خدمات جلّى للبشر اجمع ، الّا ان التنافس العلمي الدولي ليس في سبيل خدمة السلم وحسب. واذا كانت المفاوضات قائمة اليوم بين «العملاقين» (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) لوقف تجارب تطوير الصواريخ العابرة للقارات والصواريخ المضادة للصواريخ فلأنهما اخذا يشعران بوطأة النفقات غير المجدية اقتصاديًا ، وفي هذا ما يكفي للدلالة على ان الدول الاخرى عاجزة عن اللحاق بالركب الاميركي السوفياتي .



العودة الى الارض والنزول في المحيط الهادي.



حجر من القمر.



نيل ارمسترونغ اول رجل يطأ سطح القمر.

محتويات الكتاب

صفحة

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
الطبعة الثالثة من «احداث القرن العشرين»
في السابع والعشرين من تموز ١٩٧٩

التوزيع :
المكتبة الشرقية
ساحة النجمة - ص.ب: ١٩٨٦
بيروت - لبنان